طبعة خاصة
وزارة المجاهدين

أعمال الملتقى الدولي حول

معركة الجرف

المنعقد بالمركز الجامعي العربي التبسي - تبسة -
يومي 27 - 28 أكتوبر 2007

هذا الكتاب هدية من وزارة المجاهدين
بمناسبة الذكرى الـ 45 لعيد الإستقلال والشباب

نسق أعمال الملتقى وجمع النصوص وأعدها للنشر
" المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954 "

منشورات وزارة المجاهدين
الجزائر 2008

المكتبة
الوصول
رقم التسجيل 01730 ع

الإيداع القانوني: 4804 - 2008
ر د م ك: 978-9961-846-93-3

كلمة معالي وزير المجاهدين

السيد محمد الشريف عباس

بسم الله و الصلاة و السلام

على رسول الله و بعد

السيدات و السادة

الحضور الكرام و ضيوفنا الأعزاء

السلام عليكم و رحمة الله تعالى و بركاته

إذا كان المولى عز و جل أقرأنا من لدن كتابه الحكيم، أن "سبّح لله ما في السموات و ما في الأرض"، فإن هذه الديار و هذه الأرض الجزائرية قاطبة، يسبح فيها التاريخ بمآثر نساء و رجال تدافعوا أمام محاريب الحق و قمم العزة والكرامة، يؤثرون عن أنفسهم و أموالهم و أولادهم و كل ما ملكت أيمانهم، يؤثرون أمة و وطنا و عقيدة وشرفا افتدوه بأرواحهم قبل أرزاقهم ، ليطهروا ما عفر المحتلون الغاصبون بأقدامهم الهمجية، و ليعتقوا رقابا ضرب المحتل حولها أغلالا وليحرروا أرضا اغتصبها المستوطنون دون وجه حق، واستعبدوا فيها رجالا و نساء أحرارا و سادة أمجادا عشرات السنين، و أبادوا قيما نبيلة و هوية صافية، و لغة إنسانية عظيمة، و مدنية، عريقة طمس معالمها ظلم المحتلين، و غطرستهم و جشعهم و نهمهم، المشفوعين بصليبية حاقدة، كانت تزهو لإراقة دماء المسلمين و تتباهى بإبادة مقوماتهم الدينية و الحضارية.

و إنه اليوم لمن العدل و الأمانة بمكان أن يصحو الضمير الإنساني، و تطفو أخلاق الواجب، و تنتصر الموضوعية التاريخية على الأنانية و الهروب إلى الأمام و الإيغال في تكريس الزيف والتحريف ونكران الحقائق، إنه من العدل والأمانة و المسؤولية أن يعترف الناكرون للحق أن مشهد الاستعمار الفرنسي للجزائر كان أقتم من الليل البهيم و أقبح من القبح و أشنع من الشناعة.

السيدات و السادة

إن معركة الجرف التي نحتفي اليوم بذكراها الـ 52 ، والتي ولدت من رحم ثورة نوفمبر 1954 الخالدة، تعد بكل المقاييس ملحمة إنسانية من ملاحم هذا العصر، وإنجازا ثوريا عظيما في ظل عدم توازن القوى بين ثلة مؤمنة بحقها و بحق شعبها في الحياة و الكرامة، مسلحة بالإيمان والشجاعة وبإرادة الانتصار، و بين جحافل من فلول القهر والإبادة، مزودة بأكبر وسائل الفتك و الإبادة من سلاح الجو و الأرض.

و ليس من الخوارق و لا من المستحيل أن تصمد القلة في وجه الكثرة، إذ قد عوّض اللاتوازن في القوة باللاتوازن في المعنويات والإرادة و الإيمان بالحق، و صدق قول الحق " كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة ".

و بالتالي فمعركة الجرف كانت امتحانا عسيرا و نقطة تحول إستراتيجية في الثورة ليستخلص منها الثوار عبرة ودرسا، و يستنتج

منها المحتلون حقيقة سفهت أوهامهم وكسرت غرورهم فأعادوا بعدها حساباتهم المبنية على الاستهانة بإرادة الآخر.

و في تقديري المتواضع، لم تحظ هذه المعركة لحدّ الساعة بدراسة فكرية و سيكولوجية و عسكرية ولوجستيكية ضمن إطارها الزماني و المكاني و في بعدها المحلي والدولي لتكون قيمة إضافية لرصيد الأعمال الإنسانية الخالدة التي حققها المجاهدون في الثورة التحريرية الجزائرية.

فهذا الحدث المميز له فرادته في الثورة و له خصوصيته العالمية لكونه جاء في مطلع معركة التحرير، حيث كان المجاهدون قلة و على قدر متواضع من الخبرة في المعارك و ندرة خانقة في الأسلحة والذخيرة، وهو الأمر الذي غامر بسببه القائد الرمز الشهيد مصطفى بن بولعيد خارج حدود الوطن فكلفه الاعتقال و الحكم عليه بالإعدام كما تعلمون.

هذا فضلا عن المساحة المحدودة للمعركة التي حاصرتها أرتال العدو بآلاف من العساكر المتمرسين مدججين بجميع أنواع الأسلحة القاتلة، و الإمداد المتواصل المنتظم طيلة أسبوع كامل ليلا نهارا لم تنقطع فيه المعارك وقد فشلت كافة خطط العدو في اختراق الخنادق والتحصينات الطبيعية والرباطات التي تحصن فيها الثوار على قلة عددهم و عدتهم و ندرة أسلحتهم و مؤونتهم و انقطاع الإمداد عنهم بفعل الحصار المضروب عليهم جوا و برا أياما و ليال معدودات.

و قد أدرك المجاهدون بقيادة الشهيد البطل شيحاني البشير رحمه الله خطورة الموقف و حجم المعركة و أبعادها المحلية و الدولية، بحيث لما كانت المنازلة على أشدها بين المجاهدين و العدو، كانت القضية الجزائرية على جدول جمعية الأمم المتحدة.

إذن، فالمعركة عند استحضار كل دقائقها و ملابساتها قبل النزال وأثنائه و بعده تبين إلى حد بعيد أن مخططيها ومدبريها ميدانيا، كانوا من الذكاء و بعد النظر و الشجاعة و الإيمان ما يجعلهم محل إجلال و إكبار و محط اهتمام يتجاوز السرد التاريخي و الحكي التقليدي إلى التمعن العميق والتفكير الصائب و التحليل الموضوعي.

و من الخطأ بمكان أن يعتقد البعض أن المعركة بين الطرفين حدثت صدفة أو اعتباطا، فمن جانب القيادة الثورية كما تعلمون، تبنت مرحلة نشر العمل المسلح و تعميمه على كافة المناطق حتى لا ينحصر ضمن شرنقة ضيقة و مناطق محددة يسهل على العدو مراقبتها ووأدها في المهد، وكذلك رفع معنويات المجاهدين بالانتقال النوعي إلى الهجوم لكسر الحواجز النفسية مع الخصم الذي يمتاز بالتفوق المادي المطلق، والرد على مخططات العدو، و دعاياته المغرضة بفضل وسائله المتطورة في الاتصال و الإبلاغ و تشويه الحقائق وإظهار الثوار كخارجين عن القانون، و مرتزقة وقطاع طرق و أقلية ضالة لا تسندها إرادة شعبية، ولا تستند إلى شرعية معينة مما يسهل عليه ضرب التلاحم بين المجاهدين و المواطنين، و هي القاعدة الأساسية في معادلة النصر،

وحتى يبرر الاستعمار جرائمه الفظيعة ضد الثوار ومن يدعمهم ويسندهم، و كذلك ليسوق للعالم وجهة نظره المغلوطة عن الحرب، وأصدائها التي اكتسحت أرجاء لا حدود لها في الرأي العام العالمي الشعبي و الرسمي.

لذا رأينا كيف أن القيادة الثورية قامت قبل المعركة بجمع أعداد كبيرة من الثوار من مناطق الأوراس و إخطار الجماهير بأرقام معتبرة بمن فيهم الأجانب ليلقي فيهم القائد الرمز شيحاني بشير خطابا يعد وثيقة تاريخية يجب الاهتمام بها من قبل أصحاب الاختصاص لأنها استهدفت إخراج الثورة من الجبال و من بنادق الرجال إلى قلوب الجماهير و ضمائر الناس و صبت إلى إشراك الشعب كل الشعب في رسالة التحرير و إيصال رؤية الثورة إلى العدو نفسه، ليدرك بأن المعركة معه هي قضية حق تاريخي مغتصب، وقيمة إنسانية تحريرية ترفض الاحتلال و الهيمنة و الفساد لاعتباره جريرة و قبحا و جريمة ضد الإنسانية، تتعارض مع كينونة شعب وإرادة أمة وكرامة وطن.

و قد تَقَصَّدَ الشيحاني في خطابه القول، بأنّ على العدو أن يعرف تماما ما نفكر فيه و يدرك موقفنا منه، و دعا الحاضرين إلى إيصال الرسالة بأمانة إلى العدو و قطع بكلامه خط الرجعة على المترددين والمشككين و طمأن الشعب بأحقية الثورة، و بحتمية نصرها وقال بصريح العبارة، "هذه الأرض ليست لفرنسا".

السيدات و السادة

لا أريد أن أضع نفسي محل المؤرخين و لا مقام الرجال الذين أسهموا في هذه المعركة كشهود عيان، ومنهم من قضى نحبه، ومنهم من ينتظر جنات النعيم، بإذنه تعالى جراء ما افتدوا به الحق في سبيل إعلاء كلمة الله، و رسالة الوطن، لا أريد أن أسرد مجريات تلك الملحمة ولا خلفياتها، و نتائجها بل ما أضافته كقيمة مادية و معنوية و رصيد تاريخي لحركة التحرير، استبقت به مشاريع العدو لإطفاء لهيب الثورة، و تقزيمها.

و لكن و نحن نحتفي بذكراها الثانية و الخمسين، بودي أن نستوحي منها دروسا موضوعية، و نقتبس من نورها إشعاعا نستنير به على هدي المستقبل لنواجه التحديات المطروحة علينا.

إذ كان بكل الحسابات الممكنة، أن تلك الملحمة كانت مستحيلة التحقيق بعيدة عن النصر لَوْلاَ اجتماع الايمان بالحق، و الاعتقاد بشرعية الرسالة و إيثار الحرية والكرامة و السيادة بثمن الاستشهاد المحقق على الخنوع و الركوع المقيت مقابل الحياة الذليلة.

كانت تلك هي خيارات المنازلة، فتصوروا جيشا من مجاهدين لا يتعدى عددهم المائتين و خمسين فردا يعوزهم السلاح و الذخيرة والطعام يحاصرون في منطقة محدودة قرابة أسبوع أمام الآلاف من جيوش العدو، بكل أسلحتهم العصرية و تدريبهم الجيد، و خطط جنرالاتهم وخبرائهم وتميزهم بالتفوق الجوي في هذه المعركة، و قد

اعتمدوا كل أنماط و أساليب الحرب التكتيكية و اتباع نهج الكر والفرّ، و تداول الهجومات من سلاح لآخر، والاختراق الخاطف، والهجوم الشامل بالتساوق بين مدافع الميدان والبنادق الفردية والقنبلة الجوية والرمي عن بعد، وإدخال تقنيات جديدة لأسلحة تتجاوز مجال المعركة، بما في ذلك إعماء المجاهدين بالغازات و الدخان الكثيف، كل ذلك ضمن خطة حصار محكمة ليلا نهارا لقطع الإمداد على الثوار، وتجويعهم، وتدمير معنوياتهم، و ترويعهم بمناداتهم للهزيمة و الموت المحقق وما إلى ذلك من أساليب الصدمة والترويع.

و هنا يحتار المتأمل أمام الصمود الأسطوري لتلك الثلة من الرجال في ذلك الامتحان الصعب، و ينشط خياله الخلاق ليستبطن ثواني ودقائق و ليالي و أيام المعركة الطويلة.

فبكل التقديرات يعجز الكيّس منا في استيعاب مجريات هذا الحدث التاريخي.

فقدرة الإنسان على الصمود لها حدودها، و طاقته على الصبر لها سقفها، وشجاعته و حلمه يزدادان في ظل حدّ أدنى من الموضوعية والتوازن بين طرفي الصراع.

و من أروع مظاهر النبوغ الثوري قرار القيادة بعد أن نفذت الذخيرة و شحت المؤونة على المجاهدين بفك الحصار ليلا معتمدين على كل قُواهم البشرية و طاقتهم النارية المتبقية لإرهاب العدو

سيكولوجيا، وتقليل الخسائر في صفوفهم، وبث الرعب في جيوشه التي أحكمت حصارها على المنطقة كلها بما في ذلك المدنيين أيضا.

كما يتبدى حلم القائد الذي آثر خروج جنوده ليبقى مع أصحابه في الغار، تماما مثل ربان السفينة الغارقة في اليم لا يهجرها إلا بعد أن يغادرها ركابها و تعلوها الأمواج.

هذا سر آخر من أسرار ثورتنا المباركة، حيث كان قادتها لا يأكلون إلا إذا أكل جنودهم، و يتقدمونهم في الجبهات الأولى للنزال. و في ذلك مثل أعلى للمقاتل البسيط فيزداد إيمانا بالقضية و تعظم في عينه همة القائد، فيتنافس الرجال على النصر أو الشهادة.

السيدات و السادة

أردت في هذه العجالة المقتضبة جدا، أن أنفض الغبار عن صفحة من الخلود ليقرأ فيها الخلف الصالح آيات النصر و الصمود.

أردت في هذه العجالة أن أهزهز الضمائر للموعظة الحسنة والذكر المبين، أردت أن تجدد الأجيال العهد مع معالي القيم.

أردت أن تصحو العقول و تنشط الأذهان لتقرأ من جديد تاريخ الإنسانية قاطبة في تاريخ الوطن و لِتُؤَصِّلَ الأجيال نفسها في معين خالد، و مسيرة مظفرة و إنجاز عظيم تمخض عن إرادة وإيمان وتصميم.

فالتاريخ مشروع استثمار لا يتوقف عند حقبة، و لا ينتهي بانتهاء أحداثه، و لا يتحدد بجيل وحده، إنما هو مصير متجدد، ورصيد لا ينضب و رؤية استشرافية تتواصل من خلال بناء الإنسان، وبناء الإقتصاد و تطوير المجتمع، و ترقية السلوك الحضاري، و تحقيق النهوض بالأمة و بالوطن كأفضل ما يكون النهوض.

و لا يجب أن تخيفنا النكبات، و لا تصدنا الصعاب، ولا تثني من عزائمنا الهزات، نحن أمة خلقت للتحدي، و لئن أصابنا في محطات عديدة الوهن و الخمول و الضعف فإن في جيناتنا و في كياننا الثقافي من المخزون، و في أرضنا من الثروات ما هو كفيل بأن يضعنا على سكة النهضة و الرقي.

و على الرغم مما يشاع هنا و هناك، من رؤية سوداوية، ومحاولات لجلد الذات و التقليل من الإنجازات، فإننا و بكل تواضع وموضوعية قادرون على التواصل مع عبقريتنا من خلال الثقة في النفس و الإخلاص الحقّ في العمل و الإبداع و الاهتمام الأكبر بالشباب.

و لا أظن أحدا يَرى، أو يتجاهل جهود الأمة و الدولة بقيادة رجل مجاهد و مناضل محنك و سياسي ماهر قل نظيره في هذا العصر، الرئيس عبد العزيز بوتفليقة.

فبعد الفتنة جاء الوئام و المصالحة رغم بعض فلول الجريمة والإرهاب المحكوم عليهما بالخسران المبين.

و بعد الشح و الحصار و الأزمات المتربصة، بدأت البلاد تعرف الاستقرار و رغد العيش.

و بعد الصورة القاتمة للجزائر في المحافل الدولية، تغيرت المعطيات و أصبحت الجزائر طرفا هاما و وزنا معتبرا في معادلة العلاقات الدولية إقليميا و عالميا.

و بعد الانحباس و الانسداد السياسي، انبعثت الحركية من جديد في كيان المجتمع و بدأنا نؤسس للديمقراطية، وبناء قيم المواطنة، وإقامة دولة الحق و القانون.

و هي مطالب صعبة و عسيرة و تحديات قصوى وممارسات معقدة تتعلق أساسا بتغيير الذهنيات و زرع وعي حداثي في عقول الأمة و مواجهة التطور التكنولوجي المخيف بكل ما يحمله من تأثير إيجابي و آخر سلبي في ظل غياب الحصانة الفكرية و الخلقية للشباب الذي نعول عليه، في مواصلة مسيرة الحرية و البناء و التطور.

السيدات و السادة

و نحن على مشارف الاحتفاء بالذكرى الثالثة والخمسين لعيد اندلاع ثورة نوفمبر المباركة و في خضم الذكرى الخامسة و الأربعين لعيدي الاستقلال و الشباب، و بلادنا تخوض معركة بناء المستقبل الزاهر، يطيب لي من هذا المنبر أن أحيي كل الحضور الكرام، و أخص بالذكر جيل نوفمبر نساء و رجالا، وأنوه بأبطال هذه المناطق و بكل

مواطنيها، و كل أبطال الجزائر و بطلاتها، و أبتهل إلى العلي القدير أن يزكي ويكلل جهود قائدنا المجاهد عبد العزيز بوتفليقة وكل رجالات الدولة بالنجاح والفوز من أجل خدمة الشعب بكل فئاته، وفئة الشباب تحديدا.

و فقنا المولى لما يحبه و يرضاه

و المجد و الخلود لشهدائنا الأبرار.

و السلام عليكم و رحمة الله تعالى و بركاته .

كلمة الأمين العام
للمنظمة الوطنية للمجاهدين
السيد سعيد عبادو

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على أشرف المرسلين

- أيتها الأخوات
- أيها الإخوة
- السادة الحضور أعضاء هذا الملتقى

يشرفني أن أنقل إليكم تحية الأمانة الوطنية لمنظمة المجاهدين وتطلعها إلى رؤية ملتقانا هذا، وقد وفق في معالجة الكثير من الجوانب المرتبطة بموضوعه الهام وهو (معركة الجرف) أو على الأصح ملحمة الجرف الخالدة.

إن مداخلتي هذه تقتصر على التذكير ببعض آثار هذه المعركة الملحمة التي احتضنتها هذه الربوع المجاهدة وكانت بحق عاملاً ثوريًا وحيويًا عمق الاختيار الثوري وساعد إلى حد بعيد على تحقيق انتصارات بعدية عميقة الأبعاد وفي ظرف قياسي تجاوز كل التوقعات.

أمامنا أيها السادة الحضور قبل تناول ذلك واجب إبداء الامتنان الصادق لمواطني هذه الولاية المضيافة والمتميزة بالبطولة والاستشهاد.

فإلى كل سكان هذه المنطقة الذين استطاعوا بفضل سخاء تضحياتهم افتكاك مكانة مرموقة في سجلنا النضالي تحية عرفان لهم، ذلكم أن أبناء هذه المنطقة المنيعة قد كانوا سباقين في التفاعل مع الثورة حريصين على إشهاد العالم كله و إسماعه عشق شعبهم و تطلعه للحرية و الإستقلال، مدركين تمام الإدراك أن ما ينشدونه سيكلفهم مواجهة صارمة و وحشية المستعمر لكن الإصرار على التضحية والصمود في الميدان كان سلاح أولئك المجاهدين الأوائل الذين عرفوا كيف يتحدون المستعمر رغم تواضع ما بين أيديهم من وسائل المقاومة.

نعم لقد تجذرت في أعماق أبناء هذه المنطقة جذوة التحرر وهم يتدفقون على الإلتحاق بصفوف الثورة مع إشراقة نوفمبر وعلى نحو فاقت دلالته إرادة المستعمر وتجاوزت أهميته نطاق قدرته على استيعاب ما كان يحدث.

فلم يكن أمامه إلا الاستنجاد بترسانته العسكرية التي تدفقت من أماكن مختلفة لمحاصرة الجرف المنيع ثم الدخول في مواجهة غير متكافئة بين جحافل جيوشه ووحدات جيش التحرير الوطني المتمركزة هنا و هناك عبر سفوح جرفنا القاهر في جولة مصيرية اختلط فيها الليل بالنهار و لقنت العدو الفرنسي أبلغ درس في التضحية والصمود.

أيها السادة الحضور، إنها لفرصة ثمينة يستظل فيها هذا اللقاء التاريخي الهام باحتفالات شعبنا بالذكرى 53 لانطلاق شرارة تحرره و أنها لمناسبة تجمع بين إخوة أعزاء كان لبعضهم شرف

المساهمة في الإعداد للحظة الحاسمة و تصدر قيادة طلائع التحرير من المجاهدين في أحلك الأيام و أعقد الظروف فلهذه الصفوة أنبل مشاعر العرفان و إنها للحظات غالية تكبر في النفس رغبة الاستفادة من إسهاماتهم و هم يضعون مع إخوانهم الشهداء اللمسات الأخيرة للإقدام على خوض غمار معركة سيبقى التاريخ شاهدا على أسطوريتها بقيادة القائد الشهيد شيحاني بشير.

إنه لما يبعث البهجة في النفوس و يعزز الأمل في الاستفادة من وقائع هذا الحدث التاريخي المتميز حضور ملتقانا هذا إخوة أجلاء كان لهم حضورهم في إعداد و تنفيذ مختلف مراحل تطور ملحمة الجرف البطولية.

إننا نعتقد أن تحليل مراحل المعركة من منظور تكامل الأدوار بين وحدات المجاهدين سيسمح بإماطة اللثام عن كثير من الجوانب الهامة المتصلة بموضوع هذا الملتقى. ذلكم أن الاختيار الصائب لميدان المعركة و التحكم في تنظيم العمل و الحرص على ضمان التواصل بين تلك الوحدات قد هيأ هذه المنطقة لمكانة رائدة في مسيرة ثورة التحرير و لعل من الأمانة القول في هذا الصدد أن الفضل سيبقى لتلك الطلائع القيادية للمنطقة الأولى يومئذ (أوراس النمامشة). فأولئك الإخوة قد عرفوا كيف يعدون لمواجهة التحديات و كيف يتحكمون في توجيه مسار المعركة فتلكم الخطوة المتقدمة في مواجهة الاستعمار كانت من بين

العوامل الأساسية التي ساعدت على توسيع نطاق المواجهة و تكثيف حلقاتها عبر جهات أخرى من الوطن.

و قناعتي سادتي الحضور أن لهذا الجانب أهميته في سياق مداخلات هذا اللقاء بكل ما يقتضيه ذلك من إسهاب و تحليل خاصة من طرف إخوة عاشوا المعركة يوما بعد يوم و يحتفظون بمعطيات وبحقائق يحق للتاريخ وللأجيال الاستفادة منها و لا يمكن أن تبقى محفورة في الذهن حبيسة الذاكرة، نعم لقد شكلت معركة الجرف مرحلة متقدمة في أبعادها و نتائجها فهي بقدر ما عصفت بأحلام المحتلين الفرنسيين وعجلت باختيار الشعب احتضان ثورته والتفافه حول طلائعه من المجاهدين بقدر ما جعلت الضمير العالمي أمام مسئوليته إزاء ما بدا يتنامى في الجزائر.

ذلكم أن ما حرصت فرنسا على إجبار المجموعة الدولية على التسليم به هو أن الجزائر جزء من التراب الفرنسي و أن ما تعرفه من أحداث هي مجرد اضطرابات ظرفية محصورة في منطقة معينة ستعرف الدولة الفرنسية كيف تفرض الأمن وتعيد الاستقرار و ما كان على العالم أن يدرك أن تداعيات الموقف قد دفعت فرنسا إلى فرض حصار عام على منطقة من تعتبرهم مجرد متمردين و جعلتها هدفا لنيران مدفعيتها و لقنابل طائراتها بعيدا عن أنظار هذا العالم المضلل الذي أعيد إليه رشده قبل ذلك بشهر واحد بعدما وجد نفسه أمام ثورة شعب مقهور يريد التخلص من عبودية مستعمر جائر وأن ما تدعيه فرنسا هو

محض افتراءات ومغالطات زائفة وكان على الشرفاء في العالم الانحياز لمناصرة القضية الجزائرية ودعوة المعتدي للإقرار لهذا الشعب بالحرية والاستقلال وتمكينه من تقرير مصيره.

و إذا كنا نطمح في كل مناسبة إلى استحضار و تحليل ما أفرزته انتفاضة 20 أوت 1955 و ملحمة الجرف على مختلف الأصعدة وطنيا ومغاربيا و دوليا فإن السياق يستوقفنا عند تلكم الحصيلة البالغة الأهمية التي لمسنا آثارها كمجاهدين و ترتب عنها إرغام القوة الاستعمارية على مراجعة حساباتها و الشروع في سحب جزء من جحافلها الرابضة حول الأوراس المنيع و الزج بها في مواجهة الأحداث المستجدة على صعيد منطقة الشمال القسنطيني أو الولاية الثانية التاريخية.

وحقيقي أن تلك الخطوة قد عكست انهزام مخطط إجهاض الثورة في المهد و بات واضحا أن ما على فرنسا مواجهته هي ثورة شعبية عارمة وعامة إذ ما لبثت تطورات الأحداث ميدانيا بفعل جدية المواجهة و اتساع نطاقها أن أرغمت القيادات العسكرية الفرنسية على رفع وتيرة التعزيزات العسكرية بشريا و ماديا تمهيدا لمواصلة حرب إبادة شاملة قوامها كل وسائل التدمير المتاحة ليس فقط على مستوى الدولة الفرنسية و إنما قدرات الحلف الأطلسي أيضا.

و هكذا فقد شكل اتساع ميدان المواجهة و احتدام المعارك على مستوى الولايتين الأولى و الثانية حافزا دفع الإخوة المجاهدين عبر

النواحي الأخرى لمقاسمتهم المعركة فاشتدت في ضوء ذلك الضربات وعمت التراب الوطني كله. و يومها أدركت فرنسا أنها أمام شعب غايته تحرير وطنه من خلال اعتماد الكفاح المسلح و تقبل التضحيات كمدخل وحيد لتحقيق تلك الغاية.

و واضح أن ما أشرت إليه باقتضاب تذكيرا ببعض التأثيرات الحاسمة المترتبة عن تطور مسار الثورة على مستوى الناحيتين ما هو إلا مقاربة و ستظل الأحداث الكبرى الحاسمة في أبعادها و دلالاتها مادة خصبة للتناول و الدراسة.

و إذا كانت سنة 1955 قد حسمت وطنيا في جدية الثورة المسلحة كاختيار لإنهاء الاحتلال الفرنسي فإننا نراها أيضا في بعدها المغاربي بعدما استلهمت حلم أجيال من رواد الحركة الوطنية الذين كان يشدهم طموح تجسيد فكرة المصير الواحد قبل أن يستحكم مفهوم القطرية في أذهان الأحفاد.

ذلكم أن معركة 20 أوت 1955 قد جددت الأمل في النفوس بعدما برهنت عن تعلق الشعب الجزائري مع ما كانت تشهده الساحتان المغربية و التونسية من أحداث و من أجل ذلكم لم تشكل صعوبة الظروف و تعقدها يومئذ عائقا أمام المجاهدين لتأكيد إيمانهم الراسخ بقيم التضامن الأخوي مع الأشقاء في البلدين و بقدر الأهمية التي أولتها طلائعنا لفكرة التضامن المغاربي انطلاقا من قناعتها بوحدة

الهدف و المصير بقدر ما هيأت الظروف المناخ أمام القضية الجزائرية لتشق طريقها نحو المحافل الدولية.

أيها الإخوة الأفاضل، أحيي مرة أخرى باسم كل المجاهدين هذا اللقاء و أتطلع دوما إلى رؤية وقائع و أحداث ثورتنا و قد وجدت إطارها المناسب على مختلف المستويات و بودي القول أمامكم اليوم وقناعتي أنكم تشاركونني الإعتقاد أن مسعانا الرامي إلى استكمال جمع معطيات و وقائع الثورة المباركة لا تزال لم تبلغ بعد المستوى المطلوب مما يستوجب تكثيف الجهود في إطار خطة وطنية واضحة في وسائلها و في أهدافها.

و في الأخير أود باسم المنظمة الوطنية للمجاهدين أن أوجه الشكر و التقدير للسلطات على مستوى هذه الولاية لحرصها على توفير كل شروط نجاح هذه المبادرة و أتمنى أن تأخذ هذه الخطوة أهميتها على مستوى الولايات الأخرى حتى نتمكن من تخليد شهداء وأبطال ثورة التحرير و تسليط الأضواء على الأحداث المرتبط بمسيرة كفاحنا البطولي و العمل على تبليغه لأجيالنا القادمة سيما في هذه الظروف و حيث إقدام الدولة الفرنسية على تمجيد احتلالها و تكريم رموز الخيانة من الحركى و العملاء و أذنابها و الإمعان في التنكر لجرائمها الوحشية التي ألحقت ضررا بالغا بشعبنا إبان حقبة احتلاله و التعالي عن الإعتراف بالذنب و الإقرار بهمجية حقبتها المظلمة فهذا الإصرار يملي علينا واجب العمل على الصعيدين الوطني و العالمي

بصورة مدروسة لإرغام الدولة الفرنسية على تحمل مسئوليتها التاريخية.

نشكركم سادتي الحضور و أتمنى مرة أخرى كل النجاح لفعاليات هذا الملتقى.

المجد و الخلود لشهدائنا الأبرار

و السلام عليكم ورحمة الله تعالى و بركاته.

المحاضرات

الجرف، أم المعارك

إبراهيم قاسمي

الأمين الولائي للمنظمة الوطنية للمجاهدين – تبسة–

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد الله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده ضيوفنا الأفاضل- الحضور الكريم

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته

وبعد ...

أهلا وسهلا ومرحبا بكم على أرض الجرف: قلعة الصمود والتحدي، حيث ذُلت فرنسا ومُرّغ وجهها وسمعتها في التراب، هذه القلعة التي تغنى بها الشيخ الجليل: امحمد الشبوكي رحمه الله حينما قال:

سلوا جبل الجرف عن جيشنا .... يخبركم عن مدى بطشنا

والتي افتخر بها المجاهد والقائد الشهيد الرمز: بن المهيدي رحمه الله حينما قال لجلاديه:

يكفي الجزائر أنها لقنتكم درسا لن تنسوه في معركة جبل الجرف.

هذه القلعة التي كانت آهلة منذ الأزل، يعيش سكانها على تربية الماشية والنحل وزراعة الأشجار المثمرة.

هذه القلعة كانت منذ الحرب العالمية الأولى ملجأ لكل الأحرار الرافضين لأداء الخدمة العسكرية الإجبارية في الجيوش الفرنسية، أو الفارين

منها بأسلحتهم وذخائرهم، أو المطاردين من طرف الإدارة الفرنسية وأجهزتها الأمنية لسبب أو لآخر.

هذه القلعة التي كانت عبارة عن مدرسة من مدارس الثورة، قد كانت منطلقا لمجموعة كبيرة من المتطوعين للجهاد ضد اليهود في فلسطين سنة 1948.

ومنها انطلقت أيضا عدة مجموعات للمشاركة في المقاومة التونسية من بينهم: الحاج صالح بوصفصاف، شريط لزهر، بوزنادة بلقاسم، ثابت لعبيدي، عمارة إبراهيم، بنور علي بن عبد الحفيظ، بورقعة عبد الله الجيلالي ... وآخرون.

وبعد عودة هذه المجموعات، تحولت هذه القلعة إلى مستودع من السلاح والذخيرة الموزعة على نقاط تمّ إخفاؤها بدقة في انتظار قيام الثورة.

هذه القلعة كانت أيضا محجا للقائد الشهيد الرمز: "شيحاني بشير" - رحمه الله- وطيب ثراه- ثلاث مرات قبل استشهاده.

المرة الأولى في منتصف شهر جويلية 1955 عندما كان في طريقه إلى "أم الكماكم" التي أدار شخصيا معركتها الشهيرة في23- 07- 1955.

-- المرة الثانية كانت في نهاية جويلية 1955 عندما نظّم دورية إلى وادي سوف قوامها أربعون (40) مجاهدا، بقيادة: "حمّه لخضر السوفي" ونائبه "جدي مقداد" اللذين أدارا معركة "هود شيكة" في 08- 08-

1955 واستشهد فيها "حمّه لخضر" ونصف أفراد الدورية، وعاد "جدي مقداد" إلى الجبل الأبيض بباقي الدورية.

- المرة الثالثة عندما أدار المعركة موضوع لقائنا اليوم.

هذه القلعة كانت مسرحا لمعركة غير متكافئة بين قوة لجيش التحرير الوطني تقدر بحوالي 300 مجاهد مسلحين بأسلحة متواضعة من أعيرة وجنسيات مختلفة (ليست الكل) وبين القوات الفرنسية المقدرة بما يفوق العشرين (20) ألف من مختلف الأسلحة البرية.. بالإضافة إلى الطيران بجميع أنواعه.

لقد دامت هذه المعركة ثلاث ليال وثلاثة أيام من صبيحة 22-09- 1955 إلى منتصف ليلة 25- 09- 1955، عدا المناوشات التي حدثت في القريب قبل بداية المعركة، وكذا أثناء المطاردة بعد نهاية المعركة.

مع العلم أن معركة الجرف - موضوع لقائنا اليوم- لم يكن مخططا لها من قبل جيش التحرير الوطني ولا من قبل القوات الفرنسية.

إن وجود كل قيادة المنطقة في الجرف إنما كان بسبب الملتقى الجهوي وليس من أجل معركة. كما أن وجود القوات العسكرية الفرنسية الذي كان في الجرف ومحيطه القريب كان ضمن خطة العدو الرامية إلى حصار الولاية وتطهيرها من وجود الثوار.

- هناك قوات أخرى مثل:

1- قوات شريط لزهر.

2- عفيف علي.

3- جدي مقداد.

4- عون عمر البوقصي.

5- عباد الزين.

6- أفواج ومجموعات المنطقة الخامسة.

7- الجيلالي السوفي.

استعمل العدو في المعركة كل إمكانياته.

- استعمل عدة أصناف من قواته الجوية ومنها: الطائرات المقنبلة والعمودية والاستطلاع.

- استعمل عدة أنواع من قنابل الطائرات: ومنها القنابل العادية ذات العيار الثقيل.

القنابل الحارقة مثل النابالم والترميت والفوسفور.

- استعمل العديد من أنواع مدفعيته مثل: مدافع بعيدة المدى عيار 155 مم. مدافع الهاون.

مدافع مضادة للدبابات.

الرشاشات المتوسطة والثقيلة.

- استعمل عدة أنواع من الدبابات مثل: الدبابات الثقيلة.

الصفحات والعربات المجنزرة ونصف المجنزرة.

- استعمل وحدات المشاة مثل:

جنود الاحتياط.

المجندين الأفارقة.

المجندين التونسيين والمغاربة.

قوات اللفيف الأجنبي.

- فضلا عن الهالة الإعلامية والدعائية التي رافقت أيام وليالي المعركة، وظلت ولمدة طويلة تُوظف زورا وبهتانا للتغطية على هزيمة العدو فيها.

1- تضحيات جيش التحرير الوطني وغنائمه:

- الشهداء: 65 شهيدا.
- الجرحى: 43 جريحا.
- الأسلحة: 15قطعة ضاعت ليلة الخروج.

2- تضحيات سكان محيط الجرف:

- عشرات الشهداء من الرجال والنساء.
- عشرات الرجال اقتيدوا إلى مراكز التعذيب والاستنطاق.
- حرق العديد من البيوت بما حوت.
- تجريد النساء من الحلي.
- سلب أثاث البيوت (الأغنام بالخصوص).

3- الغنائم:

- حوالي 50 قطعة سلاح بين فردية ونصف آلية وآلية.
- كميات هائلة من الذخيرة من مختلف العيارات.
- كمية من القنابل اليدوية كانت بين أيادي المغاربة.

4- خسائر العدو:

- حوالي 800 بين قتيل وجريح.
- حوالي 50 قطعة سلاح أغلبها كانت بيد المغاربة.
- كميات هائلة من الذخيرة والقنابل اليدوية.
- حوالي 70 بغلا بأحمالها تم قتلها لمّا تعذر إخفاؤها على أنظار العدو.

صدى المعركة:

كسرت الحاجز النفسي لدى مجاهدي جيش التحرير الوطني، فصاروا لا يهابون العدو مهما بلغ تعداد قواته.

رفعت الروح المعنوية لدى السكان والمناضلين بالخصوص ومتنت الثقة في جيش التحرير الوطني. بقيت حديث كل سكان منطقة تبسة لعدة سنوات.

فتحت الباب واسعا أمام الشباب الذي تهافت على قمم الجبال تطوعا للجهاد.

استحباب العديد من الموظفين لرسائل المجاهدين الداعية إلى الاستقالات الجماعية.

إن الحديث عن معركة الجرف في دقائق لن يكون سهلا بكل تأكيد نظرا لخطورة وأهمية الأحداث التي سبقتها أو رافقتها وللظروف الصعبة التي كانت محيطة بها والسياق العام الذي جاءت فيه.

لقد كانت الثورة ما تزال في عامها الأول، وكان جيش التحرير الوطني ما يزال في طور الإنشاء وفي حاجة إلى السلاح كما ونوعا.

كما كانت المنطقة الأولى أوراس النمامشة (الولاية الأولى في ما بعد)، متأثرة بسبب غياب قائدها المجاهد والشهيد الرمز: "سي مصطفى بن بولعيد" رحمه الله وطيب ثراه.

لقد كانت المنطقة الأولى تتعرض لحصار خانق وساحة لمسح عسكري شامل ودقيق لا يستثني قرية أو دارا أو واديا أو قمة أو صخرة أو شجرة أو أي شبر من الأرض، ويرافق ذلك قيام العدو بقمع شديد ورد عنيف إزاء السكان.

إن كثافة العمل المسلح يوميا على أرض المنطقة الأولى من معارك وكمائن وإغارات وهجومات ليلية ضد مراكز العدو ومواقعه العسكرية وكذا العمليات الفدائية وعمليات تخريب البنى التحتية وحرق وتدمير مزارع الكولون وعمليات التصفية الجسدية للخونة والعملاء ورسائل التهديد الموجهة للموظفين وفي مقدمتهم القياد والشنابيط الداعية إلى الاستقالة الجماعية.

كل ذلك جعل القيادة الفرنسية تقتنع بأن رأس الثورة يوجد في هذه المنطقة وحوله يكمن خطر كبير، لذلك أعدت الخطة التالية وشرعت في تنفيذها.

1- الزج بمعظم قواتها العسكرية الموجودة في الجزائر في اتجاه المنطقة الأولى (الولاية الأولى أوراس النمامشة في ما بعد)، لتطويقها

وإخضاعها لمسح عسكري شامل ودقيق وتطهيرها من وجود الثوار حيث تكون الثورة قد انتهت، كما كانت فرنسا تعتقد.

2 – تدعيما لهذه الإستراتيجية، وضعت خطة ثانية تتعلق بشن حرب نفسية ودعائية خطيرة عبر المناشير التي كانت الطائرات تنثرها يوميا على المدن والقرى وعلى الأسواق الأسبوعية، منشورات تصف الثورة بالعمالة للخارج، وبأن المجاهدين فلاقـــة وقطاع طرق ومن المارقين عن القانون وبأنهم أناس قلائل سوف يتم القضاء عليهم في وقت قصير.

أمام هذا الوضع، قام قائد المنطقة المجاهد الشهيد الرمز: "شيحاني بشير" – رحمه الله وطيب ثراه– بوضع خـــطة مضادة تمثلت فـــي ما يلي:

1 – عقد سلسلة من الاجتماعات مع أهم قادة المنطقة لوضع الجميع في صورة الأوضاع الحاصلة والمحتملة.

2– أصدر تعليمات إدارية وتكتيكية إلى كل جهات المنطقة لتغيير مواقع الإدارات ومراكز الإمداد لكي لا يتفطن إليها العدو بسهولة.

3- كما أمر بضرورة تشتت وحدات جيش التحرير الوطني إلى مجموعات صغيرة (أفواج وفصائل) اتقاء للضربات القاضية وتحقيقا لمبدأ التحرك بمرونة والتسلل من الفواصل بين العدو وأسلحته.

4– أمر بتخصيص دوريات مختلفة المهام للقيام بالاستطلاع والاتصال والتشويش على مؤخرات قوات العدو، ووضع العراقيل

الممكنة على طرق تقدمه نحو معاقل الثورة بأعماق الجبال ليُجبره على التحرك ببطء.

5- قرر عقد ملتقيات على مستوى كل جهات المنطقة يحضرها المناضلون وأعيان المدن والأعراش لتوعيتهم أكثر بحقيقة الثورة والرّد على كافة الصفات والنعوت والاتهامات الباطلة التي ما انفك العدو يتشدق بها باستمرار وعلى كافة المستويات.

تنقل القائد "شيحاني" رفقة نائبيه العسكري والسياسي (لغرور وعجول) إلى جبل الجرف، وقد سبقته دوريات إلى منطقة تبسة لإشعار قادة جيش التحرير بقدومه حيث استقبل بحفاوة. وعلى الفور عقد اجتماعا تقرر فيه إرسال دوريات إلى كل جهات المنطقة لدعوة المناضلين والأعيان إلى ملتقى رأس الطرفة شمال قلعة الجرف (10) كلم تقريبا، وبعد ثلاثة أيام تنقل مساء يوم 20- 09- 1955 إلى رأس الطرفة مرفوقا بـ :

1- عباس الغرور: نائبه العسكري.
2- عاجل عجول: نائبه السياسي.
3- بشير ورتال (سيدي حني): قائد منطقة تبسة.
4- قتال الوردي: كان معينا كقائد لمنطقة سوق أهراس.
5- عباد الزين: قائد فرع ومُعَيَّنا لقيادة ناحية بسوق أهراس.
6- دريد لزهاري: قائد فرع ومعينا لقيادة ناحية بسوق أهراس.
7- فرحي ساعي (بابانا ساعي) قائد فرع.

8- شوشان الباهي: قائد فرع.

9 – دعاس لزهر: قائد قطاع، وكان مصابا بجروح أصيب بها في معركة " أم الكماكم " في 23- 07- 1955 بقيادة القائد "شيحاني".

فكان الاستقبال رائعا، وقد قوبل بحفاوة بالغة من طرف جميع المناضلين والأعيان والمجاهدين الذين سبقوه إلى عين المكان. ألقى خطابا مطولا فاق الثلاث ساعات، تحدث فيه عن الثورة وقال بأنها لم تعد مجرد فكرة أو مشروعا بل أمرا واقعا تولاه الشعب بكامل أطيافه، فصارت حقيقة لا نقاش فيها.

عرف بجيش التحرير الوطني كونه نابعا من أعماق الشعب الجزائري، متحملا مسؤولية القتال والمقاومة المسلحة لطرد المحتل واسترجاع السيادة الوطنية.

بشر بعرض القضية الجزائرية على الجمعية العامة للأمم المتحدة في دورتها العاشرة (10).

فسّر عدة فقرات من بيان أول نوفمبر.

أكد على ضرورة دعم الثورة ومدها بالمال والرجال والسلاح.

أوصى بضرورة احتضان جيش التحرير الوطني ومده بكل ما يحتاج إليه.

دعا إلى وحدة الصفوف والحفاظ على أسرار الثورة وإلى التعاون ضد العدو وضد الخونة والعملاء.

نوه كثيرا معددا مناقب سكان منطقة تبسة وعبّر عن إعجابه بجيش التحرير الوطني وقادته في هذه المنطقة.

أعلن عن إجراءات تنظيمية لحبك العمل الثوري بالمنطقة اتقاء لتداخل المسؤوليات وما ينجر عنه.

ثم طلب من الجميع الانصراف بأقصى ما يمكن من السرعة اتقاء للأخطار المحدقة بالمكان.

- وبعد انصراف الجميع بلغه أن القائد "فارسي محمد بن عجرود" قد دخل معركة مع العدو في المكان المسمى "فرطوطة" على بعد 5 كلم عن رأس الطرفة (15كلم) شمال الجرف.

- فقرر المبيت بـ"رأس الطرفة"، وفي صباح يوم 21- 09- 1955 بلغه أن القائد "فارسي محمد" وفصيلته قد استشهدوا جميعا، وعند وصوله إلى قلعة الجرف عقد اجتماعا استشاريا مع القادة الأكابر لتبادل الآراء حول إمكانية الخروج أو البقاء بالقلعة.

- انقسم القادة إلى فريقين ولكل فريق حجته المنطقية:

1- فريق يحبذ الخروج خشية استشهاد كل القادة في المعركة وتجنب الشعور الرهيب الذي قد يحصل في المنطقة.

2- وفريق يرى بأن الوقت المتيسر لم يعد يسمح بالوصول إلى مكان آخر أفضل تحصينا من الجرف.

قرر "شيحاني" جس النبض فأمر القائد "عباد الزين" بالخروج في اتجاه الجنوب وتفاجأ هذا الأخير بالعدو يتقدم في الاتجاه المعاكس، ووقع

بينهما تناوش من بعيد وعلى ضوء ذلك قرر "شيحاني" عدم الخروج، وأمر بالتمركز واحتلال المواقع المناسبة استعدادا للمعركة في اليوم الموالي.

لكن "عباد الزين" غيّر اتجاهه قليلا، وواصل سيره فأصبح خارج أرض المعركة.

أما القائد "شيحاني" فقد أعطى أوامر بالتمركز واحتلال القلعة بالكامل وتقسيمها إلى قطاعات ومواقع دفاعية تتناسب مع عدد الفروع والأفواج والمجموعات التي كان تعدادها حوالي الـ: 300 مجاهد مسلحين بأسلحة متواضعة من مختلف الأعيرة والجنسيات.

ثم تم توزيع الذخيرة والأكل والتزود بالماء، وبات الاستعداد للمعركة جاريا على قدم وساق، وباتت دوريات المجاهدين تجوب محيط قلعة الجرف، وباتت نقاط التنصت الليلي صاغية.

اليوم الأول من المعركة 22 سبتمبر 1955

عند صلاة الصبح، سمعت أصوات محركات آليات العدو الثقيلة ودباباته تملأ محيط الجرف استعدادا للتحرك، وعند بزوغ الشمس، أفادت مختلف نقاط المراقبة بأنها تشاهد الطلائع الأولى لقوات العدو الراكبة تتقدم على محاور كثيرة وبوتائر مختلفة.

وفي حدود الساعة الثامنة (8:00) صباحا، حلق طيران الاستطلاع في سماء قلعة الجرف ولما أحس بوجود بعض السكان المدنيين ألقى قنابل دخانية إشارية بدأت على إثرها مدفعية العدو بعيدة المدى تدك القلعة،

وبدأت مواشي السكان وأغنامهم تتطاير مع شظايا القنابل، واستشهد على الفور ستة من السكان وفرّ الباقون.

وفي حدود الساعة التاسعة (9:00) هوجمت القلعة بواسطة الطائرات المقنبلة موجة بعد أخرى.

وفي حدود الساعة العاشرة (10:00) بدأت المعركة فعليا على الأرض بين دبابات العدو والمجاهدين المتمركزين على أطراف القلعة من جهة الشمال.

وفي حدود الساعة الحادية عشرة والنصف (11:30) بدأت المعركة أيضا بين المجاهدين ودبابات العدو المتقدمة نحو القلعة من الجهة الشرقية (خلف الإدارة) كما بدأت المعركة أيضا على خط الأفق من الجهة الغربية.

وفي حدود الساعة الواحدة (13:00) هدأت حدة المعركة قليلا إلى غاية الثالثة (15:00) حيث التهبت من جديد وبشدة سعيا من العدو لاستطلاع مواقع المجاهدين جميعا وليس الأطراف فقط. ورد المجاهدون بكثافة أكثر من الفترة الصباحية، ولم تهدأ المعركة إلى ما بعد الغروب، حيث تراجعت القوات الفرنسية قليلا، واتخذت وضعا للمبيت واستمرت في إضاءة أرض المعركة وإطلاق الرصاص عشوائيا تخويفا للمجاهدين وتحذيرا لهم من مغبة محاولة الخروج من الحصار المضروب حولهم أو الهجوم على بعض قطاعاته.

واستغل المجاهدون بدورهم تلك الليلة للتزود باحتياجاتهم من الذخيرة والطعام والماء والدواء وتبادل المعلومات بين الأصاغر والأكابر على حد سواء مع تغيير بعض أماكن التمركز إلى أماكن تبادلية أكثر ملاءمة للدفاع. وبات الجميع على درجة من اليقظة والاحتراس.

اليوم الثاني من المعركة 23 سبتمبر 1955

عند بزوغ الشمس شرعت مدفعية العدو في قصف تمهيدي عمّ القلعة بالكامل ولمدة ساعة تقريبا، ثم فسح المجال للطيران ليقنبل القلعة من الشمال إلى الجنوب ومن الشرق إلى الغرب حتى غدت القلعة والقمم المحيطة بها لا تكاد ترى بين سحب الدخان المتراكمة، علما بأن المجاهدين عند كل قصف مدفعي أو قنبلة بالطائرات يلجأون إلى الاختفاء داخل المغارات، والكهوف الطبيعية والاحتماء بالصخور الجلاميد ثم يعودون إلى مواقعهم بعد كل قصف.

ولكن هذه المرة فوجئوا بوصول العدو إلى مسافات قريبة مستغلا حالة الرؤية الضعيفة بسبب الدخان وبدأت المعركة بين المجاهدين ومشاة العدو المشكلة أساسا من جنود الاحتياط ومن المجندين الأفارقة، ومن التونسيين والمغاربة.

في حدود الساعة (9:30) وصلت آليات العدو ودباباته إلى الخطوط التي احتلها مشاته، واشتد القتال وساهمت أغلبية مجموعات جيش التحرير الوطني في التصدي لهذا الهجوم الذي استمر حتى الساعة الثانية عشرة (12:00) تقريبا، حيث تكبد العدو في هذه

الصبيحة خسائر معتبرة التي كانت في اليوم الأول تقاتل من خلف الدبابات والعربات المجنزرة.

وسقط من المجاهدين عشرة شهداء (10) وجرح ثمانية (08). واضطر العدو إلى التقهقر ثانية إلى المواقع التي كان يحتلها بالأمس، ومرت فترة قلّت فيها حدة القتال.

وفي حدود الساعة الثالثة (15:00) حاول العدو شن هجوم مسائي تواصل إلى ما بعد غروب الشمس، كان الهدف منه التغطية على الأطقم القائمة بسحب قتلاه وجرحاه، ثم عاد إلى مواقع مبيته كالعادة واستمر في إضاءة أرض المعركة.

بعد إعادة تنظيم الصفوف والمواقع تزود المجاهدون بالاحتياجات المتوفرة. وفي الثلث الأخير من الليلة لاحظ المجاهدون حدوث حركات داخل مواقع العدو وشوهدت فوانيس الإضاءة تتنقل ذهابا وإيابا وسمعت أصوات كثيرة.

تبين في صباح اليوم الموالي يوم (24 - 09- 1955) أن العدو قد قام باستبدال قواته الأمامية بقوات من اللفيف الأجنبي (ذوي القبعات الحمراء) المعروفة بالمهارة العالية والقوة الفائقة على القتال تحت مختلف الظروف.

اليوم الثالث من المعركة 24 سبتمبر 1955

في الصباح الباكر، شرع العدو في زحفه من جميع الجهات لاسيما جهتي الشمال والجنوب مستغلا منعرجات الوادي وشجيرات

الطرفة، حيث كانت الدبابات والعربات المجنزرة في الأمام ومن خلفها قوات اللفيف الأجنبي الراجلة، ولوحظ أن عدد أنساق قوات العدو تضاعف ولم يستخدم في هذه الصبيحة لا الطيران ولا المدفعية بعيدة المدى، ولوحظ أيضا استخدام العدو لمدافع الهاون ومدافع الرمي المباشر والرشاشات المتوسطة والثقيلة المثبتة على ظهور الدبابات والعربات المجنزرة بكثافة خارقة للعادة.

كما لاحظ المجاهدون أن الفواصل بين قوات العدو الزاحفة قد انعدمت رغم صعوبة التضاريس الأرضية، فصار واضحا لدى المجاهدين أن العدو قد قرر الولوج إلى قلب القلعة عنوة وعن طريق القوة مهما كان الثمن.

ورغم ثبات المجاهدين واستبسالهم في الدفاع بكل إصرار وعناد، فقد تمكنت بعض الدبابات الزاحفة من ناحية الشمال من احتلال بعض المواقع التي لم تصلها من قبل، وصارت تشكل خطرا كبيرا على المجاهدين المتمركزين لمواجهتها، فانسحبوا تحت ضغط كبير وحدثت بعض الثغرات استشهد من كانوا فيها.

فكان على القائد "شيحاني" أن يتصرف، فدعا نائبيه وقائد المنطقة وكل من "فرحي ساعي" و"قتال الوردي" إلى اجتماع عاجل. وبعد تقييم ما يحصل على الأرض، أعطى أمرا بالخروج من أرض المعركة مع حلول ظلام ذلك المساء مهما كانت التكاليف للتخلص من موقف أصبح غير مرغوب فيه.

وفي نهاية الاجتماع نصحوا القائد بعدم الخروج رفقة المجاهدين خوفا على حياته، ونصحوه بالبقاء بمقر الإدارة وتكفلوا باتخاذ الإجراءات اللازمة لإخفاء مكان وجوده على أمل الرجوع إليه عندما ينصرف العدو من أرض المعركة بعد 24 أو 48 ساعة.

وشرع القائد في توزيع الأمر بالخروج على المجاهدين من مجاهد إلى الذي يليه، ووزعت كلمة المرور فكانت: خ- خرشف، كما أعطيت إشارة بدء الخروج فكانت: الله أكبر.

وتواصلت المعركة ضارية طول النهار، وتعذر على المجاهدين تناول أي طعام إمّا بسبب نفاذه وإما بسبب تعذر توزيعه، وكانت الحركة لدى الطرفين لا تتم إلا زحفا.

واستشهد في هذا اليوم عشرون (20) مجاهدا وجرح حوالي خمسة عشر (15) مجاهدا.

ثمّ جمعهم مع إخوانهم المجروحين من قبل، وتمّ حثهم على الاستعداد للخروج والانسحاب بالاعتماد على أنفسهم مهما كان عمق جراحهم وآلامها وإلا فسوف يجهز عليهم لكي لا يستفيد العدو من أية معلومات قد يحصل عليها في حالة أسرهم، وكان ذلك لتحفيزهم ليس إلا.

وعند الظهر تمكنت عدة دبابات بمساعدة من وحدات الهندسة العسكرية من الوصول إلى نقاط جديدة داخل القلعة من ناحية الشمال، وعند العصر صارت جميع قوات العدو الراجلة على خط الأفق من

جميع الجهات، وتمكن أفراد اللفيف الأجنبي من اختراق مواقع المجاهدين من خلال الفواصل التي استشهد أصحابها، وصارت أصوات الضباط الفرنسيين تسمع بوضوح وهم يحثون عساكرهم على التقدم، وبدأ بعض العساكر من الطابور المغربي ينادون المجاهدين ويقولون إنكم وقعتم في الأسر وأنكم ستسافرون معنا إلى مدينة تبسة.

وفي هذه الأثناء بدأ استخدام القنابل اليدوية في عدد من النقاط داخل القلعة وهي لا تستخدم عادة إلا على مسافات من 25 إلى 30 متر. لقد كان ضغط العدو هائلاً ومن جميع الجهات، لكن أمر القائد "شيحاني" بالخروج قد جعل معنويات المجاهدين أقوى من أي ضغط.

المساء الصعب:

لقد صعب على الجميع التنقل ولو لعدة أمتار، وصارت المعركة تُدار حسب الكفاءات والمهارات الفردية بالنسبة للطرفين، وبات واضحا للجميع أن المعركة أوشكت على نهايتها وأن كل خطوة أو حركة يمكن أن تكلف صاحبها ثمنا غاليا.

وشرعت الدبابات التي نجحت في اختراق مواقع المجاهدين من جهة الشمال في اصطياد المجاهدين على ضفتي الوادي، واستمرت المعركة ضارية حتى حلول الظلام، حيث تنفس المجاهدون الصعداء، وتمكنوا من تفقد بعضهم بعضا ومساعدة جرحاهم واسترجاع بعض الأسلحة التي استشهد أصحابها. ومرت ساعة صعب فيها على الجميع التمييز بين العدو والصديق بسبب:

- العوامل الجوية (مطر وضباب وظلام).
- تشابه لباس الطرفين.
- فقدان السيطرة من قيادات الطرفين.

وحاول المجاهدون الاستيلاء على حوالي سبعين (70) بغلا بأحملتها، ثم تراجعوا وقاموا بقتلها جميعا وغنم كميات هائلة من أكياس الذخيرة وملابس وبطانيات وأغراض أخرى.

فقد المجاهدون خلال هذا الاصطدام الليلي عددا من الشهداء يفوق عدد ما فقدوه طيلة أيام المعركة.

وبمجرد الخروج انقسموا إلى مجموعات ظلت ولمدة أربعة أيام تبحث عن مسالك مناسبة بين أنساق قوات العدو المتتالية التي كانت تسدّ جميع الثغور وتملأ المحيط إلى مسافات تصل إلى 30 كلم في جميع الاتجاهات، مما أدى إلى استشهاد بعض الجرحى بسبب نزيف دمائهم.

ليلة الخروج 25 سبتمبر 1955

في حدود الساعة التاسعة (21:00) ليلا، أذن مؤذّن أن الله أكبر، إيذانا ببدء الانسحاب من وسط الحصار، وردد المجاهدون جميعا كلمة التكبير، ورددتها معهم جنبات وادي الجرف وصدوده، واندفع المجاهدون في أفواج وجماعات نحو البوابة الجنوبية الاتجاه الذي كان محددا من قبل.

وفي ظلام دامس- وتحت مطر نازل- ووسط ضباب كثيف- وعبر واد فائض منعرجاته مملوءة بالمفاجآت وداخل أشجار الطرفة اصطدم المجاهدون بفيلق من الخيالة المغاربة القائمين بحمل الأسلحة والذخيرة على ظهور البغال.

فكان الاصطدام داميا ودمويا، واختلط الحابل بالنابل ولأول مرة يستخدم السلاح الأبيض من حراب البنادق وأخمصتها وكذا الخناجر، إلى جانب الرصاص. وكانت المبارزة رجلا لرجل، وامتلأ الوادي عجيجا وضجيجا، وامتلأت سماؤه بتكبيرات المجاهدين وصراخ عساكر العدو.

وراهن المغاربة على ما لديهم من مهارة وقدرة على خوض القتال المتلاحم، وكان المجاهدون يستعرضون أروع صور الرجولة حبا في الوطن ورغبة في الاستشهاد من أجله.

وقبل بزوغ شمس يوم 25- 09- 1955، تسابقت قوات العدو من كل الجهات وتلاقت وسط أرض المعركة ولم تعثر إلا على أجساد الشهداء في ساحة الاصطدام الليلي، كما ظفرت بمجاهدين أعاقتهما جراحهما على الانسحاب وهما:

- المجاهد: سالمي بوبكر (ممرض).
- والمجاهد والقائد الشهيد الرمز: بخوش محمد بن الصدراتي، الذي فقد ساقيه الإثنتين ونزفت دماؤه بقوة فكان بين الحياة والموت لا يقوى على أي كلام.

فقام الضباط الفرنسيون بإعدامه وفصل جمجمته عن جسده وتثبيتها على مقدمة إحدى المصفحات، وأوتي بها إلى مدينة الشريعة في صورة استعراضية تخويفا للسكان وإرهابا لهم.

التفطن إلى مكان القائد شيحاني:

تنبه العدو إلى مكان القائد "شيحاني بشير" وقام بفتح الغار، وظل يناديه ويحاول إغراءه ويمنّيه بالأمان المضمون ولما تأكد من عدم الاستجابة لإغراءاته قام بضرب قنابل سامة داخل الغار، ثم سدّه بإحكام.

و بعد أن جمع جثث قتلاه ترك قوة بعين المكان وكانت نواة لمركز مراقبة متقدم لعدة سنوات، وانتقل إلى عمليات المطاردة لمجموعات المجاهدين المنسحبة وإلى رد فعل إزاء سكان محيط الجرف.

فقتل الرجال في مجازر جماعية بشعة، وأحرقت المنازل والبيوت بمن فيها، وجردت النساء من حليهن وصودرت الأرزاق والمواشي بالآلاف، واقتيد عشرات الرجال إلى مراكز التعذيب والاستنطاق.

مصير القائد شيحاني:

أما عن مصير القائد "شيحاني" ورفقائه الستة فقد ظلوا في باطن الأرض لمدة ست ليال وسبعة أيام (ثلاثة عشرة وجبة) في ظلام حالك وعرضة للبرد والرطوبة الشديدة بلا ماء أو طعام، يتلمسون الصخور في اتجاهات لا يعلمون إلى أين ستؤدي بهم، ورغم الجوع والعطش والتعب والإرهاق، بقي التشبث بالحياة قائما ووفق المجاهد:

"علي المعافي" إلى كوة صغيرة وبصيص من الضوء، فعاد أدراجه وبشر رفقاءه بقرب ساعة الفرج، واستطاعوا تحويل تلك الكوة إلى منفذ أوسع خرجوا من خلاله الواحد تلو الآخر، ولاحظوا وجود عساكر العدو في أسفل الوادي، فلازموا السكوت حتى الغروب، وعند تجمع عساكر العدو لتناول العشاء شرعوا في التحرك طوال الليل.

وفي اليوم الموالي، عثروا على بيت منعزل أكرمهم صاحبه وبلّغ عنهم أقرب مجموعة من المجاهدين، وكانت مجموعة القائد "عباد الزين".

معركة الجرف بين استراتيجيتين

د. يوسف مناصرية
قسم التاريخ - جامعة باتنة

تقديم:

اعتمدت الاستراتيجية الفرنسية منذ اندلاع الثورة التحريرية على ركيزتين أساسيتين، تمثلت الأولى في استعمال القوة والإفراط فيها ضد الثوار، ومحاصرتهم في المنطقة الأولى (أوراس النمامشة) بالأساس، ووصفتهم بعدة نعوت منها (الوافدون من الخارج، الخارجون عن القانون، الإرهابيون...).

وتمثلت الثانية في محاولة فصل الشعب الجزائري عن الثوار، وإقناعه بعدم جدوى العمل العسكري، وإحداث الارتباك بين الطرفين ومنع الالتحاق بالثوار، واعتماد إصلاحات سياسية واقتصادية واجتماعية وإقناع زعماء الأحزاب السياسية بتلك الإصلاحات.

وكان عمل الثوار قد تمركز حول إفشال هذه الاستراتيجية العسكرية والسياسية والقضاء على مشاريع الاستعمار.

وسنحاول في هذه المداخلة التطرق إلى هذين المحورين اعتمادا على بعض الوثائق الفرنسية نفسها مقارنة مع بعض آراء الجزائريين المجاهدين مركزين على المنطقة الأولى التي كان أغلب مجاهديها من ذوي التجربة العسكرية. فمنهم من أدى الخدمة العسكرية الإجبارية في صفوف الجيش الفرنسي ومنهم من شارك في الحرب العالمية الثانية ومنهم من شارك في الثورتين العربيتين الفلسطينية سنة 1948 والتونسية 1953- 1954.

الاستراتيجية الاستعمارية العسكرية:

عملت القوات العسكرية الفرنسية بقيادة الجنرال شاريار (Cherriere) منذ سبتمبر 1954 على محاصرة الجزائريين ومراقبة الحدود الجزائرية التونسية وخنق الثورة في مهدها بالمنطقة الأولى، ووقع التنسيق بينه وبين وزيرا الداخلية، فرانسوا ميتران ، والدفاع جاك شوفاليي، للقضاء على الثورة بكل الوسائل وأمروا باستعمال الأسلحة المحرمة ضد الشعب خاصة في الريف مثل النابالم والقنابل المحرقة اعتقادا منهم أنهم يستطيعون القضاء على عزيمة الشعب وفصله عن الثوار.

وقد فشلت كل تلك المشاريع أمام صلابة وقوة الثوار، ولم يصل شهر جانفي 1955 حتى أحدث الجنرال شاريار عمليات عسكرية وصفت بالآلة الضاغطة (Rouleau Compresseur) هدف من ورائها للقضاء على كل متحرك في الجبال وخنق الثوار في مهدهم، وقطع أنصارهم في كل مكان[1].

وهكذا تكثفت القوات الاستعمارية وكثرت تجهيزاتها وتنوعت من طائرات مقاتلة مقنبلة، وهيليكوبتر ودبابات ومجنزرات وشاحنات نقل وأجهزة اتصالات، وأسلحة ثقيلة وخفيفة[2] . ودامت تلك العمليات مثل (Véronique) طويلا وواجهها المجاهدون بقوة وكثرت المعارك وتوزعت على مستوى المنطقة الأولى كلها منها ما أحصت الذاكرة الجزائرية، ومنها ما سجلته الوثائق الفرنسية وكانت النتيجة النهائية

لصالح الثورة على الرغم من الخسائر الكبيرة، ذلك أن فرنسا لم تتمكن من تحقيق أهدافها.

وقد قامت المصالح الفرنسية بإحصاء لقواتها المنتشرة في المنطقة حتى جويلية 1955، ووضحته كالتالي:

- 4 فيالق وطابور مغربي تمركزت في أريس.
- 6 فيالق وطابور مغربي انتشرت في خنشلة.
- 1 فيلق واحد وطابور مغربي وكتيبة صحراوية متنقلة انتشرت في جنوب بسكرة.
- 3 طوابير مغربية، وكتيبتان متنقلتان من اللفيف الأجنبي منتشرة في تبسة.
- 2 فيلقان إثنان و6 سرايا منتشرة في باتنة.

وعلى الرغم من انتشار هذه القوات بأجهزتها الحربية (مدرعات، مجنزرات، طائرات، مقنبلة، وهيليكوبتر) والتي بلغت بالمنطقة الأولى حتى جويلية 1955، 19 فيلقا و3 كتائب و6 سرايا، تدعمها القوات الخاصة، والدرك والقوات المساعدة وقوات الخونة (الدفاع الذاتي والحركة)، على الرغم من ذلك فلم تستطع التوصل إلى القضاء على الثورة كما كان مخططا لها، بل أن المعارك تواصلت وانتقلت من الكمائن والحرب الخاطفة إلى الحرب المتحركة والمواجهة[3].

وتدعمت الاستراتيجية الفرنسية بالقوانين الرادعة مثل قانون الطوارئ والتهجير الذي اعتمده البرلمان الفرنسي في أفريل 1955،

ليطبق في المنطقتين الأولى والثالثة أولا. غير أنه طبق في الأولى منذ صدوره وأُجل إلى أكتوبر من نفس السنة في المناطق الأخرى، بقيادة الجنرال بارلانج (Parlange)، القائد الجديد للقوات الاستعمارية الذي جُمعت بيده السلطات العسكرية والسياسية لتطبيق الاستراتيجية الاستعمارية العسكرية التي واكبت مشاريع سوستال الحاكم الجديد في الجزائر والتي كان لها وجهان واحد سياسي اقتصادي اجتماعي والثاني عسكري تمثل على وجه الخصوص في اعتماد استراتيجية الحرب الخاطفة للأفواج الخفيفة عند توفر المعلومات عن تمركز جيش التحرير، واستعمال طائرات الهيليكوبتر وخصص لكل فيلق كتيبة عرفت باسم (الكتيبة الخاصة) وهي مدربة على القتال في الليل وحرب العصابات المضادة.

وفي إطار الاستراتيجية الهادفة إلى خنق الثورة ومنع التموين عنها من المشرق العربي، عرفت القوات الاستعمارية تقسيما جديدا، فأصبحت عنابة ولاية إدارية منذ 5 أوت 1955 وقسمت إلى دوائر إدارية وعسكرية منها تبسة من أجل خنق الثورة وتطويقها عبثا. وطبقت عملية عسكرية جديدة عرفت في الوثائق الفرنسية باسم (Opération Timgad)[4]. دامت سنة كاملة وركزت خاصة على الحدود الجزائرية التونسية خاصة منطقة تبسة بئر العاتر حتى مشارف الصحراء، وواجهها الثوار بكثرة المعارك على الحدود، وكثير منها وقعت على الأراضي التونسية (الرديف وقفصة..)[5].

ولا نعرف بالضبط تعداد رجالها وعتادها ولعلها ضمت جيشا وصل تعداده إلى 40 ألف عسكري بعتاده والقوات المساعدة له.

وحسب الإحصاءات الفرنسية المنشورة فإن القوات المتمركزة في المنطقة الأولى مع منتصف 1956 كانت كالتالي:

- 20 فيلقا تمركزت في باتنة مع مجموعة المدرعات، ومجموعة الأرتيري، و30 سرية.
- 20 فيلقا للمشاة تمركزت بتبسة مع 3 مجموعات مدرعة، ومجموعة من سرايا الدرك الخيالة، و4 سرايا للدرك المتحركة.

إن تمركز القوات الاستعمارية بهذه الكثافة في المنطقة الأولى لهو دليل قاطع على ضراوة المعارك في المنطقة وتركيز القوات الاستعمارية عليها.

استراتيجية الثورة:

لقد تركز نشاط الثورة عند اندلاعها، في المنطقة الأولى (أوراس النمامشة) واعتمدت أحداث اللا أمن لدى القوات الاستعمارية ومهاجمتها وضرب مصالح الاستعمار وممتلكاته، والعمل على كسب الشعب إلى جانبها والضرب بقوة على يد الخونة والمناوئين للثورة، وضمان التحرك بحرية في الوسط الشعبي وضمان تجنيد الشباب وتموين وتمويل الثورة.

وقد توسعت الثورة بسرعة في المنطقة الأولى وعمت خلال سنة 1955 جبال الأوراس، وجبال النمامشة، ومنطقة بلزمة ومتليلي، والزيبان

وتجاوزت غرب بسكرة وبوسعادة وجبال الحضنة، والهضاب العليا، وجبال سوق أهراس وبني صالح، وجبال تبسة، وأصبحت حدود المنطقة الأولى قد عمت جزءا كبيرا من التراب الوطني من برج بوعريريج إلى سطيف والخروب وعين عبيد وطريق قالمة وسوق أهراس حتى القالة والحدود التونسية ثم من البرج إلى المسيلة وبوسعاده في اتجاه الصحراء وضمت وادي سوف والحدود الليبية.

وكان جيشها يتكون من أكثر من 6000 مجاهد مسلحين بسلاح حربي وصلت نسبته إلى 75 بالمائة وسلاح صيد بنسبة 25 بالمائة، وخاضت المعارك الكثيرة ضد القوات الاستعمارية وتصدت إلى العمليات العسكرية الفرنسية الكبرى[6].

وعمل قادتها وأولهم ابن بولعيد ثم شيهاني على تنظيم أفواج الثورة وهيكلتها وتقسيم المنطقة إلى مناطق ونواحي وقسمات، بعدما سميت القيادة (باسم الإدارة العليا للثورة) في صيف 1955 منها منطقة أريس وباتنة وبسكرة وسطيف وبلزمة وبئر العاتر وتبسة والحدود التونسية وسوق أهراس وعين البيضاء ومسكيانة وغيرها. وهكذا انتشرت الثورة في كل الاتجاهات وأرسل القائد شيهاني بشير أفواجا من المجاهدين إلى ناحية عين فكرون، وعين البيضاء وسدراتة وعين مليلة، وأفواجا أخرى إلى المنطقتين الثانية والثالثة[7]. وقد ذكر الجنرال J.Allard، قائد القوات الاستعمارية في قسنطينة (مارس أوت 1955) أن أفواجا قدمت من المنطقة الأولى قد تسربت إلى المنطقتين الثانية والثالثة.

وقاد أفراد تلك الأفواج معارك ضد العدو واستشهد جميع أفراد الفوج الذي وجه إلى المنطقة الثالثة. كما أن الجنرال نفسه سجل أن الجانب العسكري قد حسم ضد الفرنسيين في المنطقة الأولى، وأنه لم يعد بإمكان العسكريين الفرنسيين تجاهل ذلك وأصبح جيش التحرير الوطني أمرا واقعا يدعمه الشعب[8].

وكانت المنطقة الأولى قد اهتمت بالتصدي إلى المخططات الاستعمارية العسكرية والسياسية والدعائية فمثلما واجهت المنطقة الثانية مخططات جاك سوستال السياسية التي نجحت في تكوين (لجنة سوستال الإصلاحية) والتي انضم إليها الكثير من زعماء السياسة والأحزاب الجزائريين وأدخلوا الشعب من أتباعهم في مرحلة تردد (هل يتبعون من هم معروفون من رجال الحركة الوطنية المنضمين إلى لجنة سوستال، أو يتبعون الثوار وأكثرهم غير معروفين) وصفوا بالمغامرين !.

ولم يكن أمام القائد زيغوت يوسف إلا تنظيم هجومات 20 أوت 1955 لإفشال استراتيجية سوستال السياسية، وقد نجح في ذلك ومع الأسف الشديد فإن الشهادات الجزائرية أغلبها تغاضت عن إبراز استراتيجية القائد زيغوت وتفوقه على مخططات الفرنسيين واستراتيجية قادتهم ونجد الأغلبية تركز وتدعي أن هجومات 20 أوت 1955 كانت لتخفف الحصار على الأوراس، وهو إدعاء تنفيه الوقائع لأن فرنسا كثفت قواتها أكثر فأكثر في المنطقة الأولى وإحصاءاتها تشهد

على ذلك بالإضافة إلى أن المنطقة الأولى دعمت المناطق الأخرى بأفواج من الرجال وكميات من السلاح أشار إليها بعض المجاهدين، وذكرتها الوثائق الفرنسية.

ويمكن أن نستثني من شهادة المجاهدين ما سجل عن المجاهد المرحوم (صالح بوبندير) الوحيد -في حد علمنا- الذي ذكر أن زيغوت نظم الهجوم لمواجهة مخطط سوستال الذي كاد أن يقضي على الثورة بفعل السياسيين الجزائريين الذين انضموا إلى لجنة إصلاحات سوستال وطالبوا بتطبيق قانون 1947 كحد أقصى.

لقد واجهت المنطقة الأولى الاستراتيجية الفرنسية الهادفة إلى عزل الشعب عن الثورة ومحاصرة المجاهدين في الجبال وأصدر الشهيد شيهاني أوامره للشعب الجزائري لكي يقطع معاملاته مع الإدارة الاستعمارية، وكل من يخالف ذلك يلقى جزاءه ويعتبر من الخونة. وكان على الجميع أن يحدد موقفه بوضوح وكل من تثبت عليه الخيانة يحاكم وتسلط عليه العقوبة الملائمة[9].

وقد لبى الشعب الدعوة وحاولت الشرطة الفرنسية منع ذلك فلم تستطع رغم التسلط والتعذيب والقهر.

وشهدت الكتابات الفرنسية ومنها كتاب العقيد كالي (J.Callet) أن الثورة استطاعت أن تحفر خندقا واسعا بين الشعب والإدارة الاستعمارية، فانقطعت العلاقة بين الأحياء الشعبية (في تبسة) والإدارة الاستعمارية نهائيا.

ثم خصت الثورة الموظفين الجزائريين في الإدارة الاستعمارية بالخطاب وأمرتهم بالابتعاد عن خدمة الاستعمار وصارت الإدارة عاجزة أمام هذا الفعل الثوري ولجأت إلى الانتقام بفك عزلتها ونكلت بالشعب في الدواوير والمداشر والقرى والمدن.

ولم يرضخ الشعب إلى همجية الاستعمار والتف حول الثورة بكل ما يملك وفشلت استراتيجية الاستعمار في كسب الشعب وعزل الثوار، ولم يبق أمام الجلادين إلا أمرين إثنين (إما إخضاع الشعب لإرادة الاستعمار وإما إبادته)، ومن هنا جاء ت الآلة التدميرية والقتل الجماعي في المحتشدات وحرق المداشر وسلب الأرزاق، ولكن إرادة الشعب كانت أقوى ولم يؤد ذلك إلا لمزيد من دعم الثورة.

ونظرا لتطور الثورة في العدد والعدة والتوسع، عمل شيهاني ومن معه (ذكرت المصادر الفرنسية القادة المساعدين لشيهاني، وأبرزهم الشهيد عباس لغرور، والوردي قتال – كان يجلس دائما على يمينه –)، على تأسيس إدارة جزائرية مضادة للإدارة الاستعمارية وصار للشعب إدارته ومسؤوليه، وقد أكدت الكتابات الفرنسية ذلك من خلال الوثائق التي حجزتها في حملاتها التفتيشية في مدينة تبسة.

كما أسست الثورة هيئات كلفت بجمع الأموال ونسج شبكة للتموين والتمويل ومراكز للتخزين والعبور والاتصال، وكانت تلك الهيئات القاعدة الأساسية لبناء هيئات الثورة المستقبلية بمختلف مهامها العسكرية والسياسية وهي الهيئات (التموين، التمويل، العبور،

الراحة، التدريب) والتي وجدها المجاهدون بعد مؤتمر الصومام أمامهم خاصة على الحدود التونسية، وواصلوا العمل بها[10].

لقد شهد العسكريون الفرنسيون أنفسهم أن الثوار استطاعوا بكل جدارة أن يعزلوا الإدارة الاستعمارية عن الشعب قولهم: "لقد استطاع الثوار بكل أسف أن يهيمنوا على مدينة تبسة وضواحيها، وقد ربحوا الجولة الأولى. تستطيعون الذهاب إلى المدن الأهلية فتفهمون ما كنا نسميه الجدار الصامت أن الشعب يتجنبنا وكأننا نحن المسؤولين عن المصائب التي تكبله، لقد استطاع الثوار أن ينشروا هيمنتهم"[11].

إن هذه مسؤولية أخطاء الكولون والتهميش الذي صدر عن السلطة في باريس وعلينا إعادة الاتصال بالشعب وفتح الحوار معه، وهذا لن يتأتى لنا إلا بالقضاء على الثوار؟ والقضاء على جهازهم الإداري والسياسي والأمني، عندئذ سيعود الشعب لنا ونستطيع حينذاك الانطلاق في عملنا النفسي. لم يبق لنا سوى العمليات العسكرية في الجبال الأبيض وأرفو والجرف[12].

وقد فشلت سياسة التهدئة التي انتهجتها فرنسا والتي كانت تهدف إلى فصل الشعب عن الثوار وعزلهم في الجبال واعتبارهم قطاع طرق لا صلة لهم بالشعب الجزائري.

وقد تحصن الثوار بالجبال الصعبة ولم يستسلموا لعدوهم وواصلوا كفاحهم ضد المستعمر، وقد وصفت الكتابات الفرنسية ثوار المنطقة الأولى (أوراس النمامشة) أنهم رجال خلقوا للثورة وحرب

العصابات وطبعهم شبه طبيعتهم، يسيرون ليلا، ويهجمون بعنف وقوة، وهم يتمتعون بالمبادرة الفردية وفقا لذهنيتهم الاستقلالية، إن هذه الجبال قد ضمت القبائل الأكثر رفضا للأجنبي، فهي الجبال التي احتضنت الرجل التاريخي يوغرطة في مواجهة الرومان، كما احتضنت لزهر شريط ورفاقه بابانا ساعي فرحي والوردي قتال وعباد الزين وعمر البوقصي وغيرهم كثير من المجاهدين الذين حاربوا الاستعمار بدون هوادة ومرروا السلاح والمؤن للمجاهدين وضربوا على يد الخونة عملاء الإدارة الاستعمارية وتمكنوا من فرض النظام الثوري وضيقوا على السياسة الاستعمارية وأفشلوا مشاريعها العسكرية والسياسية والدعائية[13].

ولم يبق أمام الاستراتيجية الفرنسية إلا المواجهة العسكرية اليائسة بعد أن أغلق المجاهدون أمامها كل المنافذ واسقطوا كل احتمالاتها. وكان الخوف ينتابهم وهم يترددون في المواجهة ويتساءلون كيف يمكن لهم مواجهة رجال خلقوا للحرب ورضعوا الحرية في لبن أمهاتهم.

ويقول ضباط المظليين المقيمين بمدينة تبسة إن المواجهة ستكون صعبة على الرغم من الإحتياطات المتخذة، وأن الدخول في حرب شرسة وصعبة كان أمرا محتوما، "وقد سبق وأن خضنا معارك دامية دون نتيجة نهائية في الجبل الأبيض ووادي هلال، وأرفو الشهير والذي كان مكمن للمجاهدين المتحصنين والصامدين والصابرين صبر الأبطال

متحدين الموت". إن جبل أرفو العجيب يقف حاجزا أمام تقدم الدبابات ويبطل نيرانها، أما الطائرات فلم تكن لها إلا صورة جزئية، وكان مستحيلا عليها الوصول إلى الرماة المنفردين الذين تحميهم الصخور الصلبة المنيعة. فقد تمكن رماة المجاهدين من بلوغ أهدافهم وقد شهد الضباط الفرنسيون على أن المجاهدين يعتبرون من أبرع الرماة على الإطلاق[14].

وكانت العمليات العسكرية الفرنسية تهدف إلى اقتحام معاقل المجاهدين دون جدوى، وكثيرا ما كانت تعود بخيبة أمل بعد جهد جهيد وتفتيش وبحث دقيق وكثيرا ما يكتب العسكريون عبارة:

L'opération est tombée dans le vide! Ou se sont envolés les rebelles?
Qui les a renseigné sur l'arrivée de nos troupes?

(لقد سقطت العملية في الهواء أين طار المجاهدون؟ ومن أخبرهم عن قدوم فرقنا)[15]

"لقد سقطنا في عملية تضليلية وخدعنا، وصارت فرقنا تجري وراء سراب" والفائدة الوحيدة هو أننا تعرفنا على الجبل الأبيض وما يوفره لنشاطات المجاهدين، واستطعنا أن نتعرف على الطريق الرابطة بين تونس وجبال النمامشة. والنتيجة تمثلت في فشل المخطط العسكري[16].

ودائما مع شهادات الضباط الفرنسيين الذين تمعنوا جيدا في وصف طبيعة الجبال وأهميتها بالنسبة للمجاهدين المحصنين في خبايا

الصخور، وفي كل معركة يتمكنوا من الثبات طول النهار، ثم ينسحبوا ليلا بسلاحهم وبرجالهم وشهدائهم؟![17]

إن أكثر المعارك التي خاضها المجاهدون في جبل أرقو والأبيض، ووادي هلال كانت شديدة وعنيفة، وكثيرا ما تدوم النهار كله، وتستمر ليلا باستعمال السلاح الأبيض، والقنابل اليدوية، واستعمال الرشاشات، وكان المجاهدون يدافعون عن مواقعهم باستماتة ويمنعون العدو من الوصول إلى أعماق الجبل وعند الضرورة يتلقون الأوامر بالانسحاب بالقوة وتظهر الشجاعة وحب الشهادة والصبر والبراعة ويشهد العدو أن خسائره كانت دائما حاسمة ويعتقد أنه كبد المجاهدين خسائر كبيرة، ولكنه يعود فيقول أنه رغم كل شيء، فإن جبل أرقو بقي عجيبا ومحافظا على عظمته[18].

وكلما قدم ضابط جديد لقيادة المعارك في جبال النمامشة وهزمته الحماسة والغرور أحيانا، كان هناك من الضباط من ذوي التجربة الحربية في المنطقة من كان يقدم النصائح فنجد أن الحرب لم تكن ضد شخص وإنما ضد الكل، فشريط لزهر لم يكن فردا، وإنما "وعلى كل المسارات سوف تلتقون في الجبال والطرقات التي أنتم عازمون على اجتيازها، فتجدون كل السكان هم: إما إخوة أو أبناء عمومة للزهر شريط، وهم ذاتهم عائلات الشهداء، ويجب ألا تنسى أن شبكة التموين كانت تشتغل ليل نهار على طول الحدود دون كلل ولا ملل وخاصة أثناء الليل وفي الاتجاهين ويمرر المجاهدون، التموين بالأغذية

والسلاح والذخيرة والأدوية ولا أحد يستطيع تحديد كمياتها ومقاديرها"[19].

فلا يمكن اعتبار المدينة هي معيار شبكة التموين والتسليح، وإنما الكل يساهم وخاصة الريف، ولم تعد الإدارة الاستعمارية تهيمن على السكان، والاتصالات صارت ضئيلة وقد ابتعد السكان عن مصالح القمع الاستعمارية (الدرك والشرطة)، وقد دخلت المدينة ذاتها في حرب التفجيرات ونشر الرعب وسادت حالة من الهلع في المدينة وكان الكل يتكلم عن قوة الثوار ونفوذهم[20].

ونستنتج في الأخير أن معركة الجرف كانت نتيجة جهد جبار قام به المجاهدون في المنطقة الأولى في مواجهة الاستراتيجية الاستعمارية، واستطاعت المنطقة أن تحقق انتصارا عسكريا وسياسيا ودعائيا، ويعود الفضل في ذلك إلى العزيمة الكبيرة للمجاهدين وفهمهم الصحيح للثورة والوطنية، وإلى الشعب الذي التف حولهم ودعمهم بكل ما يملك[21].

وإذا كانت معركة الجرف هي أم المعارك قد حسمت الموقف لصالح جيش التحرير، وأفشلت الاستراتيجية العسكرية الفرنسية، فإن هجومات 20 أوت 1955 قد أفشلت استراتيجية سوستال السياسية وقضت على أحلامه في فصل الشعب عن الثوار، وأرغمت ثم أقنعت السياسيين الجزائريين إلى الالتحاق بالثورة والمساهمة فيها، وقد استكملت الثورة استراتيجيتها في إفشال مشروع فرنسا الداعي إلى

أن الثورة ليست عامة وإنما هي منتشرة فقط في الشرق الجزائري، فجاءت هجومات 31 أكتوبر 1955 في الغرب الجزائري (بفضل السلاح الذي استقبلته الثورة في باخرة دينا) لتوجه ضربة قوية ثالثة للاستراتيجية الفرنسية وكان النصر للثورة والهزيمة للاستعمار. وقد درست معركة الجرف في كلية سان سير وخاصة الطبوغرافية وكيفية مواجهة ذلك برا (دبابات) وجوا (الطائرات).

لقد كتب العسكريون الفرنسيون الكثير عن تلك المعارك في بداية الثورة وسجلوا أحداثها بالتفصيل خاصة منهم الجنرال بيجار في كتابه من أجل جزء من المجد، وأتمنى أن يسجل المجاهدون الذين عاشوا الحدث مذكراتهم، وأن يهتم الباحثون والمؤرخون المختصون بتاريخ الثورة في جميع جوانبها ذلك أن التاريخ لا يكتبه الهواة والمتطفلون والذين يسيؤون للبحث العلمي الدقيق.

الهوامش:

(1)-Pierre ,Montagnon, La guerre d'Algérie, genese et engrenage d'une tragédie, du 1 novembre 1954 au 3 juillet 1962, Paris 1954, pp.151-155
(2)-J.Callet lieutenant colonel Hiver à Tebessa, SD pp.33 et 122
(3)-Montagnon, OP.CIT, PP153-154.

(4)- نشرت مقالا بعنوان (واقع الثورة العسكري بالمنطقة الأولى في كتاب مصطفى بن بولعيد والثورة الجزائرية) الصادر عن جمعية أول نوفمبر بباتنة، 1999 . وتحدثت فيه عن عملية تيمقاد من خلال الوثائق الفرنسية. وفي 2006 نقلت مجلة الجيش نفس المقال باللغة الفرنسية ولم تشر إلى المصدر.

(5)- من بين المعارك التي وقعت على الحدود الجزائرية التونسية نذكر معارك (متلوي، قفصه، قويل، بوراله، الرديف). وقعت خلال صيف و خريف سنة 1955.

(6)-S.H.A.T. Vincennes, 1H. 1678.
(7)- Historia Magazine, N°193-194 ,P392.
(8)- S.H.A.T, Vincennes 1H. 2587.

(9)- لاحظت التقارير الفرنسية أن جدار صمت ضرب بين الفرنسيين والجزائريين وعمل الشعب على تفادي ربط أية علاقة مع السلطات الفرنسية ملبيا نداء الثورة في المنطقة. انظر: -Callet, OP.CIT, P46

(10)- كانت جبال النمامشة قاعدة لتخزين الأسلحة الواردة من القطر التونسي ومنها تعبر إلى منطقة الجزائر العاصمة والشمال القسنطيني. انظر: -Callet, OP.CIT, P47

(11)- لقد كان المجاهدون في المدن عماد تنفيذ إرادة الثورة وسياستها وشرطتها وإدارتها وعزمت إدارة الاستعمار على مواجهتها. أنظر: -Callet, OP.CIT, P46

(12)- نفس المصدر.

(13)- نفس المصدر، ص59- 60.

(14)- نفس المصدر، ص 59- 61.

(15)- نفس المصدر، ص 63.

(16)- نفس المصدر.

(17)- نفس المصدر، ص 67.

(18)- نفس المصدر، ص 70- 74.

(19)- نفس المصدر، ص 79.

(20)- نفس المصدر، ص80.

(21)- للتوسع حول معارك جبال النمامشة طالع:

-Dominique, Farale, la bataille des monts nementcha (Algérie 1954-1962) un cas concret de guerre subversive et contre subversive, Paris, economica, 2004.

تونسيّون في الثورة الجزائريّة (1954-1957)

د. عميرة عليّة الصغيّر
المعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية (تونس).

في هذه الذكرى الثانية والخمسين لمعركة الجرف (22 - 25 سبتمبر 1955) الهامة في تاريخ الثورة الجزائرية ارتأينا أن نتناول جانبا آخر في علاقة جوهرية مع أحداث هذه الثورة وفي ارتباط وثيق بتاريخ المقاومة التحريرية بالمغرب العربي. فإن كان البحث التاريخي غايته نشد الحقيقة عن الماضي فإن إحياء الذكريات والأحداث الكبرى ليس فقط للتذكر بل هو خاصة لتغذية الذاكرة الجماعية ولإيفاء أبطال صنعوا الأحداث شهداء أو أحياء حقهم.

إن تاريخ مقاومة الاستعمار في المغرب العربي كان فعلا عملا لم تتوحد فيه فقط روح الشعوب وتوقها للتحرر بل كان مسارا تلاقى فيه الرجال وتلاحموا. وقد دأبنا منذ سنوات في عملنا البحثي على إبراز هذه الحقيقة والكشف عن قضايا عديدة من هذا التاريخ المشترك، خاصة في خمسينات القرن الماضي[1] حيث درسنا أوجه التضامن

---

[1]- من هذه البحوث:

-« Les Tunisiens et la révolution algérienne (1954-1958) », in **Méthodologie de l'Histoire des mouvements nationaux au Maghreb**, FTERSI, Zaghouan, 1998, pp. 109-141.

- « La Tunisie : Base- arrière de la révolution algérienne (1954-1962) », in **Actes du Colloque : La révolution algérienne dans les écrits arabes et étrangers**, Alger, Ministère des Moujahidines, 2005.

- « Trafic d'armes en Tunisie : 1942-1962 », **in IBLA**, n°192, 2002-2003, pp. 109-141.

- "جيش التّحرير الوطني الجزائري بتونس" بأعمال الملتقى الدّولي حول: **نشأة وتطوّر جيش التحرير الوطني**، منشورات وزارة المجاهدين، الجزائر، 2005، ص ص 177 – 200.

- "جهة القصرين والقضيّة الجزائريّة" مداخلة في **ندوة حول الوسط الغربي التونسي** (أفريل 2007)، تحت الطبع.

التونسي مع القضية الجزائرية رسميا وشعبيا ومركزية الثورة الجزائرية في التسريع بإحراز تونس استقلالها والتواجد المقاوم الجزائري بتونس وأوجه دعمه كما تناولنا بالبحث أوجه أخرى كتسريب السلاح لمجاهدي الجزائر أو فصل المقاومة المسلحة المشتركة سنوات 1955- 1957.

وقد خيّرنا في هذا الملتقى أن نتعرض بالدرس لبعض السير الذاتية لمناضلين تونسيّين مغاربيين ساهموا بصورة مباشرة في المعركة التحريرية الجزائرية كسياسيين أو كمقاومين امتشقوا السلاح في صفها لما لهذا الجنس من البحوث البيوغرافية من أهمية أقلها إخراج هؤلاء "الأبطال الفرادى" من الغفليّة (anonymat) والضياع في خضم الأحداث التاريخية، كأنموذج فقط لأولئك الكثيرين من المقاومين الذين لازالت أسماؤهم يكتنفها النسيان إن كانوا من الأموات أو من الأحياء والذين عرفهم التاريخ المشترك في هذه الجهة من الحدود في الجزائر أو في تلك الأخرى في تونس. وللضرورة البحثية وضيق المجال المتاح تتناول ورقتنا هذه إذن إحدى عشرة اسما فقط من أولئك المناضلين الكثيرين الذين ساهموا في تقديرنا، مدفوعين بقناعاتهم في معركة

- "التواصل النّضالي والتّضامن بين التّونسيّين وشعوب المغرب" ب : **اليوسفيّون وتحرّر المغرب العربي** تونس ، المغاربية للطباعة والنشر، 2007ص. ص 157- 169.
- "محمّد الخامس وبورقيبة وحركات التّحرّر: حالة الجزائر" ضمن كتاب "**اليوسفيّون...**" م م ص ص. 235 – 248.

التحرير الجزائرية. ستة من السياسيين: صالح بن يوسف وأحمد التليلي وحسين التريكي وعبد العزيز شوشان وحافظ إبراهيم وعمر بن حميدة وخمسة من المقاومين: الطاهر الأسود والطيّب الزّلاّق والطاهر بن لخضر الغريبي ومحمد قرفة والزين بن عبد الله[2].

1- صالح بن يوسف (1907- 1961):

يعتبر صالح بن يوسف الأمين العام للحزب الحر الدستوري الجديد والملقب "بالزعيم الكبير" دينامُو المعارضة لاتفاقيات الاستقلال الداخلي لتونس (3 جوان 1955) والدّاعم للثورة الجزائريّة وفاء لرؤيته في التحرر القائمة على أن لا استقلال فعلي لتونس دون تحرر للجزائر وللمغرب وإنّ شرف الوطنية الحقة أن لا يُخذل رفاق الكفاح في الجزائر لذا نادى بمواصلة الكفاح والمقاومة المسلّحة في إطار "جيش تحرير المغرب العربي" وقد أوفى بذلك.

ولد صالح بن يوسف في 11 أكتوبر 1907 بمغراوة (قرب ميدون) بجزيرة جربة في عائلة موسرة. تحصّل على الباكالوريا سنة 1930 من معهد كارنو بتونس العاصمة وعلى الإجازة في الحقوق من باريس سنة 1933 ليعود لتونس ويشتغل كمحام وينخرط بالحزب الحر الدستوري الجديد سنة 1934 ليصبح عضو ديوانه السياسي إثر مؤتمره الثاني

2- ننبّه أنّنا سنركز في هذه النّوتيسات على الجوانب التي هي في علاقة مع القضيّة الجزائريّة وحسب مع الإشارة إلى أن كانت المعلومات متوفّرة نسبيًا حول السياسيّين فإنّها شحيحة حول مقاومي الجبال، لذا ستتفاوت هذه البيوغرافيات من حيث الطّول.

سنة 1937. عرف الاعتقال والنفي شأنه شان قيادة حزبه وذاك سنة 1935 و 1938. وبانتقال بورقيبة للشرق سنة 1945 سوف يصبح صالح بن يوسف الأمين العام للحزب (1948) بعد أن عيّن بورقيبة في مرتبة الرئيس. كان له دور فاعل في بعث مختلف المنظّمات القومية وخلق فراغ حول الإدارة الاستعمارية وربط الصلة بالقصر. دخل حكومة شنيق التفاوضية في 17 أوت 1950 كوزير للعدل ممثلا عن حزبه وعاش في المنفى منذ جانفي 1952 هروبا من الاعتقال إثر القطيعة مع الحكومة الفرنسية وأصبح المحرّك الأساسي للكفاح الوطني من خارج الحدود. وقد عارض قبل حتى إمضائها في 3 جوان 1955، اتفاقيات الاستقلال الداخلي، واعتبرها "خُطوة إلى الوارء" وتزعّم الشق المعارض لهذه الاتفاقيات خاصة بعد عودته إلى تونس في 13 سبتمبر 1955 تحت راية "الأمانة العامّة" وجنّد أتباعه وخاضها معارضة سياسية مسلحة زادت حدّة خاصة بعد طرده من الحزب في 8 أكتوبر 1955 واضطراره للهروب من تونس إثر صدور أمر بالقبض عليه وعلى أتباعه في 28 جانفي 1956 حيث استقرّ بطرابلس ثم بالقاهرة بقود "جيش التحرير الوطني التونسي" اعتمادا على قائده الفعلي والميداني الطاهر الأسود. وقد كانت هذه المعارضة الوطنيّة جنّدت أكثر من 1800 مجاهد واستشهد منها ما ينيف على 500 رجل في معارك خاضتها مع المجاهدين الجزائريين في "عصابات" مشتركة من الشمال الغربي حتى الجنوب الشرقي تحت راية التحرير الشمال والناجز للمغرب العربي

وتحت راية العروبة والإسلام. وكان دور هذه المقاومة فاعلا في نصرة القضية الجزائرية وتسهيل دعمها بالسلاح علاوة على دورها الأساسي في منح تونس استقلالها التّام وفرض الجدّية على حكومة بورقيبة في التعامل والوقوف إلى جانب القضية الجزائرية. واصل صالح بن يوسف معارضته لنظام غريمه الحبيب بورقيبة رغم حملات التصفية والمحاكمات وحكم عليه غيابيًا مرتين بالإعدام سنة 1957 وسنة 1958 لينفّذ فيه بالاغتيال عن طريق عصابة بعثتها السلطة الرسمية في تونس وذاك في ألمانيا برنكفورت في 12 أوت 1961[3]. وقد أُعيد له الاعتبار بعد 1987 وأعيد جثمانه من القاهرة ليوارى في مقبرة الشهداء بالجلاّز.

2- أحمد التليلي (1916- 1967)

مثل المناضل النقابي والدّستوري أحمد التليلي عنصر الربط الرسمي بين حكومة الاستقلال في تونس والقيادة الجزائرية. ولد أحمد التليلي سنة 1916 بقصر قفصة في وسط فلاحي فقير درس بالصادقية

3- اعتمادا على النوتيسات البيليوغرافية للاستعلامات الفرنسية حول هذه الشخصيّة بأرشيف وزارة الخارجيّة الفرنسية سلسلة تونس 1944- 1955 ، الصندوق 316 (الورقات 197- 199) والصندوق 35ن (الورقات: 53- 55)، الصندوق 309 (الورقات: 66- 68).

كذلك على: - منصف الشابي، **صالح بن يوسف، حياة كفاح**، تونس، دار الأقواس للنشر، 1990.

: - عميرة عليّة الصغيّر، **اليوسفيّين وتحرّر المغرب العربي**، تونس، المغاربيّة للطباعة والنشر والإشهار، 2007.

بعد تحصّله على الشهادة الابتدائية سنة 1930 وطرد منها ليلتحق بالجزائر ويشتغل هناك سنة 1936 كاتبا عموميا ويربط صداقات نضالية مع مناضلي حزب الشعب الجزائري. وعاد سنة 1937 للدراسة بالصادقية وتحصّل على دبلوم هذا المعهد لكنه لم يتحصل على البكالوريا فرجع إلى مسقط رأسه واشتغل معلما بداية من 1939 ببلدة لقطار ثم موظّفا بقباضة البريد بالرديف ثم قفصة. وقد ساهم مع فرحات حشاد في تركيز الإتحاد العام التونسي للشغل بالجهة إذ كان أحمد التليلي سنة 1946 الكاتب العام لفرع جامعة الموظفين التونسيين بقفصة وأصبح منذ 1947على رأس الاتحاد المحلي لاتحاد الشغل وعضو هيأته الإدارية.

كان من العناصر الفاعلة في بعث وتنظيم المقاومة المسلحة بالجهة حيث وقع سجنه من 13 فيفري 1952 إلى سنة 1954. وفي هذه السنة وقع انتخاب التليلي كاتبا عاما مساعدا لاتحاد الشغل ونائب رئيس الكنفدرالية الدولية للنقابات الحرّة (CISL). وعند الخلاف اليوسفي البورقيبي كان كجل قيادة الاتحاد في صف الشق البورقيبي وانتخبه مؤتمر صفاقس في نوفمبر 1955 عضو المكتب السياسي للحزب الحرّ الدّستوري الجديد. كما أصبح منذ ديسمبر 1956 أمينا عاما للإتحاد العام التونسي للشغل عوض أحمد بن صالح.

وبصفته هذه كلفته حكومة الاستقلال بالملف الجزائري مع وزير الداخلية الطيب المهيري. فكان طيلة الحرب التحريرية في اتصال دائم

مع قيادة المقاومة الجزائرية التي اتخذت من تونس كما هو معلوم مقرًا لها وأين كانت تشرف على شؤون الثورة. وقد عالج التليلي بما عرف عنه من رصانة عديد الملفات الشائكة بين الطرفين الجزائري والتونسي خاصة وأنه كانت تربطه علاقات صداقة ونضال مع أبرز القادة الجزائريين شأن أحمد بن بلة، حسين آيت أحمد، محمد بوضياف، أحمد محساس... وبصفته تلك كان وراء تنظيم تسريب السلاح عبر تونس للقيادة الجزائرية متمثلة في المشرفين على الدعم اللوجستي للثورة في جبهة التحرير شأن أحمد محساس والكولونال أوعمران والكمندان بن عودة والمقدّم إبراهيم مزهودي. وعمل أحمد التليلي بدبلوماسيته المعهودة وإيمانه الصادق بضرورة دعم المقاومة الجزائرية بحلّ عديد الخلافات بين الطرفين التونسي والجزائري وتأمين الدعم الضروري للثورة بالسلاح والتسهيلات المختلفة لتنظيم التواجد الجزائري بتونس (جوازات، تأشيرات، تحويل أموال، دعم دولي وخاصة ضمن السيزل،...). ويشهد على جهده هذا في خدمة الثورة الجزائرية أصدقاؤه[4] من الجزائريين وأعداؤه في المخابرات العسكرية الفرنسية آنذاك[5].

---

[4] - هذا ما أقرّه لنا المناضل والقيادي الجزائري السيد أحمد محساس في لقائي معه يوم 28 اكتوبر 2007 على هامش الملتقى الدّولي حول "معركة الجرف" الذي انتظم بتبّسة يومي 27 و 28 اكتوبر 2007.

[5] - انجزت هذه الترجمة اعتمادا على :

- أحمد التليلي، **في سبيل الديمقراطية** (أعمال ندوة)، تونس، مطبعة تونس قرطاج، 1991.

3- حسين التريكي (1915 -)

لعب هذا المناضل المغاربي دورا رئيسيا في دعم الثورة الجزائرية وخاصة بالتعريف بها في أمريكا اللاتينية. ولد حسين التريكي بالمنستير سنة 1915 اشتغل في سن مبكرة وانضوى للحزب الحر الدستوري الجديد وأصبح أحد قياديه أثناء الحرب العالمية الثانية. فرّ من تونس إثر إعادة احتلالها من الحلفاء وطرد الألمان في ماي 1943 وانتقل إلى إيطاليا ثم فرنسا وألمانيا ثم إسبانيا (1944) وحكم عليه غيابيًا من المحكمة العسكرية الفرنسية بالإعدام. وانتقل إلى القاهرة سنة 1948 ليصبح من العناصر الوطنيّة النشطة ضمن مكتب المغرب العربي وفي اتّصال مع محمد بن عبد الكريم الخطّابي. اصطف إلى جانب صالح بن يوسف عند الخلاف حول اتفاقيات الاستقلال الداخلي وكان عبارة عن عضده الأيمن وانتخب في 4 جانفي 1956 كاتبا عامًا لجامعة تونس والأحواز التابعة للأمانة العامة (رئيسها علي الزليطني). إثر مطاردة اليوسفيّين فرّ بداية 1956 مع صالح بن يوسف إلى طرابلس وسيلازمه في موقفه وفي معارضته حتى 20 مارس 1956 عند حصول تونس على استقلالها التّام. وحكم عليه غيابيا في تونس بالإعدام.

- رضا التليلي، **الديمقراطية والتنمية في فكر أحمد التليلي**، تونس، ميديا هوريزون، 2005.
- عمورة علية الصغير،" قياديون نقابيون فعلوا في تاريخ تونس الاجتماعي والوطني"، **روافد** 2002/7، ص. 17.

ونظرا لعلاقاته مع القيادة المصرية ساهم في ربط الصلّة بين جمال عبد الناصر وأحمد بن بلة وشارك مبعوثا من حركات التحرر الثلاث (بن يوسف، بن بلة وعبد الكريم الخطابي) في مؤتمر المنظمة العالمية للطلاب ببيونس آيرس بالأرجنتين (جوان 1955). وفي جويلية 1956 كلّفته جبهة التحرير الوطني الجزائرية مع فرحات عباس وعبد الرحمان كيوان للدفاع عن القضية الجزائرية في أمريكا اللاتينية (كان يحسن الإسبانية) وكتب ونشر بالإسبانية "هذه الجزائر" (1956) في المكسيك والبيرو والأرجنتين. كلّف في نهاية الثورة الجزائرية بإدارة مكتب الجامعة العربية ببيونس أيرس بالأرجنتين في سنة 1958 و 1961. ربطته علاقات صداقة مع القيادة الجزائرية بالقاهرة خاصة محمد خيضر. عفى عنه بورقيبة في 1 جوان 1962 ولا زال يعيش في المهجر[6].

4- عبد العزيز شوشان (1928- 2000):

من أهم العناصر الوطنيّة التي وقفت إلى جانب المقاومة الجزائرية. عبد العزيز شوشان ولد سنة 1928 بالقلعة الكبرى بالساحل التونسي.

6- اعتمادا على : نوتيس الاستعلامات الفرنسية بأرشيف الخارجيّة الفرنسيّة ، سلسلة تونس 1944- 1955، صندوق 316 (الورقة 200) وتقرير الإقامة العامة الفرنسية بتونس بتاريخ 11 مارس 1955 حول "نشاط الوطنيّين بالخارج" بنفس الأرشيف، صندوق 317 (الورقات، 306- 319).

- شهادة حسين التريكي (فيفري 1993) مسجّلة بالمعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنيّة، تونس وشهادته بمؤسّسة التميمي منشورة بالمجلّة **التاريخيّة المغاربيّة**، عدد 2006/121، ص ص. 157- 200.

- عميرة عليّة الصغيّر، **اليوسفيّون**... م م.

درس بالصادقيّة واشتغل كاتبا بمحكمة سوسة. انخرط في العمل الوطني مبكّرا في الشبيبة المدرسيّة وكان في الخمسينات قبل إيقافه عنصر وصل بين مقاومي الشمال والسّاحل. قبض عليه وفرّ من السجن ليلجأ إلى طرابلس في أوت 1953 وينشط في مكتب الحزب الحر الدستوري الجديد الذي كان تحت إشراف علي الزليطني ومراد بوخريص. عند الخلاف اليوسفي البورقيبي وقف إلى جانب صالح بن يوسف وساهم من موقعه بصفته المعين المباشر لبن يوسف في التنسيق بين التونسيين والجزائريين وتأمين تهريب السلاح للمقاومين وكان حسب المقاوم الجزائري بشير قاضي المسؤول عن القاعدة اللّيبيّة "من أكثر العناصر الموجودة في مكتب الإخوان بطرابلس رغبة وحماسة في التعاون معنا وكانت علاقته مع بن بلة ثم معي علاقة من أحسن ما يقال"[7]. حكم عليه مع اليوسفيّين غيابيّا بالإعدام. ولجأ إلى الجزائر ولم يعد إلى تونس إلاّ بموفى السّبعينات وعفا عنه بورقيبة ليشتغل بالتجارة وانتخب حتى نائبا بمجلس النّواب ووافاه الأجل بتونس في سنة 2000[8].

7- شهادة المقاوم الجزائري بشير بالقاضي بـ "**جيش التحرير المغاربي. 1948-1955**"، الجزائر، نشر مؤسّسة بوضياف، 2004، ص. 173.

8- اعتمادا على: - عميرة عليّة الصغيّر وعدنان المنصر: **المقاومة المسلّحة في تونس، الجزء الثاني (1939- 1956)**، نشر المعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنيّة، 2005.

- شهادة المقاوم امحمّد بن الطيّب ادريس في كتاب عبد الحميد العلاّني، **لم يناموا على الذّل، شهادات شفويّة**، تونس، شركة فنون الرسم والنشر والصّحافة، ص. 39.

- عميرة عليّة الصغيّر، **اليوسفيّون**... م م.

5- حافظ إبراهيم (1916-):

يعتبر الدكتور حافظ إبراهيم المناضل المغاربي عن جدارة. ولد بأكّودة بالساحل التونسي سنة 1916 في أسرة عريقة وطنيّة إذ كان والده الشيخ راجح إبراهيم أحد ركائز الحزب الدستوري القديم بالسّاحل. تربّى في بيئة وطنيّة. درس بكلاّج سوسة وتحصّل على الباكلوريا سنة 1934. ناضل في فرنسا ضمن "جمعيّة طلبة شمال إفريقيا المسلمين بفرنسا" وأصبح عضو مكتبها (1935- 1936) كما تردّد على مقر نجم شمال إفريقيا وتعرّف على كل من محمد خيضر ومحمد الخلطي. وعند الاحتلال الألماني لفرنسا عمل مع رفاقه المغاربة على تكثيف الدعاية في صفوف المهاجرين المغاربة بفرنسا. وعند تحرير فرنسا لجأ إلى إسبانيا واستقرّ بمدريد ليفتح مصنع أدوية ويبدو أنّه كانت له علاقة بالمخابرات الإسبانيّة عبر "مكتب استعلامات العالم العربي" الذي كان بعثه المناضل التونسي- الجزائري عبد الرحمان ياسين. وقد استغل وجوده في أسبانيا وانتقاله عبر الدول الأروبية والعربيّة لربط علاقات كثيرة والترويج لحركة التّحرّر في المغرب العربي.

وفي سنة 1954- 1955 كان ضمن العناصر التي ساهمت في التنسيق والاتصال لبعث جيش تحرير المغرب العربي وإن وقع استبعاده من طرف التونسيين لأنّه ينتمي للحزب الدستوري القديم فإنّه لقي الحظوة لدى رفاقه من المغرب شأن عبد الكبير الفاسي وعبد الرّحمان اليوسفي والدكتور عبد الكريم الخطيب والغالي العراقي ومن

الجزائر العربي بن مهيدي وأحمد بن بلة ومحمّد بوضياف. إذ ساهم بنشاطه الحثيث بتهريب وشراء الأسلحة لفائدة المقاومة في المغرب ثم في الجزائر. وقد ساهم بجهده وبماله الخاص لنصرة قضية التحرير لأنّه كان يؤمن بالمغرب العربي و "بأن ما افتكّ بالقوة لا يسترجع إلاّ بالقوة" ويذكره رفاقه في النضال بمزاياه العديدة على الثورة. وهو لا زال مستقرًا مع عائلته باسبانيا[9].

6- عمر بن حميدة (1914- 1993):

أمام عمر بن حميدة نحن إزاء مناضل وطني مغاربي ناضل في حزب الشعب الجزائري وفي الحزب الحر الدستوري الجديد لكنه لازال مغمورا حتى في وطنه بينما كانت حياته منذ شبابه كلّها صراع وتضحية من أجل الحرية وضد الاستعمار. ولد عمر بن علي حميدة سنة 1914 بالمحبوبين بجربة. تحصّل على الشهادة الابتدائية لكنّه لم يواصل تعليمه ودخل معترك الحياة كصانع تاجر ليحط الرحال مع خاله بخنشلة بالجزائر سنة 1935 ثم بقسنطينة أين انضمّ هناك إلى جامعة حزب الشعب وقد اعتقل هو ومجموعة من رفاقه من الجزائريين

9- عن محمّد خليدي وحميد خباش، **جهاد من أجل التّحرير، الدكتور عبد الكريم الخطيب، الدكتور حافظ إبراهيم**، الرباط مطبعة منشورات المناهج، 1999.

- عادل بن يوسف، "مقدّمة لدراسة مساهمة الحكيم حافظ إبراهيم في النّضال ضد الاستعمار الفرنسي شمال إفريقيا" **بالمجلّة التاريخيّة المغاربيّة**، عدد 102- 103، 2001، ص ص. 47 – 65.

- لبجاوي محمّد ، **حقائق عن الثورة الجزائرية**، دار الفكر الحر، 1971، (م.ط.غ.م).

في 27 أفريل 1938 إثر الحملة التي قاموا بها تنديدا بموجة القمع التي استهدفت التونسيين بعد أحداث 9 أفريل. وبعد قضاء 8 أشهر بالسّجن عاد إلى تونس ليعاود النّضال ضمن الحزب الحر الدستوري الجديد حيث كوّن مع مناضلين آخرين (الهادي السعيدي، محمد بن عمارة...) المنظمة السرّية "لجنة المقاومة" (جوان 1939) قامت بأعمال تخريب ودعاية واكتشف أمرها فقبض عليه مع رفاقه وكان حكمه من المحكمة العسكرية في جويلية 1940 الإعدام الذي أبدل إلى السجن المؤبّد في نوفمبر 1940 ثمّ إخلاء السبيل في نوفمبر 1942. لكنّه أوقف مرّة أخرى باستعادة فرنسا سيطرتها على البلاد فأبعدته إلى المحتشد في غرب الجزائر حيث تمكّن من الفرار واللّجوء إلى شمال المغرب أين حصل على اللّجوء السياسي والتقى بوجوه الحركة الوطنية هناك شأن عبد الخالق الطّريس والمهدي بنونة وأصبح يكتب في الجرائد الوطنية مثل "الحرية" للطّريس أو "الوحدة المغربية". وفي سنة 1947 عاد إلى تونس بإعانة رفاق النضال من المغرب والجزائر. واستأنف نشاطه في صلب الحركة الوطنية. وعند تفجّر الخلاف حول اتفاقيات الاستقلال الداخلي كان عمر بن حمدية في صف صالح بن يوسف والمدافعين على فكرة مواصلة المقاومة ودعم الثورة الجزائرية حتى تتحرر بلدان المغرب قاطبة. وعرّضه موقفه هذا للوقوف أمام المحكمة بتهمة اليوسفيّة. توفي عمر حميدة في 7 نوفمبر 1993 بتونس[10].

---

[10]- عن مقال في ثلاثة فصول صدر في جريدة "الصّباح" في 19 و 20 و 25 ماي 1995

7 – الطّاهر الأسود (1911- 1996):

هو أشهر قادة المقاومة الذين وقفوا إلى جانب الثورة الجزائرية تحت لواء جيش تحرير المغرب العربي ومن قناعة إن لا تتحرّر كامل وفعلي لتونس إلاّ بتحرر الجزائر والمغرب الأقصى. هو الطّاهر بن علي لسود بن محمد الصالح الزيدي، من قبيلة بني زيد بحامة قابس بالجنوب التونسي. ولد بريف الحامة (الهوّاري) سنة 1911. التحق بالجندية سنة 1930 وتحصّل على رتبة رقيب بعد ثلاث سنوات من الخدمة. كان منتسبا للحزب الحر الدّستوري قبل انقسامه وضمن الحزب الدستوري الجديد بعد ذلك وكان في هيأة شعبة الحامة. امتهن الفلاحة والخياطة. كان من الأوائل الذين صعدوا للجبل للمقاومة في جانفي 1952 وأصبح مع آخرين شأن الأزهر الشرايطي وحسن بن عبد العزيز والساسي لسود ومحمد جلايلة ... من أبرز قادة المقاومة التونسية (الفلاقة) حتى تسليم السّلاح في ديسمبر 1954. وكان القايد الطاهر الأسود من القلائل مع أتباعه الذين لم يقبلوا باتفاقيات الاستقلال الداخلي ولم يسلّموا سلاحهم واعتبروا ذلك خيانة للقضيّة الجزائريّة. يقول الطاهر لسود: "كيفاش خوك يضربو فيه واتّبص واتخلّيه، أش تسمّيها هذه؟ ما تسمهاش خيانة"[11] لذاك التحق الطاهر

بعنوان "عمر بن علي حميدة سندباد السّجون والمنافي" لعلي المعاوي. **وشهادة عمر بن حميدة** مسجلّة في جوان 1992 برصيد المعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية.

[11]– **شهادة الطاهر الأسود** مسجّلة في 27 جانفي 1993 في الحامة ضمن رصيد المعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية.

الأسود بجبال الأوراس وقضّى شهرين هناك التقى فيها بالثّوار الجزائريّين. وسوف يكون له دور أعظم بعد عودة صالح بن يوسف إلى تونس (13 سبتمبر 1955) وانقسام الصّف الوطني واندلاع المقاومة من جديد في ما يسمّيه المقاومون بـ "الثّورة الثانية" منذ أواخر 1955 حتى صائفة 1956 وكان الطّاهر الأسود طيلة هذه الفترة القائد الفعلي للمقاومة متنقّلا من الجزائر إلى تونس إلى طرابلس وحتى القاهرة منسّقا أعمال الثورة مع رفاقه أحمد بن بلة عن جيش التحرير الوطني الجزائري والدكتور الخطيب عن جيش التّحرير المغربي وبتنسيق مع القيادة المصريّة في شخص خاصة الضابط فتحي الدّيب.

وفعلا كانت للطّاهر الأسود عدة اتصالات وعدة وقائع ومعارك حربية قادها أو أشرف عليها في إطار الحرب الشاملة والتنسيق لتحرير تونس والجزائر وساهم بدور كبير في تموين وتسريب السلاح عبر الجنوب التونسي من طرابلس للمقاومة الجزائرية واستشهد تحت قيادته في معارك عدة مئات التونسيين والجزائريين من جبال خمير في الشمال إلى جبال قفصة والجريد وبني خداش ومطماطة في الجنوب. وقد وضع حدّا لنشاطه بعد حصول تونس على استقلالها في 20 مارس 1956 لكن لم يسلّم سلاحه للسّلط التّونسية إلاّ في 3 جويلية 1956 وتصالح مع بورقيبة[12].

---

[12]- راجع خاصة شهادته المذكورة آنفا وشهادة القائد الجزائري بشير بالقاضي السابقة الذكر ومؤلّفنا "اليوسفيّون وتحرّر المغرب العربي" م.م.

8- الطيّب الزلاّق (1916- 1956):

هذا القائد الآخر اشتهر في تونس كأوّل قائد مقاومة يعدمه نظام الاستقلال و "لا ذنب له" إلاّ أنّه رفع السّلاح ثانية في صف "المقاومة اليوسفيّة" وإلى جانب الثوار الجزائريين. ولد الطّيب الزّلاق (الطيب بن عمارة بوعديلة المنّاعي) حوالي 1916 بحكيم بوادي مليز قرب عين دراهم في وسط فلاحي فقير. اشتغل بالسكة الحديدية قبل أن يجنّد أثناء الحرب العالمية الثانية وشارك في معارك إيطاليا وتحرير فرنسا. إنخرط في المقاومة المسلّحة في الخمسينات في جهة سوق الأربعاء وعلى الحدود الجزائريّة وعاود رفع السّلاح أواخر 1955 في إطار المقاومة اليوسفيّة لتحقيق الاستقلال التام ونصرة الجزائر تحت "مشعل العروبة والإسلام". وقد قاوم بالسّلاح ضمن مجموعة من المجاهدين التونسيين والجزائريين بقيادة الجزائري أحمد الشّريف الذّي أسره الجيش الفرنسي في 13 مارس 1956 وخلفه القائد بن ضو متنقلا مع مقاوميه وحلفائه من عين دراهم شمالا إلى تالة وتاجروين جنوبا ومن تونس إلى الجزائر ومن الجزائر إلى تونس وكان عدد هذه الفرقة المشتركة ناهز 120 مقاوما في 25 جانفي 1956. وأمام ملاحقة أنصار بورقيبة (محجوب بن علي) والجيش الفرنسي سلّم الطّيب الزّلاق مع سبعة من رفاقه نفسه في 7 ماي 1956 بعدما رتّب ذلك مع الشعبة الدستورية. لكن "محكمة القضاء العليا" سوف تحكم عليه -مع رفاق آخرين- يوم 21 جويلية 1956 بالإعدام بتهمة الخيانة والتمرّد. ولم

تفلح مرافعات المحامين ولا تدخلات تونسيين وهيآت دولية كالأمين العام للجامعة العربية أو "لجنة تحرير المغرب العربي" في ثني بورقيبة عن قرار إعدام الزّلاّق والذي نفّذ فيه في 28 جويلية 1956 شنقا، حيث غدا رمزا من رموز "الشهداء المظلومين" لدى العديد وعند اليوسفيّين بصورة خاصة[13].

9- الطّاهر بن لخضر الغريبي (- . -):

القائد الطّاهر بن لخضر الغريبي كان أكثر المقاومين في علاقة سلاح مع المجاهدين الجزائريين في الجنوب الغربي وبالتّحديد جهة المناجم والجريد. هو أصيل قبيلة غريب ومن مواليد نفطة. انخرط في الحزب الدستوري شابّا وكان من الأوائل الذين خرجوا للمقاومة المسلّحة وجنّدوا لها في سنة 1953 وقاد فرقة مقاومة نشطت بصورة خاصة بجبال الرديف وأم العرائس والدقاش وتمغزة. عاود الطّاهر لخضر رفع السّلاح على كامل الجنوب الغربي تقريبا مع القادة عبد الله بن الشيخ عمّار البوعمراني وعمّار بني (الهمّامي) وعلي درغل (أولاد نصر) والعربي الصامت ومحمود بن حسونة الزيدي وحسين بن عبد الحفيظ الحاجي وغيرهم وخاضوا معارك كبيرة مع الجيش الفرنسي وحلفائه من التونسيين منها معركة جبل البليجي (1956/1/21)، معركة جبل طرّيش (1956/3/14)، معركة جبل المرّة

13- عن دراستنا: "الطيب الزّلاق: مسار مقاوم" ضمن مؤلّفنا: "**اليوسفيّون...**" م م. ص ص. 125- 140.

(1956/3/31)، معركة جبل الزيتونة (1956/4/14) معركة جبال شط الفجيج (1956/5/10) معركة جبال شط الجريد (1956/5/18) ... ويبدو أنّ صالح بن يوسف بعد انسحاب الطّاهر الأسود عين في قيادة "جيش التحرير" العجمي المدور ثم الطاهر الغريبي الذي لم يسلّم سلاحه وواصل المقاومة حتى جوان 1957 وعند القبض على رفيقه الجزائري القائد الطالب العربي في 19 جوان 1957 تمكّن الطّاهر بن لخضر الغريبي من اللّجوء إلى ليبيا وأصدرت المحكمة في حقّه في أكتوبر 1959 غيابيًا حكما بالإعدام مع 15 من رفاق السلاح [14]

10- محمّد قرفة (1957):

هذا المقاوم والقائد هو من حوايا بني خداش بالجنوب الشرقي التونسي شارك في المقاومة المسلّحة في فصلها الأول (1952- 1954) مع قادة شأن مصباح الجربوع وزايد الهدّاجي وعلي بن عمّار المحضاوي وعلي بن أحمد المهداوي . وكان كذلك ضمن ثوّار هذه المنطقة الذين ناصروا صالح بن يوسف وانخرط في الأمانة العامّة إيمانا بشعاراتها في التحرر الكامل ووحدة الكفاح مع الجزائريّين وربما نتيجة اضطهاد أنصار بورقيبة في الجهة (مصباح الجربوع ومحمّد الرّي النائب في المجلس التأسيسي) ومحاباتهم. على كلّ ارتقى محمد

14- راجع بالخصوص فصل: "اليوسفيّون ومعارك الجنوب، 1955- 1957" بكتابنا: **اليوسفيّون ... م م.** ص ص 97 – 124. كذلك شهادة رفيق السّلاح وأحد أفراد فرقة الطّاهر بن لخضر الغريبي المقاوم سلامة بن صالح بن علي سلامة مسجّلة بالمعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية في 25 نوفمبر 1995.

قرفة ضمن "عصابات" المقاومة اليوسفيّة إلى رتبة قائد شأنه شأن مبروك بوذينة ويانس اليزيدي والساسي بن الهادف من الحزم واشترك في عدة معارك خاصة بجبال الحوايا (مارس – أفريل 1956) مع مقاومين جزائريين. لكن استسلامه في جويلية 1956 مع قواد آخرين مثل الساسي بن الهادف ويانس اليزيدي أغضب قائدهم الأعلى صالح بن يوسف وسهل عزل محمد قرفة الذي عاود التمرّد إثر خلافه مع السلطة الجديدة فقبض عليه وقدّم للمحاكمة مع مجموعة أخرى يوسفيّة، في جويلية 1957 فحكمت عليه بالإعدام شنقا[15].

II- الزين بن لسود بن عبد الله (1923 – 1956؟):

هذا المقاوم تميّز بتعاونه في المنظمة السّرية الجزائرية "السيف الأسود" (L'Epée Noire). ولد الزين بن لسود بن عمّار العبيدي بالرّديف وهو لاعب كرة قديم بنادي الرديف وكان يشتغل دهّانا معينا بمنجم الرديف ويبدو أنّه انخرط في العمل المقاوم لفائدة المقاومة الجزائريّة منذ فيفري 1956. وتشير تقارير الجيش الفرنسي أنّه كان يقود مجموعة من المقاتلين لكنّ نشاطه الأكبر كان مع العناصر الجزائريّة الموجودة بجهة الرّديف والجريد تحت قيادة الطالب العربي ومهمّة هذا التّنظيم السّري هو جمع التبرعات وحتى الضرائب لفائدة الثورة كذلك القيام بالدعاية

15- عن: كتابة الدّولة للشؤون الخارجية، **كتاب أبيض في الخلاف بين الجمهورية التونسية والجمهورية العربية المتّحدة**، تونس، 1958، ص ص. 28- 85. وعمّار السوفي، **بني خداش وجيرانها عبر الحركات النّضالية**، تونس، مطبعة الرّشيد، 2001، ص. 77- 206- 216 و"اليوسفيّون وتحرّر المغرب العربي"، م م.

وتجنيد المتطوعين خاصة من بين السّوافة المتواجدين بكثرة في هذه الجهة المنجمية، ويبدو أنّه استشهد في معركة جبل المرّة يوم 31 مارس 1956 التي قادها الطالب العربي وشاركت فيها عصابات القادة علي درغال والزين لسود ومحمد السوفي وحمّة علي وعثمان بن محمد والطاهر الغريبي وخسر المقاومون 11 شهيدا فيها[16]

هذه إذا ثلّة من مناضلين تونسيّين ومقاومين اشتركوا في ملحمة الكفاح من أجل تحرير المغرب العربي وربطوا تحرير وطنهم تونس بتحرير الجزائر وهم كثيرون ومن واجب البحث التاريخي أن يعيدهم إلى التاريخ ويعرّف بنضالاتهم وتضحياتهم.

16ـ عن تقارير الجيش الفرنسي للفترة الممتدة بين 1955 و 1956 بأرشيف فانسان وخاصة تقريري 1956/5/7 و 1956/4/27 (S.507. C. 2H314, n.f)
ـ عثمان سعدي بن الحاج، مذكرات، برج الكيفان (الجزائر)، شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، 2000، ص.ص. 49-72.

الخاتمـة:

هذه العيّنة الصغيرة من التونسيين الذين انخرطوا في معركة التحرير التونسي والجزائري مدفوعين بروح الشهادة والوطنيّة والقناعة بأنّ قضية الجزائر هي قضية تونس وإنّ التّضحية من أجلها تهون لهم من يماثلهم من الجزائريين فيهم من استشهد ومنهم من الأحياء وواجب السلطة في البلدين أن تحيي أعمالهم وأن تدرج أسماءهم في الكتب المدرسيّة وتخلّد ذكراهم في لوحات الأنهج والساحات العمومية التي لازالت تحمل أسماء نكرة وحتى استعماريين أو أرقاما باهتة دون معنى.

التطورات السياسية والعسكرية بالناحية الشرقية للمنطقة الأولى (الأوراس) بين 1954- 1955

أ. فريد نصر الله

قسم العلوم الإنسانية المركز الجامعي العربي التبسي

- تبسة -

لعبت المنطقة الأولى التاريخية (الولاية الأولى أوراس النمامشة) [1] دورا استراتيجيا طيلة أيام الثورة،لا سيما في السنوات الأولى، فشهدت معظم هجومات الفاتح من نوفمبر 1954 وتحملت عبء الحصار العسكري من طرف القوات الفرنسية، والذي كاد أن يؤدي إلى خنق الثورة وإجهاضها، وقد كان للناحية الشرقية منها،الممتدة من خنشلة شرقا إلى الحدود التونسية غربا دور محوري للاعتبارات الجيوستراتيجية التالية:

1- كونها متاخمة للحدود التونسية وامتدادا جغرافيا واسعا للأوراس شرقا عبر جبل النمامشة ومرتفعات تبسة، المرتبطة بناحية سوق أهراس، كما أنها منفتحة جنوبا نحو ناحية وادي سوف لذلك اعتبرت مجالا حيويا للثورة التحريرية داخليا وخارجيا.

2- استخدمت طيلة سنوات الثورة منطقة عبور بين الداخل والخارج، وذلك لوجود معظم القواعد الخلفية للثورة الجزائرية داخل التراب التونسي ومقرا لمؤسسات الثورة السياسية والعسكرية.

3- تمثل نقطة عبور لجيش التحرير الوطني، في لإمداد بالأسلحة والذخيرة، وطريقا في تأمين وصولها إلى المناطق والولايات الداخلية.

وقد شهدت الناحية الشرقية خلال العام الأول من اندلاع الثورة نشاطا سياسيا وعسكريا، مازال الكثير من فصول أحداثه لم يحظ بدراسة أكاديمية، فكانت الفرصة في هذا الملتقى لأساهم بهذه المداخلة

قصد إماطة اللثام عن بعض حيثيات هذا النشاط، من خلال النقاط التالية:

I- إضاءة جانب من العلاقات الجزائرية التونسية أثناء اندلاع الثورة التونسية:

انخرط عدد من أبناء الناحية الشرقية في كل من منطقة تبسة ووادي سوف وسوق أهراس ضمن صفوف الثورة التونسية.

إذ ساهم العديد منهم في معارك ميدانية إلى جانب أشقائهم التونسيين ضد القوات الفرنسية ومن أهم الظروف التي دفعتهم إلى الالتحاق بالثورة التونسية بين سنوات 1953 و 1954 [2] ما يلي:

1- وجود روابط اجتماعية كبيرة بين سكان المناطق الحدودية حيث كان لبعض الجزائريين أملاك خاصة بناحية الرديف ونفطة وتوزر والتي تعتبر مواقع رئيسية للثورة التونسية.

2- مشاركة البعض منهم ضمن الأفواج التي أرسلت من تونس لدعم الفلسطينيين في أول حرب عربية إسرائيلية سنة 1948.

3- تواجد بعضهم في إطار العمل في مناجم الفوسفات [3] القريبة من مدينة الرديف حيث تم الاحتكاك المباشر مع الثوار إلى جانب أن البعض منهم كان في إطار الدراسة، وتأثر بالفكر الثوري في الجنوب التونسي للحزب الدستوري، خاصة بزاوية نفطة، القبلة المفضلة لأخذ العلم للناحية الشرقية وعندما تم الاتفاق بين الحكومة الفرنسية والحكومة التونسية على قرار الاستقلال الذاتي وبداية تسليم الثوار التونسيين

لأسلحتهم، رفض بعض الجزائريين تسليم أسلحتهم وعقدوا اجتماعا بمنطقة خنقة الصفصاف داخل التراب التونسي [4] تحت قيادة لزهر شريط مع بداية شهر جانفي 1954 ثم انتقلوا إلى ناحية فريانة قرب الحدود التونسية [5]. أين بدأوا جمع أسلحتهم واتفقوا على الدخول إلى الجزائر استعدادا لتفجير الثورة الجزائرية وانضموا إلى المجاهدين الذين كانوا ينشطون بجبال النمامشة تحت قيادة فرحي ساعي والتي اتخذت من الجبل الأبيض مركزا لتحركاتها.

إلى جانب ذلك فقد كانت الأراضي الجزائرية المجاورة للحدود التونسية في كل من ناحية تبسة ووادي سوف وسوق أهراس مركزا خلفيا للثورة التونسية، فاستخدمت جبال النمامشة وجبال الدير وسيدي أحمد مواقعا للراحة وتنقل الثوار التونسيين، وأطلق عليهم السكان المحليون اسم الشرقية واعتمدوا عليهم في جمع الأسلحة والذخيرة، فحسب شهادة عدد ممن عاصر الأحداث ،فإن فرق الفلاقة التونسيين [6] كانوا يتنقلون بين الأرياف لاقتناء الأسلحة والذخيرة، بين سنوات 1953 وبداية 1954 مع تسليم المواطنين وصلات تحمل شعار الحزب الدستوري التونسي.

وقد اعتمدوا في ذلك على تجنيد بعض الجزائريين ممن لهم معرفة واسعة بالمكان ضمن دورياتهم في جمع الأسلحة والمؤونة وفي كثير من الأحيان يلجأون إلى استخدام القوة لتجريد المواطنين من أسلحتهم [7] كما وقع مع القائد جبار عمر بناحية سوق أهراس، إذ تم افتكاك

سلاحه عنوة من طرف فوج من الثوار التونسيين يقودهم المدعو منصور الفرشيشي. وقد كان لهذا النشاط العسكري للثوار التونسيين بالأرض الجزائرية تأثيرا كبيرا على سير الأحداث بالناحية الشرقية[8] إذ :

1- أصبحت مشكلة تهريب الأسلحة من طرف الثوار التونسيين تهدد مستقبل الاستعداد للثورة بهذه الناحية مما أجبر القيادة بناحية سوق أهراس على أمر المجاهدين بعدم تسليم الأسلحة الخاصة بالمواطنين إلى الثوار التونسيين وفي جنوب تبسة أين كان الاتصال منعدما حتى بداية 1954 مع قيادة الأوراس [9]. فالمجموعة التي تنشط في جبال النمامشة بقيادة فرحي ساعي، بادرت إلى تشكيل خلايا تعمل على تحسيس المواطنين بعدم تسليم أسلحتهم إلى الثوار التونسيين واعتمد في ذلك على بعض الجزائريين ممن انخرط في صفوف الدوريات التونسية. وشرع في جمع الأسلحة والذخيرة وتخزينها استعدادا للثورة وانتقلت هذه الخلايا بعد انضمام العائدين من الثورة التونسية إلى داخل التراب الجزائري اعتمادا على خبرتهم في هذا المجال، فقد كلف القائد فرحي ساعي المدعو بوجمعة شوشان شراء الأسلحة من قبيلة الهمامة، وكلف محمد جبالي بتخزينها في مدينة الرديف استعدادا لنقلها نحو الجزائر [10].

2- تأثر مجاهدو الناحية الشرقية من الأوراس بما يحدث في تونس قبل اندلاع الثورة ولذلك لجأوا إلى تنفيذ عمليات عسكرية في شكل كمائن ضد المصالح الفرنسية قبل اندلاع الثورة التحريرية كما وقع في

17 أكتوبر 1954 حيث نصب كمين ضد كتيبة للدرك الفرنسي كانت متجهة من مركز العقلة إلى دوار السطح، أسفرت عن قتل عدد من الدركيين وغنم أسلحتهم [11] وكمين فج العمد بالقرب من سوق أهراس خلال نفس الشهر بقيادة خلودة لخضر.

3- تفطن الإدارة الفرنسية من خلال مصالحها الأمنية إلى هذا النشاط فعمدت إلى مراقبة الأسواق الشعبية ونشر العملاء ووضع نقاط التفتيش مع بداية شهر سبتمبر من سنة 1954 وعمدت في شهر أكتوبر إلى حملة تمشيط واسعة شملت جبال النمامشة وحتى جبل سيدي أحمد بسوق أهراس، إذ تم في 13 سبتمبر 1954 اكتشاف دورية للمجاهدين كانت تستريح عند أحد المواطنين بدوار الفنجاية بين الماء الأبيض والشريعة من طرف كتيبة للجيش الفرنسي أسفرت العملية عن استشهاد مجموعة من المجاهدين التابعين لخلية فرحي ساعي، وقد أثر ذلك على الاستعدادات السرية للثورة بالناحية [12]. إن هذه الأحداث العسكرية هي التي جعلت السلطات الفرنسية تدرج ناحية تبسة ضمن المناطق الأربع التي فرض عليها قانون حالة الطوارئ في 16 أفريل 1955 [13]، على الرغم من أنها لم تشهد هجومات عسكرية ضد القوات الفرنسية في الفاتح من نوفمبر.

مرور قائد المنطقة الأولى مصطفى بن بولعيد بناحية تبسة إلى تونس بين 03 فيفري 1955 – 12 فيفري 1955:

بعد أن قرر قائد المنطقة الأولى (الولاية الأولى أوراس النمامشة) القيام برحلة نحو الخارج للالتقاء بأعضاء البعثة الخارجية وجلب الأسلحة لمحاولة فك الحصار على المنطقة الأولى الأوراس كان الطريق الذي سلكه بالناحية الشرقية عبر جبال النمامشة عاملا في ربط الاتصال مع الخلايا العسكرية التي تشكلت بالناحية الشرقية (تبسة)، والذي كان يقودهم المجاهد فرحي ساعي المدعو (بابانا) والعائدين من الثورة التونسية تحت قيادة شريط لزهر ومن خلال تتبع فصول الرحلة عبر الناحية حتى دخوله التراب التونسي نصل إلى هذه الحقيقة التاريخية.

ففي اليوم السابع من الرحلة 31 جانفي 1955 وصل إلى جبال النمامشة عبر ناحية أولاد رشاش فأقام عند بعض السكان.

وفي 03 فيفري 1955 انتقل [14] إلى المنطقة المسماة كاف القط الواقعة غرب جبال سوكياس بالقرب من دوار فركان حيث التقى المسمى بريك عمار بن الفرشيشي وعرض عليه الانضمام للثورة للإستفادة من علاقاته مع الجزائريين المقيمين بتونس.

وفي 04 فيفري وصلوا إلى ناحية بئر العاتر ومنها توجه إلى ناحية الدبيلة الحدودية. وبعد المكوث بها يوما كاملا تمكنوا يوم 05 فيفري 1955 من دخول مدينة الرديف التونسية على الساعة الثامنة

والنصف ليلا [15] ونزلوا عند أحد العاملين الجزائريين بمناجم الفوسفات، و في هذه الأثناء صادف وصول دورية من المجاهدين إلى المدينة من الذين كانوا ينشطون في الجبل الأبيض لشراء الأسلحة [16].فتم تنظيم لقاء معهم خارج المدينة انتهى إلى توصيتهم بوجوب الاتصال بالقيادة في الأوراس عن طريق نائبه شيحاني بشير المكنى (سي مسعود) وحملهم رسالة يبلغونها إليه [17]، وبعودة الدورية إلى الجبل الأبيض قرر مجاهدو الناحية الشرقية بتبسة توثيق الروابط مع المنطقة الأولى في الأوراس.

كما أنه أثناء رجوع عمر المستيري رفقة المناضل حركات خليفة من تونس بإلقاء القبض على مصطفى بن بولعيد اتصل بمجاهدي الناحية الشرقية بالجبل الأبيض فتم الاتفاق على ضبط قوائم المجاهدين والسلاح وتشكيل الأفواج وتقسيم مؤقت للناحية في انتظار موافقة القيادة بالأوراس كما يلي:

1- ناحية تبسة تحت قيادة لزهر شريط

2- ناحية الشريعة تحت قيادة عمر البوفصي

3- ناحية بئر العاتر تحت قيادة ساعي فرحي [18]

التطورات السياسية والعسكرية بالناحية الشرقية بتبسة بعد إنتقال قيادة الأوراس إليها حتى معركة الجرف:

بتاريخ 05 مارس 1955 جرى أول اتصال مباشر بين قيادة الأوراس ومجاهدي الناحية الشرقية في القلعة وبحضور بشير شيحاني وعجول

عجول وعباس لغرور و ورتان شير المدعو سيدي حني إلى جانب ممثلي الناحية الشرقية بقيادة فرحي ساعي والجيلاني بن عمر وعمر البوقصي وفيه تم الاتفاق على تنظيم الناحية تحت قيادة لجنة جماعية ممثلة في بشير ورتان ويساعده الجيلاني بن عمر وعمر البوقصي وعمر المستيري ومحمد بجاوي مع الاحتفاظ بالتقسيم الذي اتفق عليه سابقا مع عمر المستيري [19].

ومع بداية شهر أفريل قررت قيادة المنطقة الأولى نقل مقرها من القلعة بناحية خنشلة إلى ناحية تبسة بوادي هلال حيث عمدت إلى عقد عدة اجتماعات في الفترة الممتدة بين أواخر شهر أفريل وحتى سبتمبر 1955 بهدف تنظيم الناحية الشرقية وإيجاد منفذ جغرافي نحو الحدود التونسية للإشراف على القواعد الخلفية للثورة اعتمادا على المجندين الجزائريين في صفوف الثورة التونسية وقد خاضت أثناء تنقلاتها عبر جبال النمامشة عدة معارك طاحنة مع القوات الفرنسية لفك الحصار المفروض على الناحية الغربية من الأوراس ومن أهم الاجتماعات التي عقدتها والمعارك التي خاضتها في هذه الفترة:

- **اجتماع بمنطقة وادي ميطر أواخر أفريل 1955:** جنوب الجبل الأبيض وتم انعقاده تحت إشراف بشير شيحاني وتقرر فيه هيكلة المنطقة الجنوبية من الناحية الشرقية كما يلي:

1- حمة لخضر عمارة مسؤولا عن ناحية وادي سوف

2- الجيلاني بن عمر مسؤولا عن الحدود الشرقية حتى الجنوب التونسي حيث كان يشرف على قرابة 400 مجاهد لتسهيل عملية نقل السلاح وتمريره نحو المناطق الداخلية.

3- لزهر شريط مسؤولا عن أم الكماكم [20].

وقد قررت إرسال دوريات لتنفيذ كمائن ضد القوات الفرنسية كما هي مبينة في الجدول :

الرقم	المكان	التاريخ	القائد	النتيجة
01	قساس (السطح)	جوان 1955	عون عمر	قتل حاكم المنطقة والضابط موريس دوبيه maurice dubillet
02	واد بوتريار العقلة	نهاية جوان 1955	شريط لزهر	قتل فيه رائد اشتهر ببطشه بالمدنيين
03	القعقاع (بئر مقدم)	أواخر جويلية 1955	فرحي أحمد بن ساعي	نشر الثورة بناحية الشريعة
04	رأس العويجة العقلة	أواخر جويلية 1955	شريط لزهر	نشر الثورة بناحية العقلة وإرباك العدو
05	كاف النسور (الشريعة)	أواخر جويلية 1955		الحصول على السلاح

كما قررت أيضا:

- إرسال دورية من المجاهدين بقيادة قنز محمود إلى ناحية سوق أهراس لمساعدة القيادة هناك والتي دخلت في صراعات جانبية.

- إرسال دورية من المجاهدين بقيادة عبد الوهاب عيسى محملة بالسلاح إلى المنطقة الثانية (الشمال القسنطيني).
- إرسال دورية من المجاهدين بقيادة حمة لخضر وجدي مقداد نحو وادي سوف لتنشيط الثورة هنالك وتم ذلك في 29 جويلية 1955 وفي يوم 31 من نفس الشهر سافرت من الجبل الأبيض التي أفرزت وقوع معركة هود شيكة في 14 أوت 1955.
- إرسال دورية من المجاهدين نحو المنطقة الثالثة (القبائل الكبرى) بقيادة محمد بوطمين وعبد القادر آكلي لدعم الثورة غير أنها وقعت في كمين بالقرب من برج بوعريريج [21].

- **معركة أم الكماكم 23 جويلية 1955**: تعتبر أول معركة كبرى بين القوات الفرنسية وقوات جيش التحرير الوطني بالمنطقة الأولى حيث شارك فيها أكثر من 300 مجاهد وبحضور معظم القادة وفي مقدمتهم بشير شيحاني وتناسب وقوعها مع عيد الأضحى المبارك [22].
- **اجتماع 15 سبتمبر 1955 بالزاوية**: بالقرب من تابردفة وبحضور بشير شيحاني وعمار بن بوالعيد وعجول عجول وعباس لغرور ولزهر شريط والجيلاني بن عمر والزين عباد المدعو قرفوف وفرحي ساعي وعمر البوقصي وفيه تقرر:

❖ الدعوة إلى عقد اجتماع شامل تحضره معظم قيادة المنطقة الأولى (الأوراس) وبمشاركة معظم أعيان الناحية الشرقية لإعطاء الثورة دفعا

جديدا يتصدى للحصار المفروض على وحدات جيش التحرير الوطني بالمنطقة.

❖ إعادة هيكلة النواحي التابعة للمنطقة الأولى كما يلي:

1- البشير ورتان (سيدي حني) مسؤولا عن ناحية تبسة.

2- حمه بن عثمان مسؤولا عن ناحية تازبنت إلى غاية الونزة.

3- جيلاني بن عمر مسؤولا عن ناحية نقرين والجنوب التونسي.

4- لزهر شريط مسؤولا عن ناحية الجبل الأبيض وبئر العاتر.

5- عمر البوقصي مسؤولا عن ناحية سدراتة.

6- علي كربادو مسؤولا عن ناحية ششار.

7- التيجاني عثماني مسؤولا عن ناحية خنشلة.

8- الوردي قتال مسؤولا عن ناحية سوق أهراس.

9- شعبان لغرور مسؤولا عن ناحية لخروب و عين فكرون.

- اجتماع رأس الطرفة [23] 15 إلى 20 سبتمبر 1955:

وقد حضره قادة المنطقة الأولى زيادة على معظم أعيان نواحي تبسة وخنشلة وفيه ألقى بشير شيحاني خطابا على الحاضرين حثهم فيه على دعم الثورة ماديا ومعنويا وحسب شهادات المجاهدين ومنهم قتال الوردي الذي كان كاتب الإدارة في الاجتماع ،فإن القائد رصد مبلغ مليون فرنك للتكفل بإقامة الوافدين والذي بلغ عددهم زهاء 500 مواطن [24] غير أن السلطات الاستعمارية علمت بمكان الاجتماع فأقدمت على توجيه قواتها عبر مركز الشريعة وبئر العاتر وخنشلة نحو المنطقة

وعندما وصل خبر الحشود الفرنسية إلى قيادة المنطقة قررت هذه الأخيرة الانسحاب نحو الجنوب للاختماء بجبال الجرف وأُعطيت الأوامر بانسحاب بقية الوحدات نحو الجبل الأبيض في أقصى الجنوب. وفي صبيحة يوم 21 سبتمبر أرسل القائد بشير شيحاني دورية عسكرية بقيادة محمد بن عجرود لاعتراض القوات الفرنسية القادمة من مدينة الشريعة حيث اشتبكت معها في المنطقة المسماة فرطوطة بالقرب من جبل أرفو واستمرت المواجهة حتى مساء نفس اليوم لتبدأ القوات الفرنسية الزحف على مقر القيادة بواد هلال صبيحة يوم 22 سبتمبر 1955 وتبدأ فصول معركة الجرف .

- **معركة الجرف 22 /28/ سبتمبر 1955** : بدأت المعركة صبيحة يوم 22 سبتمبر 1955 على الساعة التاسعة صباحا عند المدخل الشمالي لجبل الجرف حيث يقع مقر الإدارة واستمرت حتى 28 من نفس الشهر تمكن خلالها المجاهدون من فك الحصار والتوجه نحو منطقة الجديدة بالقرب من واد العرب المتاخم للناحية الغربية للأوراس [25].

الهوامش

1- عند انطلاق الثورة اقتصر اسم الأوراس على المنطقة الأولى حتى منتصف 1955 ولاعتبارات سياسية وعسكرية واجتماعية تم إضافة النمامشة واتخذ الاسم طابعا رسميا في مؤتمر الصومام 20 أوت 1956 أين أصبحت الولاية تسمى أوراس النمامشة.

2- شهادة المجاهد بوصفصاف صالح (مازال على قيد الحياة ويقيم بمدينة عنابة) والذي اكد أنه شارك إلى جانب شريط لزهر في معظم العمليات العسكرية بالجنوب التونسي + شهادة المجاهد بوزيان لخضر.

3- من أبرز المشاركين في هذه الثورة التونسية لزهر شريط، بوصفصاف صالح، جدي محمد بن فرحات بلقاسم قلي، محمد بن عبد الرحمان، محمد بن عبد الحفيظ، بالنور، بن طيبة لحسن، حاج مصطفى زرفاوي، علي بن زايد، العبدي ثابت، عبد الله السفربي، بوديوس الكامل، غلاب بشير، علي عبد الحفيظ مشري، ساعي فرحي، محمد بن العزيز حميدان الأمين دربال، بوزيان العربي، عمارة إبراهيم (بن سالم)، عبد العزيز سديرة، عبد الله بورفعة، عبد المالك فريد (الجنة).

4- حسب شهادة صالح بوصفصاف المدعو (الزيدي) وهو من المشاركين في أحداث الثورة التونسية أكد أن عددا هاما من الجزائريين احتفظ بأسلحته وتم تخزينها.

5- شهادة عدد هام من المجاهدين (براهمية محمد العربي، قاسمي إبراهيم، فارح محمد، بوزيان لخضر، قواسمية الهامل).

6- مصطلح أطلق على الثوار التونسيين والصقته السلطات الفرنسية على المجاهدين بالجزائر إبان الثورة التحريرية.

7- شهادة المجاهد علي بن أحمد مسعي والذي أكد أن أحد المنخرطين في صفوف الثورة التونسية من أبناء المنطقة يدعى عمارة إبراهيم بن رابح كان قائدا لدورية تعمل بداخل الناحية بغية جمع السلاح والمساعدات لصالح الثورة التونسية. اتصل به فرحي ساعي وكلفه بإنشاء خلية لتوقيف عملية تهريب السلاح واتفق معه على استخدام اسم الثورة التونسية كغطاء لسرية العمل. انظر خليفة بولحراف، الطلائع الأولى للثورة بالمناطق الحدودية الشرقية، ملتقى دور المناطق الحدودية إبان الثورة، ص 43.

8- نفسه ص 63.

9- شهادة المجاهد بوزيان لخضر، لمزيد التفاصيل أنظر محمد زروال، النمامشة في الثورة، دار هومة الجزائر، 2003، ص 61.

10- خليفة بولحراف المرجع السابق، ص 45.

11- محمد زروال المرجع السابق ص 63.

12- محمد زروال المرجع السابق ص 65.

13- البصائر العدد 312 الجزائر 1955/05/06 ص 08 (شمل قانون حالة الطوارئ الصادر في 16 افريل 1955 المناطق التالية: دائرة باتنة ودائرة تيزي وزو و بلدية تبسة المختلطة وبلدية تبسة).

14- شهادة عمر المستيري، تفاصيل هذه الشهادة أنظر محمد زروال، المرجع السابق، ص 57/56//55/54.

15- يطلق عليه مساعدية الزين ودعي (الزين اللموشي) وقد أكد لي هذه الشهادة بمناسبة تخليد اندلاع الثورة في 1993/11/01 بالشريعة ولاية تبسة حسب شهادة عمر البوقصي المقيم حاليا ببلدية فركان ولاية تبسة فإن الدورية كانت مكونة منه والمدعو الجموعي البسكري.

16- شهادة عمر.

17- شهادة عمر المستيري + شهادة عمر البوقصي.

18- جمعية الجبل الأبيض لتخليد مآثر الثورة، الملتقى الوطني الأول حول دور المناطق الحدودية 1996، ص 37.

19- محمد زروال المرجع السابق ص 125.

20- شهادة قتال الوردي.

21- تفاصيل حول المعركة أنظر عثمان سعدي، مذكرات الرائد عثمان سعدي، الجزائر، دار الأمة، 2000، ص 66/56 وعبد السلام بوشارب، تبسة معالم ومآثر المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر الرويبة، 1996، ص 60.

22- محمد زروال المرجع السابق ص 128.

23- منطقة جبلية تقع بين جبل الجرف وجبل أرقو شمالا وسط جبال النمامشة تنمو بها أشجار تعرف باسم الطرفة وقد وقع عليها الاختيار لحصانتها.

24- محمد العربي مداسي، مغربلو الرمل (أوراس النمامشة) 1945/1959 الوكالة الوطنية للنشر والإشهار الجزائر، 2001، ص 113.

25- تفاصيل هذه المعركة أنظر مصطفى بن بولعيد والثورة الجزائرية، ص 946- محمد زروال، النمامشة في الثورة ص 162- 163، مديرية المجاهدين لولاية تبسة، معركة الجرف عين مليلة 1989.

المداخلات

مداخلة: الدكتور لواء أركان حرب صلاح الدين خيري غنيم من جمهورية مصر العربية

المتخرج من الكلية الحربية المصرية سنة 1958، الدفعة الأولى.

التحق بالقوات الخاصة المصرية منذ تخرجه واشترك في العمليات الخاصة ضد العدو الإسرائيلي، كما شارك كمدرب ومكوّن في تكوين رجال الصاعقة في العديد من الدول العربية ومن بينها الجزائر والجماهيرية الليبية العربية، الآن له الكلمة ليقدم مداخلته:

بسم الله الرحمن الرحيم: "ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون"

السيد معالي وزير المجاهدين محمد شريف عباس، السيد معالي الوزير سعيد عبادو أمين عام المنظمة الوطنية للمجاهدين، السيد والي ولاية تبسة، السيد الأستاذ الدكتور رئيس جامعة تبسة، السادة الحضور من أبطال معركة الجرف ومن السادة قادة ورموز الثورة الجزائرية وخاصة الأخ عبد الحميد مهري والأخ أحمد محساس والمجاهدون الأبرار وشباب الولاية وطلاب جامعة تبسة قادة المستقبل إن شاء الله.

في الحقيقة كنت أود أن أقوم بتحليل معركة الجرف استراتيجيا، تعبويا واستراتيجيا من حيث النواحي العسكرية والدبلوماسية والسياسية لكن حضرته قال وبدءاً من معالي الوزير محمد شريف عباس ومؤسسي الثورة الجزائرية والأساتذة والمحللين والمسؤولين غطوا كل ما كتبته وحضّرته لهذه المناسبة العظيمة ولكنني سأتناول بعض النقاط الهامة سواء على المستوى الاستراتيجي، الدبلوماسي، العسكري أو الحضاري حتى أختصر في العشر دقائق التي حددها لي الأخ رئيس الجلسة.

بدءاً بذكر تحية إعزاز وتقدير لشعب الجزائر العظيم بتاريخه وحاضره ومستقبله إن شاء الله، تحية إعزاز وتقدير لشهداء شعب الجزائر الذين ضحوا بأرواحهم ليعيش شعبهم في حرية وكرامة وعزة، تحية إعزاز وتقدير لشهداء الجزائر ليس فقط مليون ونصف مليون شهيد الذي

يتناوله المحللون والمؤرخون بل هم ملايين الملايين لأن المليون والنصف هذا بدأ من 1 نوفمبر 1954 إلى غاية يوليو 1962 ولكن الاحتلال تم في 5 يوليو 1830، الشهداء الذين سقطوا بالملايين على هذه الأرض الطاهرة طوال المائة وثلاثون سنة، تحية للأبطال من أهل قسنطينة وتبسة الذين وضعوا دستورا للجهاد وشعارا له ألا وهو "النصر والاستقلال أو الموت والشهادة" وهذا أصبح كما رأيته من الجهاد في الجزائر هو الدستور الذي شمل الست ولايات التاريخية في الجزائر، تحية لأبطال معركة الجرف الذين أشعلوا شرارة الجهاد في جميع الولايات التاريخية الست.

عندما أتكلم عن معركة الجرف أو ملحمة الجرف فيجب أن أصفها بمعركة الشرف والتضحية والكرامة. المعركة التي رفعت معنويات المجاهدين وأسرهم في كل أنحاء الجزائر، المعركة التي أعطت الأمل لتحقيق الأحلام ليروا دولة الجزائر حرة مستقلة، المعركة التي أظهرت معدن المجاهد الجزائري وأثبتت للعالم كله وفي مقدمته المستعمر الفرنسي أن شعب الجزائر ليس من الفلاقة أو قطاع الطرق والخارجين عن القانون ولكن شعب صمم على القتال للنهاية حتى يتحقق هدفه المنشود. إذن المقاتل الجزائري هو مقاتل شرس يُصرّ على النصر ببسالة وشجاعة وشعاره كما قلت: "النصر والاستقلال أو الموت والشهادة"، وكما سمعنا أمس فإن العقيد دومينيك يشهد بهذا.

إذا تكلمنا عن النقاط الموجزة من الناحية العسكرية لمعركة الجرف فسنقول إن هذه المعركة لم تكن مخططة من قبل ولكن أُجبر المجاهدون على خوضها وأثبتوا جدارة في تنظيم وإدارة هذه المعركة وكيفية استغلال كما سأذكره في نتائج هذه المعركة، استغلال الأرض من المرتفعات، المغارات، استغلال طبيعة الجو، استغلال سوء الأحوال الجوية، استغلال انتهاء النهار واستغلال ضعف وإجهاد المقاتلين الفرنسيين وكيفية عمل ثغرة واختراقها للخروج من هذه المنطقة.

المعركة بإيجاز دون أن أكرر ما قاله السادة الزملاء وخاصة السياسيين والعسكريين العظماء والذين حللوا أمس المعركة من الناحية التاريخية ومن الناحية العملية، عمليا وميدانيا وأكاديميا، لكن سأوجز الحديث لأقول إن إستراتيجية العدو الفرنسي في هذه المعركة كانت تهدف إلى تطويق منطقة الجرف في حدود 30 كلم^2 وحصارها والقيام بمسح شامل ودقيق لها والإصرار على عدم خروج المجاهدين من هذه المنطقة والإصرار على قتلهم وتدميرهم حتى لا يكون لهم قائمة وحتى ينهوا هذه الشرارة ويقضوا على هذه المعركة المجيدة.

ومن جانب آخر كانت إستراتيجية المجاهدين العظماء وعلى رأسهم المجاهد بشير شيحاني رحمه الله، كان وأنا لا أعرف ما هو تأهيله ولكنه كان تأهيلا عظيما، يعرف فنون القتال ويعرف أن العمليات الخاصة وحرب العصابات وهذا النوع من العمليات يعتمد على قوة صغيرة من الأفراد لها تسليح محدد ومعين لتنفيذ المهام، لا تمكنه من

البقاء في هذا المكان لفترة طويلة ولكن ينفذ عملية عسكرية ثم ينتقل إلى مكان آخر لنفس الغرض وغيره أي عملية الكر والفر، هذه هي إستراتيجية وتكتيكات حرب العصابات والقوات الخاصة.

فقد كان الهدف هو الخروج بكامل قواته، بكامل عتادها وكذا كامل أسلحتها من هذا المكان المحاصر الذي لا يقوى على مجابهة هذه القوات ولذلك إذا نظرنا إلى حجم القوات وكما قيل ومثلما رأيت في الأنترنت لأنني لم أجد معركة الجرف في الكتب الصادرة من طرف وزارة المجاهدين في مصر عندما لجأت إلى الأخ عبد القادر حجار وللمركز الثقافي، ولكن رأيت على الأنترنت أنه كان هناك ما بين 20-30 ألفا أثناء المعركة بوصول الإمدادات التي جاءت من الخلف ارتفع العدد إلى حوالي 40 ألفا. فإذا أخذنا متوسط كل هذا فستكون نسبة المهاجم إلى المدافع هو من 100 إلى 01، في حين أن القواعد العسكرية تقول إن المهاجم إذا أراد أن يقتحم موقعا معاديا تكون النسبة من 02 أو 03 إلى 01 وانظروا إذن إلى عظمة هؤلاء المقاتلين والمجاهدين أن تكون نسبة المهاجم بالنسبة إليهم من 100 إلى 01 ورغم هذا كانت الشجاعة والقناعة بالقضية وكان عليه أن يفكر ويتخذ القرار ويقول أنه يجب المحافظة على قواته وينتقل من مكان لآخر والاستمرار في ملاحقة العدو وتدميره وإحداث أكبر الخسائر في صفوفه، وهذا كان طبعا شيئا عظيما.

والشيء الثاني وحتى تنجح الخطة بعد أن اتخذ القرار ووضع الخطة بدأ يفكر في كيفية اختراق الحصار، فلم ينس أنه قائد ميداني لحرب العصابات فأرسل مجموعات صغيرة إلى خطوط مواصلات وتنقلات العدو لنصب الكمائن والإغارات ووضع الألغام حتى يشغلهم ويستغل هو الظروف الجوية واقتراب حلول الليل وإرهاق عساكر العدو مدة يومين أو ثلاثة ثم يخترق ويخرج من ذلك الحصار. فهذا كان قائدا فذا تعلم فنون الحرب بالفطرة بجوار إلى خبرته البسيطة التي كانت لا تتعدى كما أعلم حوالي 10 شهور من 1 نوفمبر 1954 إلى سبتمبر 1955.

إذا نظرنا إلى الخسائر 800 قتيل و1500 جريح بالنسبة للعدو الفرنسي وثلاث طائرات وكميات كبيرة من الأسلحة والذخائر، في المقابل كان حوالي 100 شهيد و60 جريحا بإضافة إلى المدنيين الذين كانوا معهم.

نصل الآن إلى النتائج، بالنسبة للجيش الفرنسي فقد هُزم هزيمة نكراء في هذه المعركة ولم يتمكن من تحقيق هدفه على المستوى العسكري أو السياسي لأنه لم يتمكن من عزل المنطقة الأولى التي كانت مساحتها 30 كلم^2 كما لم يتمكن من تدمير الجنود المجاهدين الذين تحركوا وخرجوا من المنطقة المحاصرة وبالتالي لم يتمكن من القضاء عليهم.

على الجانب الآخر نجد أن المجاهدين الأبطال قد حققوا أهدافهم بأقل خسائر ممكنة فتمكنوا بفكر وشجاعة وتضحية وإقدام القادة والمجاهدين وأنا أعني كل كلمة لما أقول بفكر وشجاعة وتضحية وإقدام

أن ينظموا المعركة واتخاذ قرار الخروج واستغلال طبيعة الأرض والمرتفعات في حماية قواته واستغلال آخر أشعة الضوء وإجهاد قوات العدو في إحداث الثغرات والخروج، كما حقق المفاجأة والمبادأة والخداع للقوات الفرنسية المعادية بالرغم من كبر قواتها وعظمة قاداتها سواء في العلم أو في الخبرة وهذا الجانب الاستراتيجي أثبت للعالم قدرة جيش التحرير الجزائري على هزيمة العدو الفرنسي وأنه ليس الجيش المخيف الذي لا يقهر.

ومن الناحية الدبلوماسية صدّر المشكلة الجزائرية إلى المحافل الدولية وبالتالي وُضعت على أجندة الأمم المتحدة وطُلب حلها، ومن الناحية الاجتماعية رفع معنويات الشعب الجزائري والمجاهدين وعائلاتهم.

هكذا أكون قد تمكنت من تغطية الموضوع بإيجاز شديد، وكنت قد سئلت بالأمس عدة أسئلة من طرف الزملاء والإخوة الأعزاء في الجزائر:

السؤال الأول كان عن موضوع التعاون العربي في ذلك الوقت والذي كان في الحقيقة على أعلى مستوى سواء بالنسبة للأمة العربية من الشام إلى غاية المغرب العربي ونود أن يعود مرة ثانية هذا التعاون الصادق الأمين للأمة العربية حتى تخرج من كبوتها. والحقيقة أن السادة المجاهدين وهم معنا اليوم كانوا يذهبون اتلقي العلم العسكري في سوريا، العراق ومصر وكان بعض الطيارين مثل الأخ معالي الوزير السعيد أيت مسعودان وهو صديق الأخ اللواء حسني مبارك تلقى هذه

العلوم في باكستان الدولة الإسلامية ثم تلقى التكوين من الناحية العملية في مصر في قاعدة فايد العسكرية.

ما أريد أن أقوله هو أن الوضع لم يصبح هكذا فقط وكذلك ليس في وقت جمال عبد الناصر فقط وأنتم تعلمون أنه في عهد الملك عندما ذهب الأخ عبد الكريم خطابي سنة 1948 للالتحاق بالملك محمد الخامس بمنفاه وقفز من قناة السويس إلى الباخرة ولجأ إلى مصر وأصبح لاجئا سياسيا وبدأ في تشكيل مكتب المغرب العربي. وفي سنة 1953 بعد ثورة جمال عبد الناصر كوّن مجموعة وأنا أتذكر مع الإخوة المجاهدين القدامى ومؤسسي الثورة الجزائرية و1 نوفمبر 1954 وكمعلومة للأبناء الأعزاء من شباب وطلبة تبسة أنه في هذا التوقيت أنشأ عبد الناصر مجموعة من الضباط الأحرار يرأسهم كمال الدين حسين عضو مجلس قيادة الثورة وعزت سليمان وحلمي السعيد وفتحي الديب لدراسة الموقف في المغرب العربي ومعرفة ما هي أهدافهم ومتطلباتهم من حيث التدريب والإعداد والأسلحة والذخائر والمعدات. وقد كان المجاهدون يأتون إلى القاهرة في كوبري القبة إلى الكتيبة مشاة التي كان يرأسها صلاح نصر الذي عُين بعد ذلك مديرا للمخابرات العامة وطبقا لتخصصاتهم كانوا يذهبون إلى مدرسة الإشارة، مدرسة المهندسين العسكرية ومدرسة الصاعقة ليس ذلك فقط بل القوات الجوية، الشرطة والبحرية لتلقي التدريبات ثم يأخذون التلقين المعنوي من الأزهر الشريف ويعودون إلى أوطانهم. بعدها يتم إرسال السلاح إلى ليبيا،

تونس والمغرب سواء عبر الموانئ أو من خلال البر لإيصالها إلى المجاهدين في تونس والمغرب والجزائر. هكذا كانت الروح العربية والإعداد العربي دون أن ننسى موقف تونس كما ذكره الأخ العزيز الدكتور عميرة وكذا موقف الملك محمد الخامس.

أشكركم وأشكر السيد معالي وزير المجاهدين وأرجو من سيادته أن يصدر هذه النتائج أيضا إلى جامعة الدول العربية حتى تستفيد منها كما قال الأخ عبد الحميد مهري أمس الدول العربية التي مازالت تحت الاحتلال ولتكون درسا مستفادا لها لكيفية القضاء، وأشكر ثوار ومجاهدي الشعب الجزائري العظيم وأوصي أبناءنا الطلاب والشباب أن يستفيدوا من هذه القدوة الحسنة التي تسمعون عنها الآن وأن تعملوا دائما على الحفاظ على أمن واستقلال الجزائر الشقيقة ووفقكم الله بما فيه الخير والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

الأستاذ الدكتور زكي مبارك

أستاذ جامعي بجامعة الملك محمد الخامس بالمملكة المغربية الشقيقة والذي يعد رفيقا وصديقا للمركز الوطني الدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 54 بالجزائر يلبي الدعوة في كل لحظة وفي كل آنٍ.

بسم الله الرحمن الرحيم، حضرات السادة والسيدات، إخواني المجاهدين أبطال معركة الجرف المجيدة، كلمتي ستكون قصيرة جدا لأنني أريد فقط من خلال هذه المسّة أن أرفع إليكم من بلدكم الشقيق المغرب وأحمل إليكم عبارات المحبة والأخوة والإحساس العميق لما يربط الشعبين المغربي والجزائري من روابط التاريخ والجغرافيا واللغة والدين، فضلا عن العديد من مظاهر التضامن والتعاضد التي تبلورت طيلة مسيرة الشعبين ومازالت تجلياتها حاضرة وبكل قوة في جزائر اليوم وفي مغرب الحاضر.

ثورة الفاتح من نوفمبر 1954 شكلت تحولا عميقا وحاسما في مسيرة الحركة التحريرية المغاربية لأنها شكلت قطيعة بين أسلوبين من الكفاح: أسلوب المهادنة والحوار ومطالب الطرق السلمية وأسلوب اللجوء إلى العمل المسلح والعنف الثوري على أساس أن ما أُخذ بالقوة لا يسترجع إلا بالقوة.

وأخيرا هذا الأسلوب الثوري هو الذي حسم المعركة بين الاستعمارين: بين الاستعمار الفرنسي الاستغلالي والاحتلالي وحركة التحرر المغاربية التي فرضت على فرنسا إرادة الشعوب المغاربية، هذه الشعوب التي واجهت هذا الاستعمار في جبهة واحدة وموحدة واضحة الأهداف والمقاصد فكان هذا سرّ من أسرار انتصاراتها.

البارحة وحتى صبيحة هذا اليوم تعرض بعض المتدخلين إلى مشاركة الجنود المغاربة المسلمين في الجيش الفرنسي ولا سيما في معركة

الجرف المجيدة، فإقحام الجنود المسلمين المغاربة في هذه المعارك التي كانت مقصودة وجُربت منذ مراحل الاحتلال الأولى في الجزائر من 1830 وانتهاء بالمغرب في 1912، كان لتفادي كما يقولون إهراق الدم الفرنسي.

وبعد استرجاع حريتنا واستقلالنا سرعان ما لجأت فرنسا الاستعمارية إلى مكرها السياسي المعتاد لضمان استمرارية نفوذها السياسي والفكري والاقتصادي فاعتمدت على جنود آخرين ومن صنف آخر عوّضوا البندقية الفرنسية بالقلم الفرنسي بيك (Bic) وغيره من الأقلام، فشكلوا داخل مجتمعاتنا قوى اقتصادية وفكرية وسياسية تخدم مصالح فرنسا بوعيٍ أو دون وعي. ومازلنا نعيش حاليا تبعات نشاط هؤلاء الجنود في استمرارية النفوذ الفرنسي وإجهاض كل محاولات الوحدة المغاربية وتعثير مسيرتها. إلا أن وحدة هذه الشعوب المغاربية ظلت حية في وجدان المغاربة والتونسيين والجزائريين والليبيين وظلت حية إذن لأنها تتغذى وباستمرار من مقومات تاريخية ودينية ومن نضال وجهاد رموز أبطال الحركة التحررية المغاربية من الأمير عبد القادر الجزائري ومرورا بعبد الكريم الخطابي إلى عمر المختار.

كما قلت لا أريد أن أطيل وأنتهز هذه الفرصة لأحمل إليكم تحيات مناضلٍ مغاربي يعرفه الكثيرون ممن عاشوا مراحل حركة التحرر المغاربية المناضل الهاشمي الطود فقد كلفني بإبلاغكم وإبلاغ هذا الجمع الكريم تحياته الأخوية الجهادية. وأنا بدوري أريد أن أتوجه

بالشكر الجزيل إلى وزارة المجاهدين وإلى المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة نوفمبر 1954 لأنني بفضله استفدت كثيرا من اللقاءات التي نظمت هنا في الجزائر وكنت دائما ألبي الدعوة لأحضر هذه اللقاءات لأنني أستفيد منها وعلى كل المستويات، فالبارحة عندما أتيحت لي فرصة زيارة موقع معركة الجرف قارنتها بمعركة أنوان الشريفة، فمعركة أنوان من حيث الموقع والتضاريس تشبه بكثير معركة الجرف.

وأضيف إلى ما قاله بعض الإخوان بأن هذه المعارك التاريخية الكبرى يجب أن تكون موضوع أفلام سينمائية لتستفيد منها الأجيال الحاضرة، أنا مدين وبكل صدق إلى وزارة المجاهدين والمركز الوطني للدراسات والبحوث الذين أتاحوا لي فرصة تعميق دراستي وإصدار ما ألفته في هذا الموضوع من كتب وما كتبته من بحوث فإليكم جميعا أيها الإخوة أتوجه بالشكر الجزيل والسلام عليكم.

علي محساس مجاهد ووزير سابق

إن هذه المناسبة تذكرنا بأن الثورة الجزائرية ومناطق كثيرة والمرحلة الأساسية التي ضمنت النجاح طيلة جميع التظاهرات، هو أن الثورة الجزائرية نجحت آنذاك بفضل قوتها الإستراتيجية المتمثلة في القوة السياسية، الاقتصادية، العسكرية وتجنيد الشعب الجزائري وتنظيمه ضف إلى ذلك المدة الطويلة من النضال التي توجت بالثورة حيث تنظمت خلالها هذه الأخيرة وتمرست في جميع المعارك السياسية وغير السياسية.

إن التجارب التي تراكمت خلال هذه المدة الطويلة جعلت الإطارات الوطنية، إطارات الثورة الجزائرية، إطارات قادة، أدوا المسؤوليات الكبرى على إنجاب المعارك الكبرى مثل معركة الجرف التي بينت بأن الثورة الجزائرية ليست إشاعة كاذبة وليست كما يظن البعض فلافة، ولكن ثورة منظمة لديها إستراتيجية واحدة، شعب واحد، هدف واحد، ونظام واحد وهذا بفضل تغيير نظام الحركة الوطنية الشاملة وطرح إستراتيجية جديدة لنيل الاستقلال والكفاح الايجابي. وفي هذه الفرصة لا ننسى بأن هذه المعركة ما زالت دائمة وكانت المحاولات طوال تاريخ الشعب الجزائري وبالأخص في مرحلة الثورة. هناك بعض الأعداء الذين لم ينسوا ولا يريدون أن ينسوا بأنهم ظلموا دوما الشعب الجزائري وكذلك لديهم حقد على الانتصار الباهر الذي

تحقق في هذه البلاد والذي يسميه الناس معجزة لكنه في الحقيقة ليس كذلك بل بفضل ذكاء الشعب، ذكاء المناضلين، استمرارية الإرادة، الاستمرارية في التنظيم، الاستمرارية في التضحية وفي النظرة البعيدة المدى.

نشكر الإخوة الذين نظموا هذه التظاهرة وكذلك أوجه تحياتي الحارة لمجاهدي كل زمان.

المجد للشهداء، نعرف الآن بكل وضوح ما هو ثمن التحرير وثمن استرجاع الهوية الأساسية الحضارية للشعب الجزائري بثمن غالي جدا.

السلام عليكم.

عبد الحميد مهري مجاهد، وزير سابق

إخواني، أخواتي السلام عليكم ورحمة الله، أود أن أشكر أولا وزارة المجاهدين على تنظيم هذا الملتقى للتعريف بمعركة هي من صميم تجربة الثور الجزائرية ألا وهي معركة الجرف التي لها دلالة خاصة في ما يخص صلاحية الإستراتيجية التي سلكتها الثورة الجزائرية من أولها إلى آخرها وهي أيضا دلالة على أن نهج المقاومة وإرادة المقاومة هي سلاح الضعيف ووسيلة الضعيف التي يواجه بها الأقوياء.

في السنة الأولى للثورة، على وجه التحديد في شهر أوت وسبتمبر سنة 1955 عاشت الثورة تجربتين، التجربة الأولى تتمثل في مظاهرة الشمال القسنطيني في الولاية الثانية، خلال هذه التجربة مزجت قيادة الثورة بين وسيلتين: المظاهرات الجماهيرية والعمل المسلح. كانت المظاهرات، وكان بعض المتظاهرين مسلحين. كانت المظاهرات تقوم بالحركة الأساسية والقليل من المسلحين كانوا يهاجمون المقرات التي توجد بها أسلحة العدو للتسلح منها.

الهدف الثاني من هذه الحركة هو التخفيف من الضغط الذي كان مسلطا على الولاية الأولى. وحسب ما سمعت فإنه كان يوجد تنسيق بين القيادتين لهذا الغرض، والمقاومة تكون من الضعيف إلى القوي، مهما كان الظالم قويا، فإن الضعيف المظلوم يمكن أن يجد الوسيلة لمقاومته.

أثبتت قيادة الولاية أثناء معركة الجرف والإخوان المشرفون على تنظيم الكفاح في هذه البقعة استيعابهم لهذه الرؤية وتطبيقها في الميدان وكانت آثارها إعادة الثقة للمناضلين والمجاهدين في كل القطر الجزائري بأن الفئة القليلة العازمة المسلحة بالإرادة يمكن أن تنتصر على الأسد، وأثبتت للعالم من جهة أخرى أن الثورة الجزائرية التي كانت تقدم للرأي العالم بواسطة أبواق الدعاية الفرنسية على أنها مجرد عمل أناس خارجين عن القانون، أثبتت للعالم بقرب انعقاد دورة الأمم المتحدة على أنها بداية ثورة عارمة لشعب صمم على التخلص نهائيا من النظام الاستعماري.

هاتان التجربتان ما زالتا في حاجة إلى دراسة من طرف أجيالنا الناشئة لأنها تهدينا إلى الحكم على واقعنا الحالي في العالم العربي والإسلامي الذي يذوب تحت عبء الإحباط، القهر، الظلم وتسلط الأقوياء. ولكن بصيص الأمل أن إرادة المقاومة التي تجلت بالأخص في مقاومة لبنان وحزب الله للهجوم الإسرائيلي أثبتت أن الضعيف يمكن أن يقابل الأقوياء إذا تسلح بالإرادة الكافية من الإيمان بعدالة قضيته وإذا استمات في هذه المقاومة، وتجعلنا أيضا في وضع يمكّننا من الحكم على أن السياسات العربية الحالية، والتي مع الأسف نشاهد آثارها السلبية، سياسة الاستسلام والخنوع لا تؤدي إلى حل مشاكل العالم العربي الإسلامي ولا إلى حل مشاكل كل قطر من هذه الأقطار.

وبهذه الرؤية يجب أن ننظر إلى التجربة الجزائرية على أنها إسهام من الإسهامات الكبرى في حركة الشعوب نحو التحرر، وما يقال في المستوى العام يصدق أيضا على القضية الفلسطينية التي تجتاز الآن وضعا حرجا جدا لأنها حادت من وجهة نظر خاصة عن سبيل المقاومة الحقيقية.

التفكير في ماضينا هو الذي يهدينا إن شاء الله إلى الوفاء للثورة ويهدينا إلى خير سبيل للترحم على الشهداء وإبقاء ذكراهم حية بيننا.

السلام عليكم ورحمة الله.

عبد الرحمان بلعياط مجاهد، وزير سابق

بسم الله الرحمن الرحيم، طبعا في البداية الشكر يعود للسيد الوزير، وزير المجاهدين والسيد الوزير أيضا الأمين العام منظمة المجاهدين ولولاية تبسة.

تدخلي يكمن في نقطتين أو ثلاث.

النقطة الأولى، هي التذكير من ناحية المنهجية بمسألة الصنع العسكري وإذا كانت الترجمة صحيحة le fait militaire النشيد الذي نقرأه هنا والبيان وصل إلى نتيجة بأن العمل السياسي المنظم والمسموح به وكل الأساليب التي ذكرها سي عبد الحميد مهري عندما احتفلنا بسي لامين العمودي وصلت إلى مأزق، بقي الحل والنجاة الحقيقية في العمل العسكري.

في رأيي أن معالجة أمور الثورة الجزائرية لابد وأن تنطلق من ضرورة وأحقية العمل العسكري في الصنع العسكري هو الوسيلة الوحيدة لإجبار العدو على الاعتراف بشخصية واستقلال الجزائر. الأدوات الأخرى التي استعملتها الثورة مثل تنظيم الجماهير في 20 أوت 1955 وفي ديسمبر 1960 وتخللتها مظاهرات في المدن والقرى كلما كانت مناسبة أول نوفمبر أو 5 جويلية أو غيرها. هذه كانت كلها لمساندة العمل العسكري لإجبار العدو على عدم العودة إلى أساليب أخرى، العمل العسكري هذا، يستلزم دراسة متعددة الاختصاصات وليس من

صلاحية المؤرخين وحدهم، وهذا العمل العسكري يخاطب العلوم العسكرية من أول نوفمبر 1954، حتى توقيف القتال حتى ما بعد الاستقلال.

النقطة الثانية سيدي الوزير التي أريد التطرق إليها هي أنه في مخيلات الجماهير آنذاك 1954- 1955 وحتى 1956 هي معركة الجرف ومعارك أخرى قبلها، أشير إلى معركة العشرية الأولى لشهر نوفمبر في خنقة معاش لست أدري إن كانت الجرائد أيام 6- 7- 8 كتبت عنها، خلالها كانت لي الفرصة للاحتكاك بمجاهدي 1954 هذه المعركة الأولى أمام العدو في الأوراس هي التي فرضت شخصية جيش التحرير الوطني على العدو:" إنها معارك مؤسسة لشخصية جيش التحرير الوطني : se sont des batailles fondatrices de la personnalité de l A.L.N هذا النوع من المعارك استمر ربما إلى غاية 1956.

النقطة الثالثة، مرحلة أخرى ألا وهي انتشار الثورة وتكوين التشكيلات المقاتلة وتزويدها بالسلاح من تونس، تزويدها بالتنظيم وأصبحت انتشارا يفرض مواجهة العدو بأساليب أخرى له تقنيات عسكرية متطورة وتكوين متطور وتسليح متطور.

والمرحلة الثالثة، هي مرحلة عمليات شال، هذه الأخيرة لها دلائل أخرى حيث تمكن جيش التحرير الوطني من فرض وجوده على الجيش الفرنسي، والسلطة الفرنسية لم تعد تعتمد على انتصار عسكري، لأن جيش التحرير الوطني منعها من الانتصار العسكري. الإخوة ذكروا

سير أحداث المعركة وأتذكر أننا عشنا نفس الشيء في معارك أخرى في مراحل أخرى. المرحلة الثانية والثالثة وأتكلم بكل تواضع لأن في القاعة كثير ممن سبقونا إلى الكفاح وكثير ممن كنت تحت مسؤوليتهم: بلقاسم حفصاوي مسؤول ناحية باتنة، محمد حجار، محمد الهادي رزايمية، محمد صغير هلايلي وغيرهم.

وكما كانوا يتحدثون عن المعركة فهي أولا قرار مثلما ذكر سي عبد الحميد مهري، أي قرار مواجهة العدو، قرار كما كان يقول جيشنا متى نتمركز أي "نسطالو" لأنه عندما يطوقك العدو فالقرار هو اجتناب الاشتباك معه، أما قرار الاشتباك لا يكون دائما فرديا فهو جماعي ثم يتكلم الرصاص يتكلم يأتي بعد ذلك تنظيم المواجهة الذي يتطلب علوم عسكرية وفي الأخير يأتي قرار الانسحاب الذي يتطلب كفاءات وتقنيات عسكرية.

أحببت في هذه المناسبة العظيمة أن تُدرس معركة الجرف في الكليات العسكرية وأن تدرس في أقسام علوم الاجتماع وكل العلوم النفسانية إذ كيف يصبح قرار ثوري جاوبا يعلم العدو بأن الثورة منتشرة وهاهي حقيقتها وينتهي بعمل عسكري.

النقطة الأخيرة لأنني لا أريد أن أطيل، هي شهادة الفرنسي التي استمعنا إليها الآن، هناك شهادات أخرى خاصة في ما يتعلق بالمرحلة الحاسمة لعمليات شال وفي مجلات معروفة مثلا la nouvelle critique حيث أدلى عدة رواد وعقداء بشهاداتهم عن المعارك التي واجهناهم فيها

منها عملية "أرياج" في أوراس النمامشة التي تبدأ من الحدود الجزائرية - التونسية وتنتهي في المسيلة، وتشمل كل المناطق: السادسة، الثانية، الأولى والرابعة التي كان فيها محمد حجار وقد جلب المؤرخ زوزو عبد الحميد وثائق في ما يخص تلك الاشتباكات واعترافات الضباط وتقاريرهم التي قمنا بمقارنتها مع التقارير التي أرسلناها إلى الولاية والمنطقة، وقد اعترفوا بهزائمهم. ومن الأشخاص الذين ماتوا فقد دفنوا سي عبد الحميد مثلا في زرالدة لأنهم كانوا يأخذون احتياطاتهم ولا يسجلونهم في الحالة المدنية بالمنطقة التي تقع فيها المواجهة حتى لا يطلع عليها الشعب. وهكذا أريد أن نستغل هذا الزخم بكل التقنيات التي تقوم بتحليل المجتمع ونقول دائما إن من يفرض نفسه بالقتال لا تُفرض عليه الهيمنة. التجارب الأخرى التي لا تملك جيشا وطنيا للتحرير وسي عبد الحميد مهري تكلم عن لبنان وغيره، صحيح تكون المقاومة ولكن الانتصار يكون فيه، في الصحراء الغربية عندما واصلوا القتال، وصلوا إلى اعتراف كبير، فالجهاد بالكلمة وبالدبلوماسية والجماهير فقط لا يكفي، فإن الصنع العسكري وهذا الذي استنتجته من الجرف وغيرها من معارك جيش التحرير، هو الصنع العسكري، وهذا يحتاج إلى اهتمامنا جميعا، إن شاء الله نساهم فيه بقدر الإمكان.

السلام عليكم

الحاج يعلا مجاهد، وزير سابق

بسم الله الرحمن الرحيم، إخواني، أخواتي

في الحقيقة لم أطلب الكلمة، كما أنني لم أحضر نفسي للإدلاء بها، أمام الإخوة المسؤولين والمشاركين في هذا الملتقى، الإخوة والأخوات الأعزاء.

كنت مناضلا في هذه المنطقة وعرفت كثيرا من المسؤولين الذين استشهدوا والذين ما يزالون على قيد الحياة.

عرفت طبعا الأخ لغرور عباس، شيحاني بشير رحمهما الله حيث عملت معهما في بداية الثورة، أتذكر اللقاء كما هناك بعض الصور في أوائل 1955 في مزرعة تزقاغت التي تبعد قليلا عن مدينة خنشلة حيث كان هناك الأخ لغرور عباس، شيحاني، تيجاني عثمان وغيرهم كثير، كانوا يحضرون لخوض المعركة الكبرى ألا وهي معركة الجرف.

بودي فقط أن أحييكم، وقد قلت دائما بأنني من مدرسة الدكتور لمين دباغين رحمه الله الذي يقول بعدما يتحدث كثيرا عن الحركة الوطنية، يقول في الحقيقة لم أقم بأي شيء ما دمت حيا، إذن أقول نفس الشيء بالنسبة لي.

لذلك ليس لي ما أقوله سوى أن أحيي من جديد المجاهدين والمسؤولين الكبار.

شكرا والسلام عليكم

أ. عبد المجيد شيخي المدير العام للأرشيف الوطني

بسم الله الرحمن الرحيم، معالي السيد وزير المجاهدين، معالي السيد وزير المجاهدين السابق والأمين العام للمنظمة الوطنية للمجاهدين، السيد والي ولاية تبسة، السادة المجاهدون، أيها السادة والسيدات.

أولا وقبل كل شيء أود أن أشكر وزارة المجاهدين على هذه المبادرة الطيبة.

ثانيا اسمحوا لي أن أقدم الشكر الجزيل والفخر والاعتزاز للضابطين الساميين اللذين قدما محاضرة عسكرية ودراسة عن معركة الجرف كم كنا في حاجة إليها منذ زمن وكم كنا نود لو أن عسكريين تناولوا مفاخر جيش التحرير الوطني بهذا الأسلوب وبهذه الكيفية، لأن هذه الطريقة تفيد المؤرخ وتنير سبيله لفهم آخر أدق مما تقوله الوثائق والشهادات. لأن هذا فن واختصاص، وقد دعونا إلى هذا من زمان والحمد لله أننا نرى هذه الباكورة التي قدمت أمامكم فللضابطين كل الشكر ونتمنى للمدرسة الحربية العليا كل التوفيق لتقديم أعمال كهذه.

أيها السادة والسيدات نقف في معقل من المعاقل الخالدة للثورة للحديث عن معركة أعتبرها التجربة أو رمية الرامي التي لا تخطئ لأنها جاءت في ظرف كما قيل يوم أمس وعمر الثورة لا يتجاوز الـ10 أشهر وجاءت

بهذه الكثافة، ويمكن لنا أن نتساءل هل هي صدفة أم أن مجريات الأمور هي التي قررت أن تكون هكذا.

وللأمانة العلمية والتاريخية أقول بأن السلطات الاستعمارية كانت لها تجربة أولى ولكنها لم تكن تنتظر أن يكون الأمر بالكثافة التي وقعت في الجرف، التجربة الأولى هي تلك المعركة التي اندلعت في جبال الأوراس واستشهد فيها الشهيد ڤـرين بلقاسم في 28 نوفمبر أي 28 يوما فقط من اندلاع ثورة 54، أنا لا أتكلم عن أول شهيد سقط وإنما أتكلم عن أول عملية كبيرة التي شارك فيها أكثر من 5 آلاف جندي فرنسي بقيادة دوكورنو، والتي أشتهر فيها هذا الشهيد ڤرين بلقاسم في الأوساط الشعبية حيث ألفت عنه أغنية تقول: "يا ڤرين يا أزرق العينين اللي يقتل الفرنسيس بالميتين (200)"، فقد كان أسطورة. لكن لم ينظر المستعمر إلى هذه العملية بأن الثورة كلها تدبير وتفكير وأن من يقومون بالثورة ليسوا أولئك الذين يصنفون في خانة قطاع الطرق. وأستسمحكم في مقدمة وجيزة لنتحدث عن الجو العام الذي اندلعت فيه الثورة والعقلية التي كانت سائدة عند الطرفين المتواجهين: الطرف الفرنسي والطرف الجزائري. كانت العقلية السائدة عند الطرفين هي عقلية الهزيمة ولكن كل طرف يفهم هذه الهزيمة بطريقته وكل طرف يواجه الهزيمة بأسلوبه. بالنسبة للجيش الفرنسي توالت عليه الهزائم ولم ينتصر في أية حرب منذ أكثر من قرن فمنذ 1870 والجيش الفرنسي ينكسر مرة بعد أخرى، وفي كل مرة يأمل أن تأتيه معركة أخرى لينتصر. ففي 1870 الإمبراطور

نفسه يقع في الأسر مع 10 آلاف جندي، في الحرب العالمية الأولى لم تنتصر فرنسا فالانتصار لم يكن فرنسيا، ثم تأتي الحرب الهند - الصينية ويؤسر فيها الجنرال صالان رفقة 12 عشر ألف جندي ثم أتوا إلى الجزائر فبقيت هذه العقلية مستمرة.

أما بالنسبة للشعب الجزائري وجيشه جيش التحرير الوطني، صحيح أنه وقع عدوان على الجزائر في 1830 ومنه بدأت مقاومة طويلة، لم تنجح وبالتالي كان فيه شيء من الهزيمة ولكن هذه الهزيمة كانت دائما تؤخذ في إيجابيتها للتحضير لشيء أكثر وأكبر ربما ليوصل إلى الإنعتاق. فإذن وصول الجيوش الفرنسية في بداية الثورة يجعلنا نتساءل كيف كان ينظر إلينا الفرنسيون، فالصورة التي ترونها أمامكم تبدو فيها فرنسا شامخة والمواطن الجزائري جالس أرضا. حتى بالنسبة للنقود المستعملة آنذاك كانت تظهر فرنسا وهي تدر علينا الخيرات وعطفها على المرأة وغير ذلك، وهذا يحتاج إلى دراسة نفسية بالنسبة للنقود والطوابع البريدية وغير ذلك مما كان متداولا والذي يحمل الفكرة الاستعمارية ونظرة المستعمر للإنسان الجزائري، الشعب الجزائري متعطش لكل شيء ومتعطش للحرية، وكذلك تقدم الجزائر على أنها مجموعة أعراق ونحن نعلم أن الأعراق أربعة فقط لكنهم ابتكروا أعراقا أخرى بالنسبة للجزائر.

من هنا جاءت المقاومة بطريقة أخرى، بالطريقة السياسية وأثْبَتُ هذه الصور لزعماء من حركة انتصار الحريات الديمقراطية لغرض واحد

وهو أن هؤلاء هم الذين كانوا يمثلون الشعب الجزائري في البرلمان الفرنسي وكانت لهم جولة كبيرة وعظيمة جدا عند دراسة القانون الأساسي الذي أرادت فرنسا أن تمنحه للجزائر في سنة 1947 والرجوع إلى خطابات هؤلاء يفيد الكثير مما كانت تقوم به الحركة الوطنية من سجال مع السلطات الاستعمارية.

ذكرت هذا لأقول بأن الجزائر كانت معزولة ولكن بفضل أبنائها الذين حاولوا أن يعرفوا بها قبل الثورة خاصة في أقطار المشرق العربي والشرق الأقصى مما جعل اندلاع الثورة ليس أمرا مفاجئا كما يُصور في كثير من الأحيان، فحركة انتصار الحريات الديمقراطية كان لها مكتب بالقاهرة وكان هناك ممثلون يصولون ويجولون للتعريف بالجزائر، فمن الممكن أن أقول بأن الشعوب العربية لم تكن تعرف الكثير عن الجزائر ولكن الطبقات المثقفة والطبقات السياسية كانت تعرف بفضل هؤلاء أمثال الشاذلي المكي والشيخ البشير الإبراهيمي وغيرهم من الشخصيات. فالمعركة في حد ذاتها هذه التي نحن بصددها، إذا أردنا أن ندرسها كما طُلب مني من ناحية تأثيرها في الأوساط الدولية والعالم الخارجي، أقول بأن الاستعمار الفرنسي قد وقع في تناقض داخلي، إذا عرّف وسمح لوسائل الإعلام بأن تتناقل أخبار هذه المعركة بكل ما كان فيها فسيعطي بذلك فرصة لأنه يدعم العمل الدعائي والإعلامي للثورة، وإذن فهو لن يقدم لنا هذه الخدمة.

ومن جانب آخر لابد من التعتيم على هذه المعركة بالذات حتى لا يُفهم بأن ما يجري في الجزائر حرب، لأنها لن تُجند قوات من 20 ألف أو حتى قيل بأنها 40 ألف جندي وتصدر بيانا تقول فيه بأن ما يجري في الجزائر هو عملية من عمليات حفظ الأمن. وعملية حفظ الأمن يعرفها الجميع، والضباط الفرنسيون النزهاء ربما كانوا يقولون إنهم لا يستطيعون التنقل إلا إذا كان معهم دركي على الأقل والذي يمثل القوات العادية لحفظ الأمن، أما أن تقوم بعملية بهذا الحجم فهذه مسألة تتعدى بكثير عمليات حفظ الأمن.

وقد أحدث بيان أول نوفمبر زلزالا لأن الثورة قدمت ميثاقا فإذا أردتم حقن الدماء فنحن مستعدين أما إذا أردتم الحرب فلكم ذلك. فكانت الحرب وتجند الكثير من أبناء الجزائر وأثبتُ هنا الدعاء الذي كان جنود جيش التحرير الوطني يرددونه: "اللهم أعني في وقوفي في الفجر لأنسى الليل الطويل، اللهم أفتح عيناي لأرى عدوك، في الظلام، اللهم ثبت خطاي لأهجم وأنصر الإسلام، اللهم بارك في جهادي حتى أطرد الظالم من بلادي، اللهم أحفظ سلاحي حتى أكمل كفاحي، اللهم أبقني في طريق الجهاد حتى النصر أو الاستشهاد".

أريد أن أسمعكم شهادة بصوت منديس فرانس الذي كان رئيسا للحكومة والتي يقول فيها: "أنا كنت أمام جمعية وطنية يمينية وأتحمل مسؤولية عدم إقناع الشعب الفرنسي بالفظائع التي سوف تتم في

الجزائر" وكان المعمرون يعتمون ويخدعون الشعب الفرنسي لأنهم لا يريدونه أن يعرف حقيقة ما يقع في الجزائر.

إقناع الشعوب الآفروآسيوية:

وعندي التصريح النهائي لمؤتمر باندونغ وما يجب أن تقوم به هذه الشعوب في المحافل الدولية (يشاهد الحاضرون على الشاشة نص التصريح) واتفق المؤتمر على ثلاث نقاط:

1- الاستعمار شر لابد من إنهائه في أقرب وقت.

2- تقرير وضع الشعوب الخاضعة للاستعمار الأجنبي بأنه خرق لحقوق الإنسان وميثاق الأمم المتحدة.

3- اتفقت شعوب الأمم المتحدة بعد قرار سنة 1952 بأن تعمل بلا هوادة لإنهاء النظام الاستعماري.

أما دخول القضية الجزائرية إلى أروقة الأمم المتحدة فإنه لم يأت هكذا، بل دخل بفضل كفاح جيش التحرير الوطني، هذا الكفاح الذي غيّر نظرة كثير من الشعوب، وكفاحه في الميدان هو الذي يدعم العمل السياسي وهو الذي يسمح لآلة الإعلام بأن تتصدى للدعاية المعاكسة ولتبصير العالم بأسره لما كان يجري. وقد أدى المرحوم أحمد الشقيري الفلسطيني الأصل وممثل المملكة العربية السعودية آنذاك في هيئة الأمم المتحدة دورا فعالا في هذا الصدد خاصة في الدورة التي انعقدت مباشرة بعد معركة الجرف وكذلك عمليات الشمال القسنطيني.

وفي الحقيقة لا يمكن أن نسند تأثير الثورة الجزائرية إلى حدث واحد، لأن الزلزال الذي أحدثته كان عملا صبورا ومتواصلا. أما التعتيم الذي قامت به السلطات الفرنسية من حيث الإعلام فقد نجحت فيه نسبيا في أول الأمر لكنها لم تتمكن بعد 1955 أن تخمد أصوات الحق التي ارتفعت هنا وهناك وبدأت في تكوين رأي عام عالمي جديد.

إن المعارك التي خاضها جيش التحرير الوطني قادها في أغلب الأحيان مجاهدون بسطاء أنعم الله عليهم بفكر استراتيجي رفيع جدا بشهادة الأعداء، والسيد عبد الرزاق بوحارة الموجود هنا يمكن أن يشهد بذلك وما قاله عنه ضابط فرنسي سام في الكلية الحربية سنة 1964، وكان المجاهد بوحارة طالبا فيها إذ قال الضابط الفرنسي: "إن الشهيد عباس لغرور ذو قدرة استراتيجية عالية جدا وكذلك الشهيد شيحاني بشير وغيرهم". ونحن سعداء بأن تُتناول هذه المعارك في المدارس العسكرية كما جاء في محاضرة الأخوين الضابطين الساميين.

فإذن نحن ندعو ضباطنا أن يتناولوا هذه المسائل وينيروا أفكارنا ويساهموا في الدراسات التاريخية لأن المؤرخ في حاجة إلى فهم سير العملية ليتمكن من الحكم عليها.

وفي الحقيقة هذا ما كان لدي لأقوله في هذه العجالة وحتى لا أؤثر كثيرا على البرنامج المسطر نظرا لضيق الوقت، أكتفي بهذا وأشكركم والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

محمد علاف مجاهد، لواء متقاعد

لقد حلت بتاريخ 22 سبتمبر 2007 الذكرى الـ52 الثانية والخمسون لمعركة الجرف التي جرت وقائعها في قلب جبال النمامشة، كان أبطالها المجاهدون من جنود جيش التحرير المهيكلين ضمن المنطقة الأولى أوراس النمامشة والذين اشتبكوا مع قوات الجيش الفرنسي التي كانت تحاصر جبل الجرف، وقاتلوهم بكل صبر وشجاعة وثبات طوال ثلاثة أيام ولياليها، واستمروا في قتالهم بعد فك الحصار في اشتباكات متفرقة طوال أربعة أيام أخرى.

وللعلم فإن قادة الجنود من قيادة إدارة المنطقة المتواجدون في مكان القتال هم: شيحاني بشير نائب مصطفى بن بولعيد قائد الولاية، عباس لغرور، فرحي ساعي المعروف ب (بابانا ساعي)، عجول عجول وسيدي حني وكاتب في الإدارة هو الوردي قتال من تلاميذ معهد عبد الحميد بن باديس وبعض المسؤولين عن جيش المنطقة التي جرت فيها المعركة ومنهم لزهر شريط، عمر البوقصي ومحمد بن عجرود الذي استشهد في أول تصادم مع العدو وغيرهم.

فمعركة الجرف إذن تمثل إحدى المحطات الحاسمة في مسار ثورتنا التحريرية وقد صمد فيها جيش التحرير بعدد يقارب 300 أو 350 مجاهدا في مجابهة عدة آلاف من عساكر فرنسا المدججين بأسلحة متطورة ومدعمين بآليات وطائرات ومدفعية ميدان. وكانت الإمدادات

تتلاحق إليهم محمولة برا وجوا من كل الجهات من خنشلة، تبسة والشريعة كما جاءتها إمدادات عسكرية من قفصة بتونس أما المجاهدون فكانت أسلحتهم بسيطة وإيمانهم القوي بالله وبالدفاع عن الوطن جعلهم يصمدون أمام العدو ويستخدمون طبيعة الأرض الوعرة بشعابها وقمم جبالها الصخرية العارية وكانت لهم بمثابة تحكيمات طبيعية تحصنوا فيها. تلك أرضهم التي أنجبتهم ويعيشون فيها وبذلك كبدوا العدو خسائر فادحة في الأرواح وفي عتاده وطائراته وأعانهم الله فتخلصوا من قبضة حصاره وتركوه يعد خسائره من أرواح وعتاد.

أسباب تواجد قيادة الولاية الأولى في مكان الجرف:

لقد فكر شيحاني بشير نائب قائد المنطقة الأولى مصطفى بن بولعيد في تقريب الإدارة من المجاهدين في النواحي وشرع في عقد مؤتمرات في عدة مناطق من الولاية تدرس أثناءها مع قادة المناطق ومسؤولي التنظيم الشعبي كيفية تنويع التكتيك الحربي وتعبئة الجماهير وتحفيزها على مواصلة الكفاح بكل يقظة لأن الحرب ستطول والعدو لا يرحم.

كما كان يدعو لإقامة كمائن وعمليات تجلب إليها عساكر العدو والاشتباك معها خارج المدن والهدف من وراء ذلك هو إضعاف العدو من جهة ومن جهة أخرى التخفيف من الضغط الذي سلطه جيش

الاحتلال على منطقة الشمال القسنطيني خصوصا بعد هجومات 20 أوت 1955.

وكان يحبذ دائما أن تكون الاشتباكات والضربات الخاطفة ضد القوات المعادية خارج المدن تفاديا للانتقام وتقتيل المدنيين العزل في المدن أو القرى ذلك العمل الذي كثيرا ما تلجأ إليه القوات بمساعدة المعمرين المسلحين بعد كل اشتباك أو عملية فدائية.

من نتائج المعركة:

لقد انتشر صدى المعركة وتناقلته وسائل الإعلام فأكد الرأي العام الدولي أن معركة الجرف في 22 سبتمبر 1955 والتي وقعت بعد شهر من معركة 20 أوت 1955 ليست عملا منعزلا بل هو نشاط لجيش التحرير يباركه الشعب في كامل الوطن في الأرياف وفي المدن بجميع طبقاته من تجار، فلاحين، عمال وطلبة داخل وخارج الوطن.

كما ساهم ذلك الصدى في تبليغ صوت الثورة إلى المحافل الدولية التي أدرجت قضية الجزائر في أشغال هيئة الأمم المتحدة.

وبنفس العزيمة والروح النضالية استمر الشعب في دعمه لأبنائه المقاتلين في جيش التحرير والمناضلين في جبهة التحرير الوطني وتضامنت معه الجاليات المقيمة خارج الوطن في كفاح مرير من غير هوادة إلى أن انتزع الاستقلال في 1962 من المستعمر واسترجعت سيادة وكرامة البلاد بفضل سخاء الشعب بالأموال اللازمة وقوافل الشهداء رحمهم الله.

بما أن ثورة أول نوفمبر 1954 قد تركت بصماتها في كل شهور وأعوام مدة الكفاح من البداية بمعارك وأحداث بارزة ومتتالية إلى أن انتزع الاستقلال، فإن المناسبة هذه السنة سنحت بأن يعقد المؤتمر حول ملتقى معركة الجرف في شهر أكتوبر بدل سبتمبر. وإذا تأملنا في مسيرة كفاحنا التحريري يتبين لنا أن تطور الأحداث يظهر لنا أن شهر أكتوبر كان هو أيضا مسرحا لأحداث بارزة وفي سنوات متتالية لا يمكن أن يغمرها النسيان والتكلم عنها قد يبعدنا عن معركة الجرف حتى ولو أن تلك الأحداث هي امتداد لها ومن نتائجها وكانت محفزا للمواطنين على مواصلة الكفاح.

ومن تلك الأحداث تسابق جموع الطلبة الجزائريين في داخل الوطن أو الذين يتابعون دراستهم بالخارج إلى المساهمة في الكفاح بجميع أشكاله فمنهم من التحقوا بصفوف جيش التحرير وجبهة التحرير الوطني بدافع حبهم للوطن والقيام بواجب المواطنة وبحكم انعقاد الملتقى في تبسة فلا مانع أن نذكر على سبيل المثال أسماء بعض الطلبة أو الأساتذة الذين التحقوا بصفوف المجاهدين من أبناء هذه المنطقة أمثال: الوردي قتال، زارعي الطاهر، التومي ساكر، إبراهيم المزهودي، علي علية، علي فارس، خالدي الحسناوي، عبد المجيد شريف، حشيشي عزوز، مداني حواس وحمدادو الهادي وغيرهم وهذان الأخيران كانا يدرسان في القاهرة فالتحق حواس بجنود الإعلام الثوري في صوت الجزائر يخاطبكم من قلب الجزائر

وتواصل الإعلام يساند الحرب التي يخوضها جيش التحرير الوطني إلى أن استرجعت الجزائر استقلالها وبسطت سيادتها على الإذاعة والتلفزيون الوطني في مثل هذا اليوم أي 28 أكتوبر 1962 أما حمدادو الهادي فكان ضمن فريق طلاب من مختلف أنحاء الوطن حملوا أسلحة في باخرة الأتوس واتجهوا بها إلى جيش التحرير في الجزائر ومن الأجدر أن نذكر أسماءهم وهم: (محمد صباغ من ندرومة، محمد الطاهر شرفي من خنشلة، محمد علي أقروفة من أقبو، محمد ريغي من برج بوعريريج ومحمد رزوق من سطيف). فهذه عينة تدل على أن أبناء الجزائر قد استجابوا لداعي الوطن من جميع الجهات ولكن قرصنة البحرية الفرنسية اعترضت سبيل الباخرة بمركب طراد حربي واحتجزتهم في 16 أكتوبر 1956 ووضعتهم في الأسر بوهران وغنمت حمولة الأسلحة. وفي 22 أكتوبر 1956 قامت قرصنة الجو الفرنسية بالتعرض لطائرة مغربية كانت تقل وفد جبهة التحرير الوطني المتكون من الإخوة أحمد بن بلة، محمد بوضياف، محمد خيضر، حسين آيت أحمد ومصطفى الأشرف. وفي 17 أكتوبر 1961 خرج المغتربون الجزائريون رجالا ونساء في مظاهرة سلمية في عاصمة فرنسا تنديدا بالعنصرية والظلم المسلط عليهم ومساندة للكفاح العادل الذي يخوضه الشعب الجزائري فقابلتهم الشرطة الفرنسية بالرصاص فكان منهم 140 قتيل وغريق في نهر "السين" وما يقارب 400 جريح. هذا قليل من

كثير ولم يتوقف الشعب الجزائري عن كفاحه حتى استرجع سيادته كاملة في 1962.

وبعد 45 سنة من الاستقلال وبتاريخ 20 أكتوبر 1007 جاء قائد أركان الجيوش الفرنسية جان لوي جورجولان في زيارة رسمية للجزائر بدعوة من الفريق أحمد قايد صالح قائد أركان الجيش الوطني الشعبي وفي مكتبه استلم من قائد الجيوش الفرنسية خرائط لمخططات الألغام التي زرعها الجيش الفرنسي في خطي شال وموريس على طول الحدود الشرقية والغربية للجزائر، وقد طلبت هذه الخرائط من السلطات العسكرية الفرنسية مباشرة بعد توقيف القتال في سنة 1962 وكان ذلك أثناء لقاء بتاريخ 24 ماي 1962 بين وفد ضباط جيش التحرير الوطني بتكليف من قيادة الأركان العامة التي يرأسها هواري بومدين ويتمثل في محمد علاف عضو قيادة منطقة العمليات الجنوبية والعربي بلخير قائد الفيلق 45 وضباط آخرون ومعهم الطبيب أحمد بودربة ممثل الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية وكان الجانب الفرنسي الذي عينته السلطات الفرنسية يتمثل في عقيد من القيادة العسكرية لناحية مدينة تبسة ومعه مساعدوه من ضباط ودرك فرنسيون والسلطات المدنية لمدينة تبسة وكان اللقاء في معبر رأس العيون في الطريق الرابط بين تبسة وحيدرة في تونس وبحضور ممثلين عن الأمم المتحدة والصحافة الدولية المكتوبة والمصورة وكانت المحادثات بهدف الاتفاق على تنظيم

مشترك بين الطرفين لتطهير خطي موريس وشال من الألغام التي زرعها الجيش الفرنسي على طول الخطوط المكهربة تحضيرا لرجوع قوافل اللاجئين الجزائريين من تونس عبر طريق رأس العيون تبسة وطريق بكارية تبسة.

وفي هذا اللقاء طلب ضباط جيش التحرير من نظائرهم الفرنسيين تسليم خرائط مخططات الألغام للقيام بانتزاعها حماية للمواطنين من أخطارها المحققة ولكن الجانب الفرنسي اعتذر بعدم امتلاكه لتلك الخرائط لأنها موجودة على مستوى قيادة أركانهم بالجزائر (وفي المعية صورتين للقاء 24 ماي 1962 ولقاء 20 أكتوبر2007).

ومن المؤسف أن تسليم خرائط الألغام جاء بعد 45 سنة من الاستقلال وبعد أن كانت السيول أثناء تلك المدة قد جرفت الألغام من الأماكن الخطيرة إلى أماكن آمنة وتسببت في قتل وإعاقة كثير من الجزائريين وفي هلاك المواشي في بعض المراعي.

أتوقف عند هذا العرض البسيط لبعض من الوقائع التي حدثت أثناء الكفاح التحريري الذي قام به شعبنا وبه ضمن بلوغ الهدف المنشود الذي هو الاستقلال واسترجاع السيادة الوطنية.

الملف:

معركة الجرف أم المعارك

ملف من إعداد :

- خضراء بوزايد رئيسة مصلحة النشر والتوزيع

مقدمة

لم تعرف الثورة الجزائرية في أشهرها الأولى انتشار العمليات المسلحة من معارك، وكمائن، واشتباكات عبر كامل التراب الوطني نظرا للأسباب والظروف التي يعرفها الجميع، وفي مقدمتها النقص الكبير في الأسلحة والذخيرة، وإن وجدت فهي في غالبيتها العظمى عبارة عن بنادق صيد تقليدية وحتى هذه الأخيرة غير متوفرة بالقدر المطلوب.

وبعد انقشاع ضباب المفاجأة الذي خلفته الضربات الموجعة في الليلة المباركة من فاتح نوفمبر 1954، استرجعت السلطات الاستعمارية الثقة بالنفس وشرعت في إعداد الخطط العسكرية المحكمة التي تفنن ضباطها السامون من خريجي أكبر الكليات الحربية في صياغتها للقضاء على هذا "العصيان" الذي لم يكن في الحسبان. وعلى الرغم من حشد القوات الضاربة من جيوش مدججة بأحدث الأسلحة ومعدات عسكرية جهنمية من طائرات، دبابات ومدافع من مختلف الأعيرة، فإن مجاهدي جيش التحرير الوطني ثبتوا في مواقعهم ولم ينكسروا. وأبلوا البلاء الحسن وخاضوا غمار معارك ضارية وكمائن ناجحة كبدوا خلالها العدو أفدح الخسائر في الأرواح والعتاد. واستطاعوا غنم بعض الأسلحة المتطورة والذخيرة التي ستكون لهم عونا في المستقبل على توجيه المزيد من الضربات للعدو بسلاحه.

وفي تراب ولاية تبسة الإدارية حاليا، خاض جنود جيش التحرير الوطني في الفترة الممتدة من فاتح نوفمبر 1954 إلى معركة الجرف الكبرى في أواخر سبتمبر 1955 ما لا يقل عن 20 مواجهة بين معركة، اشتباك وكمين كانت ناجحة في أغلبيتها الساحقة، نذكر منها بعض المعارك التي سجلها التاريخ بأحرف من نورعلى غرار:أرقو، مزوزية، زريف الساهل،الزرقـــة، الحوض، أم الكماكم، فرطوطة، حليف الذيب، جبل سيدي أحمد، قرن الكبش وغيرها.

وإن دلّ هذا العدد الهائل من المواجهات والتصادم مع قوات العدو على شيء فإنه يدل على أن هذا الأخير قد عقد العزم على اجتثاث قواعد الثورة واستئصالها من الجذور والمعاقل التي استطاعت أن تتحصن بها في ظرف زمني قصير حيث تبناها الشعب والتفّ حولها.

واعتقدت فرنسا بأن القضاء على الثورة في المهد أي أوراس-النمامشة يعتبر خطوة حاسمة على طريق القضاء النهائي على "التمرد".

ومن هنا كان تركيز العدو على هذه المنطقة حيث حشد لها حصة الأسد من المجهود الحربي لإخماد لهيب الثورة في أكبر معاقلها آنذاك، لأن ألسنتها عمت بعد ذلك كل التراب الوطني من الشمال إلى الجنوب ومن الشرق إلى الغرب.

الموقع والتضاريس

"يقع جبل الجرف الذي ينحدر من سلسلة الجبل الأبيض على بعد حوالي 100 كلم إلى الجنوب الغربي من مدينة تبسة، مقر الولاية. يحده من الشمال: الشريعة وجبل قسساس، الجنوب الشرقي: نقرين، الشرق: جبل العنق وجبل غيفوف"[1].

ومنطقة الجرف أو وادي هلال عبارة عن فجاج صخرية عميقة تتخللها بعض الكهوف والمغارات الطبيعية التحت أرضية، تتسع وتضيق حسب الموقع، وتعلو جبل الجرف صخرتان عظيمتان. وفي الأسفل يجري وادي هلال أو وادي الجرف بحيث يتخذ اسم المنطقة التي يمر بها.

وتبرز على ضفتي الوادي نتوءات وتجاويف صخرية حصينة تشكل القلعة. ولهذا فقد كان المجاهدون المتمركزون في هذه القلاع الطبيعية المحمية في منأى عن ضربات العدو سواء قذائف المدفعية الثقيلة أو قصف الطائرات. وظلت هذه الحصون صامدة أمام مئات الأطنان من القنابل والشظايا تحمي من بداخلها بوداعة واطمئنان. وبفضل تجاويفها الكثيرة مكنت القائد بشير شيحاني من الخروج بعيدا عن أعين العدو، ولم تطله لا القذائف ولا الغازات السامة وتسلل ومن معه خارجها سالمين.

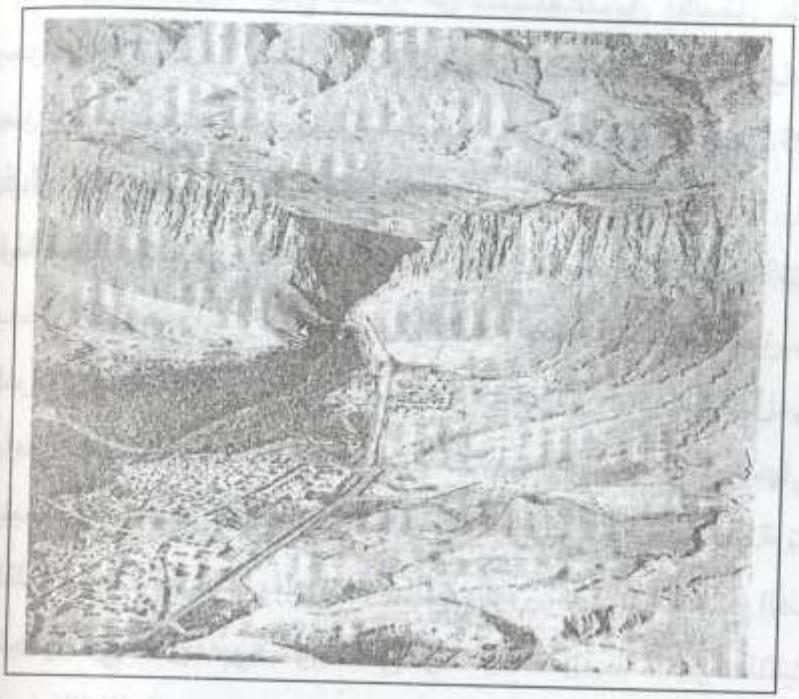

صورة عن مجلة الأرشيف Archives n°13

صورة عن مجلة الأرشيف Archives n°13

أسباب المعركة:

بعد أن تأكدت فرنسا أن ما كانت تعتبره مجرد عصيان عابر هو أكبر من ذلك بكثير، وأن الأعمال المسلحة التي اندلعت ليلة فاتح نوفمبر 1954 ما هي إلا مقدمات لما سيأتي بعدها، وأنها ما فتئت تتوسع وتشتد قوة وشمولية لغالبية التراب الوطني، لم يبق أمام السلطات الاستعمارية من مخرج إلا أخذ الأمور بجدية وحزم وإعداد العدة والعتاد وحشد

الجيوش لوأد هذه الثورة الفتية قبل أن يشتد عودها ويستفحل خطرها. ومن عادة فرنسا الغلو، ولهذا كان أول ما فكرت فيه هو التخطيط للقيام بعملية تمشيط شاملة لتطهير الجبال والسهول، الوديان والأحراش من الفلاقـــة بغرض تحقيق هدف مزدوج: الأول محو عار الهزيمة النكراء التي لحقت بها في ربيع 1954 بديان بيان فو بالفيتنام، والثانية ردع الثورة الجزائرية الفتية حتى لا تحذو حذوها.

وبما أن المنطقة الأولى أوراس النمامشة كانت تعتبر المحرك الرئيسي للثورة في بدايتها ومركز ثقلها، فقد اعتقدت فرنسا أنها بالقضاء على الثورة في هذه المنطقة ليستتب لها الأمن عبر كامل التراب الجزائري. فبدأت بحشد قوات عسكرية لا مثيل لها زحفت نحو جبال النمامشة في عملية تطويق واسعة. وكان من أسباب هذا التقدم الاصطدام الأول مع جيش التحرير الوطني بوقوع معركة أم الكماكم في أواخر شهر جويلية 1955 والتي قادها وأشرف عليها بشير شيحاني شخصيا، ويعتبرها كثيرون مقدمة لمعركة الجرف الكبرى.

بعد هذه المعركة ثم حوادث 20 أوت 1955 بالشمال القسنطيني، قرر بشير شيحاني عقد سلسلة من اللقاءات والاجتماعات الجهوية يدعو إلى حضورها المناضلين و عموم الشعب وأعيان الأعراش للالتقاء بقادة الثورة. الغرض منها تقريب الثورة من المواطنين والتعريف بأهداف هذه الحركة الحديثة العهد حتى يتمكن الشعب من التعرف على جنود جيش التحرير الوطني لتفنيد دعاية العدو المغرضة من أن

هؤلاء ليسوا إلا فلاقـــة وقطاع طرق. فكان لقاء رأس الطرفة فاتحة هذه الاجتماعات وذلك يوم 20 سبتمبر 1955. وتشاء الصدف أن يكون أيضا آخر اجتماع يترأسه القائد شيحاني .

وقد حضر هذا الاجتماع معظم قادة المنطقة الأولى: بشير شيحاني، عباس لغرور، عجول عجول، لزهر شريط، بشير ورتال (سيدي حني)، لزهر دعاس، الوردي قـــتال، الزين عباد، الجيلالي السوفي، ساعي بن علي فرحي (بابانا ساعي) وغيرهم بالإضافة إلى أعيان مدن وأرياف: تبسة، الشريعة، قـــنتيس، بابار، الزوي، تبردقـــة، بئر العاتر وبعض مناطق النمامشة الأخرى.

وتوافد المناضلون والمواطنون على مكان الاجتماع بكثرة تلبية لدعوة القائد وهم يحملون ما استطاعوا من مؤونة وهدايا وأموال.

وتقدر بعض المصادر أن الاجتماع ضم ما لا يقل عن 500 مدعو وترأسه بشير شيحاني الذي ألقى بالمناسبة خطابا حماسيا تجاوب معه الحضور، دعا فيه إلى الثورة على المستعمر وترك الخوف واحتضان الثورة ودعمها. ومما جاء فيه:" لا حياة لمن لا يدافع عن وطنه... الجزائر ملك الشعب الجزائري وليس لفرنسا فيها شبر واحد." (2)

وفي موضع آخر من خطابه يتوجه شيحاني بالكلام إلى الحضور فيقول:" ... ولا شك أن من بينكم من سيسارع بالتبليغ عنا... ولهؤلاء نقول بلغوا فرنسا بأمانة عن حقيقة المجاهدين." (3)

وفي هذا الاجتماع تمت دراسة الوضع العام للثورة خلال الأشهر العشرة الأولى من عمرها، وتقرر تعيين مسؤولي النواحي الشرقية من المنطقة الأولى أوراس النمامشة حيث تقرر تعيين القيادة التالية:

المنطقة	المسؤول
بئر العاتر – الجبل الأبيض	لزهر شريط
الونزة	علي عفيف
سدراتة	عمر عون (البوقصي)
سوق أهراس	الوردي قتال
تبسة	بشير ورتال (سيدي حني)
ششار	علي كربادو
عين الفكرون – الخروب	شعبان لغرور
تازربونت إلى الونزة والحدود التونسية	حمة بن عثمان
نقرين – الجنوب التونسي	جيلاني بن عمر
خنشلة	التيجاني بن عثمان

وظل العمل ساريا بهذا التقسيم إلى غاية ربيع سنة 1956.

بعد انتهاء الاجتماع وعودة بعض المسؤولين إلى مناطقهم والمواطنين إلى ديارهم تلقى شيحاني رسالة من باشاغا خنشلة بوعلام بن شنوف [4] أكد فيها لشيحاني عزم العدو على القيام بعملية مسح

تشمل جبال النمامشة للقضاء على الثورة في المهد، مشيرا عليه وناصحا له بأن يترك هذا الموقع والتوجه إلى غيره من الجبال أو الذهاب إلى التراب التونسي إذا اقتضى الأمر.

وعند تدارس الأمر بين شيحاني وقادته اختلفت الآراء بين من يريد الخروج ومغادرة المكان في أقرب وقت ممكن وحجتهم في ذلك أن كل قادة المنطقة الأولى موجودون في هذا المكان ويمكن أن يستشهدوا جميعهم في أحسن الظروف أما في أسوأ تقدير فإن هؤلاء يتم إلقاء القبض عليهم وفي كلتا الحالتين ستعرف منطقة أوراس النمامشة حالة شغور تكون وبالا على الثورة بكاملها، أما الفريق الثاني فيحبذ البقاء في عين المكان خشية عدم الوصول إلى مكان يكون أكثر أمنا ويرى ضرورة التحصن بقلعة الجرف ومواجهة جيش العدو.

وعلى عكس ما تذهب إليه بعض الروايات من تعنت شيحاني في البقاء، فإنه كان من دعاة الرأي الأول المنادي بضرورة الخروج والدليل على ذلك أنه أرسل أحد المسؤولين المقربين إليه محل ثقته وهو الزين عباد للخروج بقوته لاستطلاع الطريق استعدادا للخروج باتجاه الجنوب، لكن الزين اصطدم بقوات العدو زاحفة نحو موقعهم وعلم بما وقع لمجموعة محمد فارسي بن عجرود في فرطوطة.

وإذا كان الزين عباد وشقيقه الحبيب والجيش الذي معهما قد تمكنوا من فتح ثغرة والإفلات من الحصار إلى خارج الجرف، فإن بقية الجيش والقادة كان مصيرهم مغايرا.

سير المعركة:

لعل أهم ما يميز معركة الجرف الكبرى هو الظروف الاستثنائية التي أحاطت بها. فثورة أول نوفمبر 1954 لم تكمل بعد عامها الأول، ولم يعم لهيبها كامل التراب الوطني، وفرنسا رصدت كل إمكانياتها المادية وحشدت جيوشها الجرارة في عملية مسح شاملة لتطهير المنطقة، وقع كل هذا في غياب البطل الرمز مصطفى بن بولعيد قائد المنطقة الأولى أوراس- النمامشة الذي ألقي عليه القبض على الحدود الشرقية يوم 11 فيفري 1955 عندما كان متجها صوب المشرق العربي لإحضار السلاح الذي عزّ وجوده في هذه البدايات الصعبة والحرجة من عمر الثورة، تاركا قيادة المنطقة لبشير شيحاني. وكان بن بولعيد عندما عزم على السفر اجتمع بعباس لغرور وعجول عجول على انفراد وأعلمهما أنه استخلف مكانه شيحاني وأوصاهما به خيرا وحثهما على مساعدته والامتثال لأوامره باعتبارهما النائبين العسكري والسياسي له.

وقبل الخوض في تفاصيل معركة الجرف تجدر الإشارة إلى الاختلاف الحاصل حول عدد أفراد جيش التحرير الوطني الذي كان رفقة شيحاني بالجرف فهذا المجاهد، الطبيب والمؤلف محمد العربي مداسي يشير إلى أن شيحاني جمع في وادي هلال:

" 300 من خيرة مجاهدي جيش التحرير الوطني." (5)

إلا أن المجاهدين الذين التقينا بهم بولاية تبسة في الفترة الممتدة من 15 إلى 17 جويلية 2007 [6] والذين شاركوا كلهم في معركة الجرف يؤكدون بأن العدد يتراوح ما بين 250 و350 ولا يمكن أن يتجاوز ذلك.

وينخفض هذا العدد قليلا بالنسبة للمجاهدين الذين التقيناهم لنفس الغرض بخنشلة يوم 3 فيفري 2008 إذ يؤكدون أن العدد يتراوح ما بين 150- 250 ومصدر الاختلاف في اعتقادنا راجع إلى كون المجاهدين كانوا موزعين على الكهوف وحتى أثناء الاجتماع كان العديد منهم عبر نقاط المراقبة ومراكز الحراسة فكانت النتيجة هذا التبـــاين في الأرقـــام [7].

ونفس الاختلاف تقريبا وقع في ما يخص الفترة الزمنية التي استغرقتها هذه المعركة الأولى من نوعها منذ اندلاع الثورة من حيث الزخم والقوة والنتائج أيضا. ففي الوقت الذي يؤكد فيه من حضروا وخاضوا المعركة أنها دامت ثلاثة أيام وأربع ليال أو كما يقال محليا "سبع وجبات" وهذا رأي الأغلبية الساحقة، تذهب فئة قليلة إلى القول بأن معركة الجرف دامت ثمانية أيام بلياليها. ولعل مرد اللبس بالنسبة لهؤلاء هو الخلط بين المعركة في حد ذاتها ثم الاشتباكات التي أعقبتها لاحقا والتي استمرت إلى منتصف شهر أكتوبر من نفس السنة.

منظر جانبي لجبل الجرف (صورة عن مجلة أول نوفمبر)

وقد تبعت معركة الجرف الكبرى، اشتباكات وكمائن لا تعد ولا تحصى ولا تقل عنـــها ضراوة على غرار مـــعارك: "جـــبل الجـــرف (3 معارك)، أرفـــو (4 معارك)، الجبل الأبيض (معركتان)، أم الكماكم (3 معارك)، تازربونت (3 معارك واشتباكات)." [8]

بعد أن استكملت الجيوش الفرنسية عملية تطويق منطقة الجرف على محيط يقارب الـ300 كلم خلال عدة أيام، بدأت الزحف باتجاه قلعة الجرف مكان تواجد قيادة المنطقة الأولى وجيشها. وكان أول المصطدمين بجيش العدو القائد فارس محمد بن عجرود بالمكان المسمى أم خالد "بفرطوطة" الواقع على بعد حوالي 15 كلم من الجرف، حيث اشتبك بمجموعته المتكونة من حوالي 30 مجاهدا مع قوات العدو المتقدمة نحو الجرف بالمئات.

ونظرا لعدم تكافؤ موازين القوى بين الطرفين فقد تمكن الفرنسيون من القضاء عليهم جميعا ونكلوا بجثمان البطل بن عجرود حيث فصلوا رأسه ووضعوه على سيارة عسكرية مكشوفة (جيب) وجابوا به الشوارع أمام المواطنين للحط من معنوياتهم.

وقد أرسل القائد شيحاني الزين عباد رفقة مجموعة من المجاهدين لا تزيد عن الـ50 جنديا لإيجاد منفذ للخروج من الجرف. لكن هذا الأخير اشتبك بدوره مع العدو المتقدم واستطاع الإفلات من قبضته دون ضرر وحمل في نفس الوقت خبر استشهاد بن عجرود ومجموعته. وهنا تأكد للقائد شيحاني أن الاصطدام مع العدو واقع لا محالة لأن الخروج أصبح متعذرا.

وبناء على ذلك أصدر أمرا بالانتشار في قلاع الجرف الحصينة واختيار الأماكن الدفاعية وإعداد وتجهيز الأسلحة، الذخائر، المؤونة ومياه الشرب للجيش وقيادته وتوزيعها على الوحدات بما يضمن لها الصمود والمواجهة.

عقب اشتباك فرطوطة مع بن عجرود وبعده الزين عباد، أعلنت فرنسا عن بداية المعركة بعملية قصف مركزة من مختلف الأسلحة والأعيرة. فقد صبت الطائرات، الدبابات والمدفعية الثقيلة والبعيدة المدى بالتناوب نار غضبها على الجبل القلعة، وأطلقت الأدخنة لدفع المجاهدين إلى الخروج من تحصيناتهم دون جدوى، وفي نفس الوقت محاولة التقدم تحت هذا الغطاء. وبعد ظهيرة اليوم الأول والهدوء النسبي الذي عرفته

فترة تناول جيش العدو لوجبة الغداء، انتشر العساكر كالجراد وتقدمت الآليات النصف مجنزرة من نوع "هالف تراك" صعودا.

وكان أول ضحايا القصف العشوائي من المدنيين العزل سكان وادي الجرف (الجرافة) حيث سقط منهم ستة قتلى وتطايرت أشلاء حيواناتهم تملأ الوادي، فتشتت باقي الأهالي يطلبون النجاة بأرواحهم تاركين متاعهم وماشيتهم هناك.

لكن هذا السيل من نيران الطائرات، الدبابات والمدفعية الثقيلة لم يكن له أي مفعول سلبي على الحصن الصخري المنيع الذي احتمى به جنود جيش التحرير الوطني وتوزعوا في ثناياه في انتظار تقدم وحدات العدو والتي لم تتأخر عن التحرك باتجاه القلعة تحميها آليات "الهالف تراك".

وقد فاجأتها نيران أسلحة المجاهدين التي حصدت العشرات من العساكر وتدمير أو عطب العشرات من هذه الآليات. واشتد لهيب المعركة في اليوم الأول إلى ما بعد غروب الشمس حين تقهقرت قوات العدو راجعة لأماكنها لقضاء ليلة ليست ككل الليالي. إذ بعد تموقعها للمبيت أضاءت البطاريات القوية التي حولت ليل الجرف إلى نهار في محاولة لحرمان المجاهدين من التسلل خارج حصنهم. كما حاولت شن حرب نفسية واللعب على معنويات هؤلاء باستنزافهم عن طريق إطلاق زخات من الأسلحة الرشاشة في تواتر مضبوط لحرمانهم من النوم والراحة.

وما بزغت شمس اليوم الثاني على وادي الجرف إلا ومدفعية العدو الثقيلة وبعيدة المدى تفتح نيران القصف التمهيدي وذلك من خلال بطارياتها المتموقعة بالدرمون شرقا، السطح غربا ورأس العش استعدادا لإعلان يوم جهنمي ثان. وطوال ساعة على الأقل لم تسكت هذه الأخيرة وألقت عشرات الأطنان من القنابل ثم استخلفتها الطائرات في قنبلة عمياء لكل محيط قلعة الجرف شرقا غربا وشمالا جنوبا إلى أن اختفت قممه تماما تحت ستار كثيف من الدخان، البارود والأتربة التي تصاعدت في أعمدة عالية في سماء الجرف.

ولم تكد تتوقف قنبلة الطائرات المغيرة حتى أخذت دبابات ومصفحات العدو في تقدم بطيء نظرا للتضاريس الصخرية الوعرة في قصف مركّز لضرب مواقع المجاهدين من مختلف أعيرة الرشاشات والمدفعية وحتى أسلحة الأفراد المشاة الزاحفين من خلفها نحو مصيرهم المجهول. وكانت نجدات من المجاهدين قد وصلت، وعلى قلتها وبساطة أسلحتها، استطاعت أن توقع العدو بين نارين، وأفشلت بذلك خطة الاقتحام التي قررها العدو. فما كان من حل آخر أمام هؤلاء سوى التقهقر إلى الخلف واللجوء من جديد إلى القصف المكثف بالمدفعية الثقيلة. وتواصل القصف على أشده إلى أن خيّم الظلام الدامس على جبل الجرف في هذا اليوم الثاني الحامي الوطيس من معركة ساخنة استخدمت فيها فرنسا كل قواتها حيث جندت أكثر من 40 ألف عسكري وعدد لا يحصى من الطائرات الكاشفة والمقنبلة والدبابات دون أن يكون لذلك

نتيجة تذكر. فهي لم تقض على المجاهدين وقادتهم ولم تتمكن من اقتحام قلعة الجرف المنيعة ولم تحقق نصرا يذكر. وهكذا بات قادة العدو في تلك الليلة يتجرعون مرارة الخيبة حتى الثمالة.

عندما لاحت خيوط الشمس الأولى لليوم الثالث على التوالي من المعركة تأكد قادة الثورة بالجرف أن العدو قد أخذ خلال الليلة السالفة قرارا باقتحام القلعة بالقوة. وما يدل على ذلك أن المدفعية الثقيلة والبعيدة المدى التي كانت تدك الجبال الصخرية طوال ساعات كاملة قد سكت دويها. كما تأخر عن أرض المعركة طيران العدو الذي طالما كان البطل دون منازع من خلال القصف المركز الذي كانت أسراب متواصلة تسلطه على أماكن تواجد المجاهدين وقياداتهم. ومرد هذا القرار أن بعض دبابات العدو تمكنت من الدخول إلى الوادي واحتلال موقع استراتيجي مكنها منه سلاح الهندسة العسكرية الذي فتح ثغرة ومهد لتقدمها مما صعب من مهمة المجاهدين المدافعين عن أماكن تحصنهم.

دخول هذه الدبابات الميدان أخلّ بموازين المعركة وشكل خطرا محدقا بالمجاهدين حيث اضطر هؤلاء للخروج من مواقعهم التي لم تعد آمنة، وفي خضم هذا الخروج سقط العديد من الشهداء. ومن نتائج هذا التقدم أيضا حرمان المجاهدين من التزود من مياه وادي هلال الذي أصبحت تسيطر عليه دبابات العدو.

وتبعا لهذه المستجدات خاصة وأن نقص الذخيرة والمؤونة بدأ يطرح بحدّة إلى جانب وصول قوات ونجدات إضافية لدعم العدو، دعا

مسؤول المنطقة الأولى أوراس النمامشة قائد معركة الجرف بشير شيحاني إلى عقد اجتماع عاجل شارك فيه أهم القادة: عباس لغرور، عجول عجول، سيدي حني وغيرهم واستقر الرأي في النهاية على حتمية الخروج من أرض المعركة أثناء الليل مهما كان الثمن لأن البقاء يعني القضاء المبرم عليهم، حيث أن تمكن الدبابات من الدخول إلى الوادي قلب موازين القوى وأصبحت تحصينات المجاهدين قاب قوسين أو أدنى من مدفعية هذه الأخيرة، فكان الخروج عنوة عن طريق فتح ثغرة أو ثغرات وسط جيوش العدو الوسيلة الوحيدة لنجاة من كتبت له الحياة.

تم الاتفاق على الخروج من أرض المعركة لكن نواب شيحاني وقادته رأوا أن خروج القائد معهم في هذه الظروف يشكل خطرا كبيرا على حياته، ولهذا تقرر بقاء بشير شيحاني رفقة مجموعة مسلحة صغيرة ضمت على التوالي: الشايب علي، محمد شامي، محمد الصغير، عبد الحميد زروال، عبد العزيز سديرة، بوساحة عون الله وعبد الرحمان. وقد تم تزويد هذه المجموعة الصغيرة بما أمكن من الزاد والماء والذخيرة وتحصنوا جيدا في المغارة العميقة الموجودة على الضفة الشرقية لوادي هلال وقام المجاهدون بغلق المغارة جيدا، مستودعين من فيها إلى من لا تضيع ودائعه.

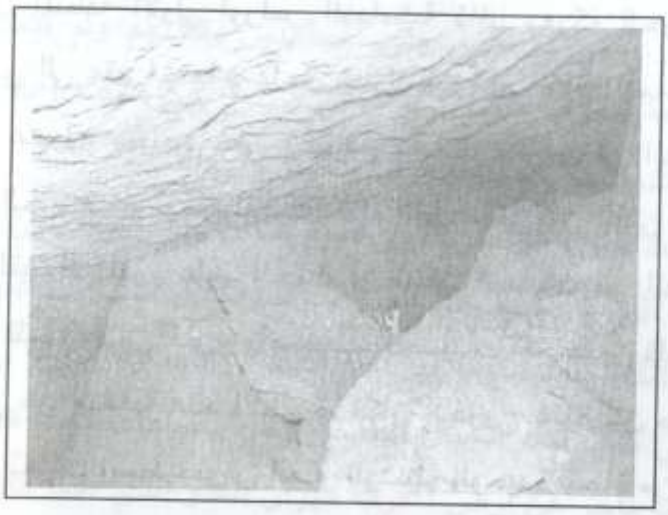

المغارة التي استعملها شيحاني بشير للخروج من معركة الجرف (صورة عن مجلة أول نوفمبر)

وفي هذه الأثناء بدأت محاولة خروج المجاهدين من ميدان المعركة بعد أن بسط الليل ستائره الدامسة على قلعة الجرف. وانتظم المجاهدون في أرتال مصطفة تنتظر إشارة الانطلاق. وكان أول من خرج دورية تضم خمسة جنود تقدمت لتجس نبض المكان. وما أن قطعت 200 متر حتى اصطدمت بقوات العدو التي خلد أفرادها للنوم بعد ثلاثة أيام من معركة جهنمية طاحنة. وما كان من دورية المجاهدين إلا أن فتحت نيران أسلحتها باتجاه العساكر الفرنسيين.

وكان لعامل المفاجأة هذا دوره حيث لم يكن العدو ينتظر خروج جيش التحرير بفتح ثغرة بالقوة وسط جيشه، مما أدى إلى سقوط الكثير منهم. وأشعلت إشارة ضوئية لتحول ليل الجرف نهارا لكن الوردي قتال سدد سلاحه نحوها ورغم جروحه فقد تمكن من إصابة الهدف وعاد الظلام يخيم من جديد ونشبت معركة من نوع آخر.

بعد أن دوت كلمة "الله أكبر" في ليل الجرف ورددت صداها قلاعه الحصينة اندفع مجاهدو جيش التحرير وسط قوات العدو والتي قوامها الآلاف في قتال ملتحم بالأسلحة النارية، السلاح الأبيض المتمثل في الحربات المنصوبة في مقدمة الأسلحة، الخناجر التقليدية وحتى بالأيدي ونتيجة ذلك تمكن المجاهدون من اختراق الجبهة الجنوبية للعدو وغنم أسلحة عديدة من مختلف القطع، عيار 36، مات 39، رشاشات ثقيلة عيار 24، عشاري، بنادق آلية وغيرها وبعض الذخيرة. وبعد الخروج من الحصار الذي ضربته قوات العدو، لاحظ المجاهدون وجود مجموعة من البغال محملة بالعتاد العسكري من أسلحة وذخيرة ومؤونة قادمة على شكل نجدة لقوات العدو بوادي الجرف، ويقود هذه القافلة مجموعة من عساكر العدو والحركى. فتم القضاء على أغلب مرافقي القافلة بينما سيقت البغال ومن بقي من الجنود الفرنسيين اعتقادا من المجاهدين أنهم ابتعدوا نهائيا عن العدو، لكنهم اصطدموا بطوق ثان من جيش العدو فاضطروا إلى قتل البغال والعساكر قصد التفرغ للاشتباك

مع هذه العقبة الجديدة. وتمكنوا من اجتيازها وغنم بعض الأسلحة وواصلوا السير.

ورغم التعب الذي نال من المجاهدين فقد كان لزاما على فوج عجول عجول مواصلة السير للخروج نهائيا من الطوق المحكم من قبل العدو. ومع بزوغ فجر يوم جديد بدأ جنود جيش التحرير يتوافدون في مجموعات وأفواج صغيرة لا تتعدى العشرين رجلا. وبعد تجمع حوالي 160 مجاهد أعطيت الأوامر للتقدم نحو شعبة مريم الواقعة على بعد 20كلم غرب مسحالة. واختلفت الآراء وأخذ البعض وجهة أخرى، واصطدموا من جديد مع العدو واستطاعوا في الأخير أن يفلتوا من قبضته.

وفي هذا الوقت بالذات سمع تبادل لإطلاق النار آت من مسحالة واتضح في ما بعد أن عباس لغرور ومجموعته هم الذين اشتبكوا مع قوات العدو المرابطة هناك ولحسن الحظ لم تخلف شهداء.

ويتذكر المجاهدون الذين حضروا المعركة بمرارة كيف أنهم اضطروا مرغمين إلى ترك المجاهدين البطلين بأرض المعركة: سالمي بوبكر لا يزال حيا يرزق الطبيب الخاص للقائد شيحاني وبخوش محمد السدراتي الذي بترت ساقاه الإثنتان في المعركة مما أحدث له نزيفا حادا جعله يدخل في شبه غيبوبة فقام جيش العدو بالإجهاز عليه وفصل رأسه عن الجسد ووضعوه على دبابة جابت به شوارع مدينة تبسة نكاية وشماتة ومحاولة لإحباط العزائم لكن دون جدوى.

واصلت أفواج المجاهدين هذه سيرها نحو الأماكن الآمنة، لأخذ قسط من "استراحة المحارب" قبل استئناف المعارك والكمائن من جديد. وقد اتجه كل من عباس لغرور وعجول عجول بجنودهم صوب منطقة الأوراس لأنهما كانا قد بيتا أمرا في غاية الخطورة وعزما على تنفيذه هناك.

نتائج المعركة

لقد حققت معركة الجرف الكبرى نتائج هامة إن على المستويات العسكرية، السياسية أو الدبلوماسية.

فعلى الرغم من أن الثورة كانت في بدايتها وامكانياتها المادية والبشرية محدودة إلا أن هذه المعركة وقبلها بشهرين معركة أم الكماكم أفحمت الأصوات الناعقة بأن تفجير الثورة خطأ فادح وأن فرنسا لا تهزم ببنادق الصيد. وأكدت نتائج المعركتين لمن يراودهم شك أن الإيمان بعدالة القضية والاستماتة في الدفاع عن الحق لا يمكن أن يؤديا إلا للانتصار رغم عدم تكافؤ موازين القوى بين الطرفين. وأهم ما خسرته فرنسا في الجرف على وجه الخصوص ليس الطائرات، الدبابات والمجنزرات ومئات القتلى في صفوف عساكرها، ولكنها خسرت أيضا الروح المعنوية والقتالية وتأكد بما لا يدع مجالا للشك أن القوة العسكرية الرابعة في العالم يمكن أن يمرغ سمعتها في الوحل شباب فقراء، رعاة، فلاحون منهم من ينتعل الحذاء لأول مرة وقلة قليلة من المتعلمين الذين كانوا نبراسا لرفاقهم. شباب أغلبيتهم الساحقة لم تبلغ

بعد سن العشرين، يحملون السلاح لأول مرة وهاهم يتحدون الجنرالات والعقداء من خريجي أكبر المدارس والكليات الحربية الفرنسية والحليفة ويلقنونهم درسا لا ينسى في فنون القتال على اختلاف أنواعه.

وهنا يأتي الانتصار السياسي لأن القوات الفرنسية عندما فشلت في تحقيق أي نصر عسكري يذكر لجأت كعادتها إلى الدوس على القوانين والأعراف الدولية وضربت عرض الحائط بكل الاتفاقيات التي التزمت باحترامها وقنبلت مواقع المجاهدين بالغازات السامة المحظورة دوليا في محاولة يائسة للقضاء على من عجزت عن مواجهتهم بالسلاح. وقد كان من نتائج ذلك أن ارتفعت أصوات منددة بهذه التصرفات اللامسؤولة، والتي لا يمكنها بأي حال من الأحوال أن تخدم السياسة الفرنسية في الجزائر وستضعف صوتها في المحافل الدولية. وجراء ذلك قدم بعض نواب البرلمان الفرنسي استقالتهم احتجاجا على استخدام الغازات المحظورة من طرف الجيش الفرنسي الذي ترفع دولته شعار "حرية، أخوة، عدالة".

وكما سبقت الإشارة إليه فإن معركة الجرف كانت من النتائج الأولى لسياسة المسح الشامل التي قررتها فرنسا للقضاء على الثورة قبل استفحالها، وبالتالي كانت قد جندت لتحقيق ذلك جحافل جرارة من الجيوش وحشود من الطائرات والدبابات والآليات المجنزرة وطوابير المغاربة والتونسيين واللفيف الأجنبي والحركى وبدأت زحفها.

وقد قدرت بعض المصادر القوات الفرنسية التي زحفت لتطويق قلعة الجرف بما لا يقل عن 45 ألف عسكري من مختلف الرتب والأسلحة وعدد لا يحصى من الطائرات الكاشفة والمقنبلة والدبابات والآليات. واستقدمت النجدات والإمدادات العسكرية من تونس التي كانت لا تزال خاضعة للهيمنة الفرنسية، وكذلك من المقاطعات المجاورة كباتنة، خنشلة وعنابة.

غير أن هذه الحشود لم تشفع لجنرالات فرنسا وخرجت جيوشها من الجرف الأشم وهي تجر أذيال الخيبة وتتجرع كؤوس الانكسار.

فقد تحولت مياه وادي هلال التي فاضت جراء الأمطار المنهمرة بغزارة إلى دماء بعد القتال الملتحم، وتناثرت على ضفاف الوادي وفي تجويفات صخوره جثث العساكر بالمئات ممتزجة بهياكل الدبابات، الآليات والشاحنات المتفحمة.

ومن الصعوبة بمكان تقدير خسائر الطرفين خاصة العدو، لأن هذا الأخير كان قد باشر أثناء المعركة إقامة مركز له بالجرف، وبالتالي لم يكن بالإمكان العودة إلى أرض المعركة في محاولة لتقدير الخسائر، وحتى سكان وادي الجرف (الجرافة) بعد تعرضهم للقصف غادروا المكان دون رجعة. ومن هنا تضاربت الأرقام حول خسائر العدو والمجاهدين. وكل طرف يحاول تضخيم قتلى وجرحى الخصم لأن

الحرب النفسية كانت قد بدأت أثناء المعركة. وعموما استقر الرأي على فقدان العدو لـ:

800 قتيل، أكثر من 1500 جريح وفقدان 100 آخرين، إسقاط ثلاث طائرات بين مقنبلة ومروحية، ضياع كميات لا تحصى ولا تعد من الذخيرة الحربية والكثير من الأسلحة كالبنادق الآلية (50بندقية) وغيرها.

في حين تباينت الآراء حول عدد شهداء جيش التحرير الوطني وتضاربت بين 60- 70 كأقل تقدير و 90- 160 شهيد في أقصى الحالات وما بين 60- 90 جريحا. لكن هذه الآراء أجمعت على غنم ما لا يقل عن 50 بندقية أوتوماتيكية (آلية) وكميات معتبرة جدا من الذخيرة التي كانت على متن قافلة البغال.

تجدر الإشارة إلى أن هذه الأرقام يجب التعامل معها كمجرد تقديرات فقط.

وبعد انتهاء معركة الجرف وخروج جيش التحرير الوطني بأقل الخسائر نظرا للقوات الضاربة التي حشدتها فرنسا من جيوش جرارة وأسراب لا متناهية من الطائرات الكاشفة والحاملة للقوات والمقنبلة وعشرات الدبابات والمجنزرات صبت سلطات الاستعمار جام غضبها على السكان العزل فأحرقت القرى والمداشر بالعشرات وقتلت الأهالي من النساء والأطفال والشيوخ وأهلكت وصادرت المواشي والمؤن وسلطت أشد العقوبات على السكان. وقد مكنها من تحقيق ذلك سياسة

القمع التي سلكتها. فمنذ اندلاع الثورة إلى مطلع الستينات أقامت فرنسا على تراب ولاية تبسة الإدارية 8 مراكز للتعذيب، 11 مركزا للمراقبة، 18 مكانا للتقتيل الجماعي للمواطنين العزل، 08 محتشدات و52 ثكنة أو مركز تواجد لقوات العدو. كل هذه الترسانة الجهنمية كانت فرنسا تحركها لقمع الشعب الأعزل من السلاح والمتمثل في النساء والأطفال والطاعنين في السن في محاولة لإحداث قطيعة لعزل المجاهدين عن الشعب.

لكنها فشلت في تحقيق هذه الغاية التي لا تدرك لأن المجاهدين خرجوا من صلب الشعب الجزائري ولم يكونوا أبدا لفيفا أجنبيا أو مرتزقة.

الهوامش

1- العيد بوقطف: معركة الجرف الكبرى منشورة ضمن: دور مناطق الحدود إبان الثورة التحريرية، إنتاج جمعية الجبل الأبيض لتخليد وحماية مآثر الثورة، ولاية تبسة ص165، مطبعة قـرفي باتنة.

2- فرسان ... الحرية (شهادات حية) محمد عباس ص191- 192، دار هومة طبعة 2001.

3- المصدر السابق ص191.

4- المصدر السابق ص191.

5- Mohamed larbi Medaci : Les Tamiseurs de Sable Aures-Nememcha 1954-1959, p114, Editions Anep 2001.

6- علي مسعي، العيد بوقطف ، لسود مسعي، إبراهيم بوغرارة، أحسن محمد، الحبيب عباد، عبد المجيد بلغيث، نصّر بوعبيدة، أحمد بعلوج وعاشور لزهاري.

7- ربيعي بن عبيد، علي سالمي، العربي شراب، بوبكر سالم، رمضان بوطرفي، صالح زبير، لخضر مباركي

8- أ/ محمد زروال: اللمامشة في الثورة، دراسة صفحات: 455 إلى 459، دار هومة، 2003.

9- محمد عباس، فرسان ... الحرية، ص، 193- 194، دار هومة، طبعة 2001.

الشهادات

شهادات حول المعركة

شهادات من إعداد:

- خضراء بوزايد (رئيسة مصلحة)
- فريدة مفتوح (مكلفة بالدراسات)
- ليندة مولاي ابراهيم (مكلفة بالدراسات)
- مفيدة كركودي(مكلفة بالدراسات)

تصوير:

- فريد جديات
- شافية كريديداش

❖الشهادات تم تسجيلها بولايتي تبسة وخنشلة من طرف مصالح المركز خلال:

14 - 18 جويلية 2007

27 أكتوبر2007

29 جانفي إلى 05 فيفري 2008

الاسم: الوردي

اللقب: قتال

تاريخ ومكان الازدياد: سنة 1925

بدوار سطح قنتيس ولاية تبسة.

س: حدثنا عن كيفية التحاقك بالثورة؟

ج: في شهر أكتوبر 1954 – قبل اندلاع الثورة بقليل– اتصل بي في البيت شخص عرفت في ما بعد أنه معمر المعافي والذي حدثني عن الثورة في تونس وغيرها من الأمور. ومما شد انتباهي أنه كان يعرف الكثير من المعلومات عني وهذا دفعني للشك في أمره. ولما صارحته بما يدور في نفسي وثق بي وقال لي إن ناحيتكم يوجد بها كثير من الأسلحة وعاود الحديث عن الثورة في تونس. ثم ضرب لي موعدا يوم الأحد المقبل بسوق الزوي حتى يعرّفني بالمسؤول.

وفي اليوم المحدد توجهت إلى السوق، وكانت المرة الأولى التي ألتقي فيها بشيحاني بشير –لم أتعرف عليه في هذا اللقاء– وكان قد نصب مظلة كبيرة لبيع العطور في قوارير صغيرة.

وقد قدمه لي معمر المعافي باسم سي مسعود. بعدها التقيت بمعمر المعافي الذي أخبرني بأننا على أبواب أمر هام دون ذكر التفاصيل وكلفني بتدوين أسماء من يملكون أسلحة في ناحيتنا.

بعد اندلاع الثورة مباشرة خرجت رفقة بوطمين، عثماني، الهاشمي حمادي وبلقاسم عالية باتجاه خنشلة للاتصال بمعمر المعافي الذي هيأ لنا سيارة نقلتنا إلى الـقلعة حيث التقينا بشيحاني بشير ليلا.

وفي صباح اليوم الموالي قدم إلى عين المكان كل من: عباس الغرور، عجول عجول، سيدي حني، معاش مسعود، لحسن مرير، غزالي بن عباس ومحمد شامي ولست أدري إن كانوا في مهمة أو غير ذلك.

س: ما هي المعارك التي شاركت فيها؟

ج: شاركت في معركة وقعت في الخناق لكحل بقيادة عباس لغرور كما شاركت في كمائن جرت في: الجديدة، الزورة، الجرف أي عدة معارك.

س: ما هي التنظيمات التي أدخلها بشير شيحاني بصفته مثقفا ولديه خبرة في العمل الإداري بعد إلقاء القبض على مصطفى بن بولعيد؟

ج: عندما قرر مصطفى بن بولعيد رحمه الله الذهاب إلى تونس نصب شيحاني بشير مسؤولا سياسيا يساعده عباس الغرور وعجول عجول وعين معاش مسعود، مسؤولا عسكريا، أما جماعة الأوراس فلا أعرفهم. غير أنه وقع خلاف بين شيحاني بشير وعمر بن بولعيد الذي اعتقد أنه أولى بخلافة أخيه، مما سبب الانقسام حيث انفصل شيحاني بشير تماما عن عجول وعباس وذهب إلى ناحية النمامشة وكون تنظيما آخرا تمثل في:

1- تقليص عدد أفراد الفوج الذي كان يتكون من 30- 40 جنديا أصبح لا يتعدى الـ 15، وذلك للتخفيف على المواطنين. فحين يقصد 30

أو40 مجاهدا للغداء أو العشاء مواطنا متزوجا من امرأة واحدة فإنه لا يمكنها إعداد الطعام لجيش كبير كهذا وأيضا حتى لا يكتشف العدو أمرهم.

2- تنظيم طلب الاشتراك بحيث لا يتكرر الدفع من طرف المواطن إذ كان بإمكان كل فوج تناول الأكل عند شخص وطلب دفع الاشتراك لكن هذا الحق ضررا بالناس وبات كل فوج يأتي يطالب بالاشتراك والأكل ولم تكن آنذاك وصولات تثبت عملية الدفع، كما أن الناس كانوا يتخوفون من حيازة وصل الاشتراك خشية وقوعه في يد العدو.

3- التقسيم الإداري حيث أنشأ المناطق.

وأول ما بدأ به، الزيارة التي قام بها إلى الجرف حيث عقد اجتماعا - كان سببا في معركة الجرف- في رأس الطرفة، توافد عليه المواطنون من كل مكان: تبسة، بئر العاتر، الشريعة، مسكيانة وخنشلة ألخ.

ومن القضايا التي تعرض إليها خلال الاجتماع، قضية تكفل المواطنين بالمجاهدين. فدعا الحاضرين إلى عدم إنكار استقبال المجاهدين في حالة استجوابهم من طرف فرنسا التي كانت تسلط أشد العذاب على من يقدم يد المساعدة لهم. وقد وصل الأمر أن أصبح المواطن يخرج كل أغنامه بعد مغادرة المجاهدين بيته لتمحو آثار مشيهم. كما كانت فرنسا تحرق بيوتهم وتسجن رجالهم، لذلك قال لهم شيحاني من اليوم فصاعدا عندما تسألكم فرنسا عن قدوم المجاهدين، لا تنكروا مجيئهم، بل قولوا لهم إنها جماعة مسلحة لم نتمكن من ردها وقد قدمنا لها

الأكل، وإذا أردتم توقيفنا افعلوا، فأنتم على الأقل تقدمون لنا قطعة خبز لكي نعيش، أما هؤلاء فإننا إذا رفضنا يقتلوننا. وللمزيد من التوعية قال أنتم تسمونهم "فلاقة" ونحن نسميهم مجاهدين.

النقطة الثانية التي تطرق إليها هي قضية التجنيد حيث قال: امنعوا أولادكم من التجنيد الإجباري في الجيش الفرنسي ودعا إلى عدم التقاضي أمام عدالة فرنسا، وأن لا يدفعوا لها الغرامة والمكوس، اي أمرهم بالعصيان والتمرد على السلطة الفرنسية.

ومن أهم ما ناقشه أيضا ضرورة إقامة الحدود أي المناطق، بإنشاء مراكز تكون مسؤولة عن جمع المؤونة وإعداد الأكل بدل المواطنين وكل مركز يتكفل بالمجاهدين حين يقصدونه للأكل ألخ.

أما في ما يخص الاشتراكات فقد حددها حسب الدخل الفردي. وقد احتفظنا بالوصولات الأولى التي رسم عليها هلال وكان كل رسم حسب القيمة النقدية، "ألف فرنك، خمسمائة" وقام بطبعها عبد الحي في تونس ثم أرسلها إلينا.

كما تقرر في هذا الاجتماع تعيين القيادة لكل منطقة كالتالي: لزهر شريط في بئر العاتر والجبل الأبيض، سيدي حني في تبسة، تيجاني عثماني في خنشلة، لغرور شعبان في الخروب، عمر البوقصي في سدراتة، محمد لخضر في منطقة وادي سوف ثم خلفه الطالب العربي، الجيلاني السوفي من نقرين إلى الحدود التونسية.

س: نتكلم عن الجرف كيف تطور الأمر من اجتماع عادي لقائد منطقة إلى معركة تعد من أكبر المعارك؟

ج: لقد شعرت فرنسا بتمرد المواطنين نذكر على سبيل المثال: عدم تجند الشباب لأداء الخدمة العسكرية، الامتناع عن التدخين، الخطاب العظيم الذي ألقاه شيحاني بشير في رأس الطرفة وأوضح من خلاله واجبات المواطنين.

وفي الأخير وقف مستقبلا القبلة وقال اشهدي يا سماء، اشهدي يا أرض اشهدي يا جبال، فرنسا لا تملك شبرا واحدا في هذه الأرض، إنما هذه أرض جزائرية. وقد جاء في خطابه قوله للمواطنين أنا على علم بأن منكم من سيبلغ عنا، وكان كلامه سياسيا فلم يتهمهم بالجوسسة، وإنما كما قال الشيخ العربي التبسي رحمه الله :" بلّغوا الرسالة بأمانة" أي بحذافيرها دون تزوير، لأن من يقول التقيت بالمجاهدين لا يعد واشيا وإنما مفتخرا.

س: هل هو نوع من التحدي لأنه كان على علم بما سيحدث؟

ج: آنذاك كنا قد انتصرنا في عدة معارك فكنا أحيانا ننتصر كما هو الحال بالنسبة لمعركة أم الكماكم، وأحيانا أخرى نصاب بالخذلان وهذا حين استشهد لحسن مرير ناحية خنشلة وحمة لخضر في وادي سوف.

عندما وصلنا إلى الجرف أرسل شيحاني دورية يقودها محمد بن عجرود في مهمة إلى الشريعة. وعند وصولها إلى أم خالد في وادي هلال

(الجرف) مكان يدعى فرطوطة اصطدم بالعساكر. كان برفقته 30 جنديا مسلحين جيدا، مما دفعه للتفكير بأن الاشتباك لن يتجاوز ساعة، لكن العدو كان مدججا بالأسلحة الثقيلة واستعمل الدبابات. وبعد ساعتين تقريبا استشهد محمد بن عجرود ومن معه ولم يبق منهم سوى ثلاثة جنود عثر عليهم المواطنون تحت الأنقاض أثناء عملية الدفن، منهم عمراني عمران الذي ما يزال على قيد الحياة ويوجد في خنشلة، ولا زلت على اتصال به. ولم نعلم بهذا الاشتباك إلا بعد عودتنا إلى الجرف، فخرجنا فورا لنجدته ولدى وصولنا إلى رأس الطرفة علمنا أن القضية انتهت وطلبوا منا الرجوع. أثناء عودتنا بعث لنا شريط لزهر رحمه الله رسالة يقول فيها إذا كان بإمكانكم الخروج افعلوا، لأن القوات الفرنسية قادمة بجيوش لا تعد ولا تحصى من الصحراء، تونس، خنشلة ومن كل مكان.

س: أين كان شريط لزهر عندما بعث لكم الرسالة؟

ج: عندما وزع شيحاني بشير المهام، توجه كل منا صوب المنطقة التي أسندت له:عمر البوقصي أرسله لفك الحصار على لحسن مرير لكن عندما وصل وجد هذا الأخير قد استشهد. توجه لزهر شريط إلى الجبل الأبيض وأثناء ذلك اشتبك مع العدو، فبعث رسالة يطالبنا من خلالها بالخروج. ولم نتمكن من ذلك في النهار وعند حلول الظلام انطلقنا وبعد قطع مسافة 7 أو 8 كلم حينئذ تكلم البارود.

س: إلى أين كانت وجهتكم ؟

ج: كنا متوجهين ناحية خنشلة للعودة إلى القلعة، الخناق لكحل أي المناطق الواسعة، عكس التي كنا فيها، وعندما بدأ تبادل إطلاق النار - والله لولا الإرادة لسلم الإنسان نفسه- حيث كانت الأضواء كثيفة وصوت الرصاص يدوي من كل جهة. اشتبك عباد الزين مع العدو لأنه أول من خرج مع مجموعته وتمكن من المرور. كنت رفقة عجول، عباس، سيدي حني، بابانا ساعي وشيحاني أي القيادة بأكملها، فاستدعاني هذا الأخير كوني ابن المنطقة وأعرفها جيدا عكس الآخرين. كان شيحاني رفقة عباس وإن قلت لهذا الأخير نذهب شرقا أو غربا لا يتأخر أبدا لأنه يجيد فقط إطلاق النار، فقالا لي إن اليوم طويل ما رأيك؟ أجبت إما الخروج بقوة وإلا العودة إلى الحصن لندافع منه عن أنفسنا وإذا متنا، نموت شرفاء، فقرروا العودة إلى الجرف، وسبحان ربي الذي ساعدنا، إذ عند عودتنا جاءنا إمداد من تونس يتمثل في ثلاثة بغال محملة بالذخيرة. بدأت المعركة على الساعة السابعة أو الثامنة صباحا حيث دخل علينا فوج كنت رفقة عباس، الباهي شوشان، محمد ولد السدراتي، علي المعافي والعربي كافي أي المجموعة التي كانت قرب الوادي حين قدوم العساكر بكلاب مدربة، كانت تجري وعندما أوشكت على الوصول إلينا عادت وكأنها أرادت أن تشير إلى مكان تواجدنا. وما أن نزلوا إلى مكان جد وعر حتى بادرناهم بإطلاق النار، فقتلنا جلهم ولم يبق منهم سوى 3 أو 4 عساكر، هنالك صاح عباس أن خلوا سبيلهم حتى ينقلوا الخبر. في ذلك اليوم انتصرنا عليهم ولم تكن

الدبابات قد وصلت، وعليه لم يتمكنوا من النزول إلى المكان الوعر إلا بعد تدخل وحدة الهندسة العسكرية التي مهدت الطريق لوصول الدبابات إلى المكان الذي اتخذناه حصنا، بدأنا الاشتباك دون استسلام.

وكان الاتفاق على أن الذي يطلق خرطوشة دون إصابة الهدف (لا يقتل بها أحدا) يعد خائنا، وهذا منطقي ما دام لكل من منا 10 خراطيش وإذا نفذت فقد يضطر صاحبها للاستسلام. قمنا بمهمة الدفاع كما ينبغي في اليومين الأول والثاني. وفي الليل نتوقف عن القتال، نفس الشيء بالنسبة للعدو. وكان كل منا إذا سمع صوتا ما يطلق الرصاص.

وفي اليوم الثالث حاصرتنا قوات كبيرة وأنهكنا قصف المدفعية - لذلك يوجد مقبرة بالقرب من الجرف- باتجاه الجبل المقابل لنا، فترتد الشظايا نحونا، وقد أصابتني إحداها في كتفي وعالجني سالم بوبكر. كما استعملوا ضدنا الغازات السامة في مساء اليوم الرابع. ثم حلقت فوقنا الطائرات فأسقطنا منها إثنتين، الأولى كانت تحلق على علو منخفض فلما أطلقت عليها الرصاص ببندقية ألمانية، رأيت الدخان يخرج من جناحها ثم سقطت في الجرف على بعد 7 أو 8 كلم. ومن معجزات المولى عز وجل أنه عندما بدأوا بإطلاق الغازات السامة، نزل المطر، وجهنا نداء للمجاهدين وقلنا لهم كل من لديه منديل يبلله بالماء حتى لا يستنشق تلك الغازات، وهذا ساعدنا. غير أنه في ما بعد نفذ

الماء وكنا نجلبه من الوادي وهو بعيد عنا. وأثناء الاشتباك كنا نصاب بعطش شديد، البعض يظن أن هذا راجع إلى النشاط المبذول ذهنيا وجسديا لذلك مضغنا أوراق شجر البطمة. وفي النهاية اقترب منا العدو وبدأ القومية ينادوننا بأسمائنا فيقولون - تماما كما ننادي بعضنا فنقول سي عباس، فيرد يا الوردي حتى نعرف إن كان أحد قد استشهد أم لا- غدا ستكونون في تبسة. كان الجنة السوفي (عبد المالك فريد) شجاعا فرد عليهم: يا من باعوا أنفسهم من أجل الخبز وشتمهم وكان الجنة قد خرج لتوه من المعركة التي خاضها محمد لخضر السوفي في هودشيكا (بوادي سوف) واستشهد فيها في حين نجا مقداد جدي رفقة مجموعة أخرى.

شعرنا بضغط كبير نظرا لكثرة الأدخنة التي أطلقوها نحونا حتى يتمكنوا من التقدم إلينا في الأماكن الوعرة. لكن رحمة الله أسعفتنا بنزول المطر، وهذه من المعجزات التي كانت سببا في نجاحنا حيث تبللت أسلحتهم وهذا أنقص من عزيمتهم. لم يكن المطر غزيرا ولو كان كذلك لكنا تأخرنا بيوم فيصبح من الممكن القضاء علينا. وهذه من الكرامات التي رأيت العديد منها في ثورتنا، وكما يقال اتق الله ترى العجائب.

س: هؤلاء الذين نادوكم بأسمائكم، هل كانوا جزائريين في الجيش الفرنسي؟

ج: نعم، كان فيهم الجزائريون، التوانسة، المغاربة، السنغال والألمان. وقد كان تصويب الألمان بواسطة المنظار لا يخطئ الهدف أبدا، كانوا

قناصة ماهرين لذلك كنا نخشاهم إلى جانب المغاربة الذين كانوا يتصفون بالشجاعة.

نعوّد إلى الكلام عن معركة الجرف حيث وصل بنا الأمر إلى الاستسلام أو الاستشهاد وأرسلوا لاستشارتي وكنت مصابا بجرح خطير، لا أتمكن من تحريك ذراعي لكنني كنت نشيطا وأتمتع بصحة جيدة. وكان شيحاني بشير قد قرر تقسيم جماعة القيادة، بالشكل التالي: يخرج الجيش ويبقى عباس والمتحدث (الوردي قتال) في الجرف، في كهف من الحجارة جد ضيق (تدخلينه على الجنب) مفروش بالزرابي يدخل إليه ضوء من خلال الحجارة، فقلت له يا شيخ - وكان يحترمني، لأني أقول الحقيقة ولو استلزم ذلك فصل رأسي- لقد خرجت من أجل الجهاد وعندما أموت يكون ذلك في الخارج حتى يقول الناس على الأقل استشهد الوردي قتال في المكان الفلاني، فيصل الخبر إلى أهلي، أما أن أدخل بين الحجارة فلا. وقد وافقني في الرأي كل من عباس لغرور، عجول عجول، بابانا ساعي وسيدي حني (بشير ورتال). لكن شيحاني بشير قرر البقاء رفقة شخص أو إثنين وتزود بمؤونة تكفي لمدة 3 أو 4 أيام، لأن فرنسا كانت تقوم بعد كل معركة بالعودة إلى الميدان لمدة يوم ثم تنصرف، فحسبنا أن الأمر كذلك. دخل الثلاثة إلى الكهف: شيحاني بشير، علي لمعافي، وآخر لا يحضرني اسمه ثم أغلقوا مدخل الكهف بواسطة الحجارة، وكانت كلمة السر للخروج هي التي أشار بها المتحدث "خرشف" لأن العساكر يجهلون معنى هذه الكلمة وبالتالي إذا

قلت لك "خُرشف" هذا يعني أنني مجاهد. ذكرنا البسملة، وعند نزولنا كنت في المقدمة.

ولدى وصولنا إلى الوادي وكان الماء يصل إلى ما فوق الركبة وكما تعلمين فإن السير في الماء يحدث أصواتا، فنطق الرشاش والرصاص، وكانت المعجزة التي ذكرتني والله بغزوة الرسول صلى الله عليه وسلم في بدر حين حمل حفنة من التراب وتلا الآية الكريمة: "وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى" فحين أطلقوا إشاراتهم الضوئية فأصبح الليل كأنه نهار، صوبت نحوها سلاحي فأصبت الهدفين الأول والثاني ومن ثمّ لم يرسلوا إشارات ضوئية. عندما وصلنا إلى الوادي وجدنا البغال محملة بالمدافع قادمة كإمدادات. أخذت بغلا ومشيت به قليلا، وجدت شخصا تفوه بكلمة لم أفهمها فقتلته وانتزعت منه كيسا وخاتما نزعته من أصبعه، وقد اكتشف من كان معي بأنه يهودي تونسي، نزعنا منه بطاقة التعريف وصورته وأرسلها عباس لغرور إلى زوجته لتعزيتها في زوجها.

وعلى الرغم من أن التدخين كان ممنوعا، إلا أنني كنت أصر على التدخين أثناء خوض المعارك. ففي تلك الليلة دخنت السجائر. قدت البغال وفي الطريق صادفت جماعة أطلقت علي النار فهربت البغال ولم يبق منها إلا واحد فقتلته حتى لا يذهب إلى العدو. وعندما سقط أخذ عباس لغرور الذخيرة والمدفع التي كان يحملهما وانصرفنا. خرجنا من

العلف قبل منتصف النهار بعدما تغدينا. واصلنا السير وكنا نتوقف أوقات الصلاة لأداء الفرائض.

س: هل يوجد مركز هناك؟

ج: نعم، لكنه كان بعيدا عنا، وقد وجدنا هناك عمار كافي، قدور ندرومة، لخميسي. وأحضر لنا مسؤول المركز 10 أرغفة خبز وقسمها على المجاهدين فكان نصيب كل منا قطعة صغيرة فقط. وبحلول الليل وجدنا العساكر أمامنا ومررنا بالقرب منهم دون اشتباك – أصبح الأمر بالنسبة لهم أتركني في حالي أتركك في حالك – بحيث عندما نبح الكلب أمره صاحبه بالتوقف عن ذلك.

بالفعل والله يوم خروجنا من الجرف، كان التعب قد نال من الطرفين وأصبحوا يغضون البصر عنا لدرجة أنهم كانوا يقولون لنا ها هو السلاح أمامكم خذوه واخرجوا فقط. وكنا حين نكبر، يكبرون أيضا. توجهنا إلى القلعة وعند وصولنا علمنا باستشهاد مسؤول المركز.

س: هل كان برفقتكم عباس لغرور وعجول؟

ج: نعم.

وكما سبق أن ذكرت لك فإن الجماعة التي سلكت طريق الوادي باتجاه مسحالة، فاجأتهم قوات العدو أثناء خروجهم، فاشتبكوا معها وكانت النتيجة استشهاد كاتب بابانا ساعي.

لدى وصولنا إلى عالي الناس، قرب ششار، التقينا جميعا ولحق بنا عباس لغرور في القلعة ثم ذهبنا إلى الزاوية أين تناولنا العشاء وانطلقنا

إلى دوار الكرابدة فمكثنا يوما هناك. عدنا ثانية إلى عالي الناس ونزلنا إلى مكان يدعى أولحاج تعشينا هناك ولما علمنا بقدوم العساكر غادرنا إلى دوار الكرابدة ثم لحقت بنا دورية وأبلغتنا بخروج شيحاني. ظل عجول وعباس يتبادلان أطراف الحديث ولكن ما أن أقترب منهما حتى يتوقفان عن الحديث لأن خبر خروج شيحاني كان قد وصل إليهما، أما أنا فكنت سعيدا كون القائد قد خرج ولم أكن أعلم بنهايته.

الإسم:علي

اللقب: مسعي

تاريخ ومكان الازدياد: 1- 07- 1927

بتازربونت دائرة الشريعة ولاية تبسة.

التحقت بصفوف الثورة في بداية 1955.

س: لندخل مباشرة في صلب الموضوع، حدثنا عن معركة الجرف وأسبابها؟

ج: بعد معركة أم الكماكم في أواخر جويلية 1955، وهجومات 20 أوت من نفس السنة قررت فرنسا القيام بعمليات مسح شاملة لجبال النمامشة لأن الشريط الحدودي كان مسرحا لعدة معارك. وأثناء التحضير العسكري قامت فرنسا بحملة إعلامية بغية تشويه صورة المجاهدين. واختارت أسماء واعتبرتهم مجرمين وخونة فارين من العدالة الفرنسية ولهم ديون لم يسددوها بعد. واستغلت في دعايتها بعض عملاء فرنسا الذين نفذ في حقهم جيش التحرير الوطني حكم الإعدام عن طريق الذبح وصورتهم المخابرات الفرنسية وأرسلتهم لأهالي العملاء حتى تحدث فتنة لكن جاء رد قيادة المنطقة بعقدها لقاءات مع المواطنين.

كان شيحاني شخصا مرموقا مثقفا يتقن اللغتين العربية والفرنسية ويتابع الأخبار دوما عن طريق المذياع. فقام بعد هذه الأحداث بعقد

اجتماع في رأس الطرفة بأرفو حضره جمع غفير من المناضلين والمواطنين وحتى بعض الذين كانوا ضد الثورة، كما جاء الطلبة من معاهد قسنطينة وبسكرة.

س: هل كانت السلطات الفرنسية على علم بهذا التجمع؟

ج: نعم كانت على علم وأتت بعدد كبير من العساكرمن تونس، المغرب وفرنسا لكي تقوم بعملية مسح شاملة لتطهير المنطقة.

لهذا ألقى بشير شيحاني خطابا لبث الوعي وأكد على أن هدف فرنسا الوحيد هو عزل المجاهدين عن الأهالي، وقد استعملت هذه الطريقة في الثورات التي سبقتنا لكي تقضي عليها، مؤكدا أن قوتنا تكمن في الصبر وفي الوحدة، وليس لدينا حل آخر لكي نستقل سوى استعمال البندقية.

كما جاءتنا معلومات تفيد بأن الجيش الفرنسي وصل إلى المنطقة. الرسالة الأولى كانت من خنشلة من طرف حاجي رحمه الله ومن القايد بن شنوف تقول: "إن القوات الفرنسية قادمة بعدد كبير ولا تستطيعون مواجهتها وما عليكم إلا الدخول إلى تونس لكي تجتنبوا هذه الصدمة". لكن القيادة قررت البقاء لتواجه فرنسا.

أود ذكر محطات مهمة، لأن المعركة بعمومياتها سمعها الجميع حتى بالنسبة للمؤرخ عندما يعرف بأن المعركة دامت ثلاثة أيام في مكان واحد يعرف حدة المعركة.

قضية توزيع الوحدات القتالية بعد خروج المواطنين، وسماع الأخبار التي تفيد بأن الجيش الفرنسي حاصر كل الجهات. حينها أعطى شيحاني أوامر بإخلاء المكان من السكان واستدعى قادة الوحدات وقام بتوزيعها على أم الكماكم، بوجلال وفرطوطة.

س: هل كانت المناطق التي وزع فيها الجيش تابعة لمعركة الجرف؟

ج: كل هذا كان لمنع تجمع الجيش الفرنسي في مكان واحد وتعطيل تقدمه، لأنه جاء لكي يقوم بعملية مسح شاملة.

من بشائر الخير سقوط الأمطار فتعطلت وحدات الجيش الفرنسي. ثانيا في ذلك المساء وصلت دورية محملة بالسلاح من ليبيا وتونس. عندما توقفت المعركة في مساء اليوم الأول، ومن عادة الجيش أنه يحضر نفسه في اليوم الأول للخروج. لكن جاءتنا الأوامر بعدم الخروج. هذه من المحطات المهمة في المعركة. أخبرونا أن ملف القضية الجزائرية سيسجل في هيئة الأمم المتحدة. هذه الليلة عرس فلنحتفل به. نحرنا الخرفان وغنينا الأناشيد. احتفلنا بهذه المناسبة لكننا لم نكن نعرف الخلفية. أما شيحاني فكان يتابع الأخبار وحجم القوات القادمة التي أصبحت تحيط بالموقع وأهدافها التي كانت ترمي إلى مسح كل المنطقة. قيل لنا إذا خرجنا فسنواجه الجيش الفرنسي لذلك يجب علينا قضاء الليلة هنا وخوض معركة معه.

قضينا الليلة في المنطقة مع حراسة مشددة. وفي اليوم الثاني استؤنف القتال أكثر مما كان عليه في اليوم الأول وفي المساء بلّغنا بضرورة إيجاد مسالك من قبل أبناء المنطقة لكي يتسنى للدوريات الخروج.

استطاعت دوريات الخروج فاستشهد البعض وهناك من استطاع النجاة والبقية عادت إلى الجرف وتواصل بذلك القتال بيننا إلى غاية الصباح. أما في اليوم الثالث فاشتدت المعركة أكثر مما أقلق قادة الجيش الفرنسي لأن المعركة طالت وستشوه صورتهم أمام الجميع، لأنهم لم يحسموا الأمر أمام جماعة من المجاهدين كان من المفروض القضاء عليهم بسهولة.(سيشربون بها القهوة في تبسة) لكن الأمور تطورت وامتدت المعركة إلى يومها الثالث.

وما كان من القوات الفرنسية إلا تكثيف عددها وعدتها. لذلك استخدمت القنابل الدخانية ليتسنى لها التقدم. لكن قدرة الله فوق الجميع إذ هبت ريح قوية أخذت معها السحب الدخانية واكتشف أمر العساكر فمنهم من قتل ومنهم من أصيب.

في الثلث الأخير من اليوم الثالث دخلت الدبابات إلى مواقعنا، لأنه خلال هذه الفترة كانت الهندسة العسكرية تعبد الطريق. وعندما دخلت الدبابات صعب علينا الموقف أكثر. اقتربت منا القوات الفرنسية وأصبحوا على بعد أمتار منا يطلبون منا الاستسلام. "بقولهم سلموا أسلحتكم وسنشرب غدا القهوة مع بعض بتبسة لأنكم تعبتم." وكان رد المجاهدين باللغة الفرنسية والعربية واللهجة الشاوية.

فوقف أربعة شبان وهم يرددون نشيد "من جبالنا طلع صوت الأحرار ينادينا" وهم يبكون فاقشعرت أبداننا.

بعد فترة جاءنا أمر من قائدنا فرحي حمة بن عثمان يطلب منا التوجه إلى الإدارة ليلا في مجموعات صغيرة لا يتجاوز عدد أفرادها الـ 2 أو 3 وكان موقعها في أعلى الجبل، موقع حصين أين يوجد الكهف الذي تتمركز فيه القيادة.

كان الاجتماع وكان النقاش حول كيفية الخروج ومن سيبقى في الكهف، لأن الأمور تعقدت وأصبح احتمال خروجنا ضئيلا جدا.

اقترح شيحاني بقاء عجول عجول وعباس لغرور، لكنهما رفضا وفضلا أن يبقى هو باعتباره القائد وكان شخصا خطيبا ومثقفا باللغتين العربية والفرنسية.

جاء "بابانا ساعي" و"ورتال بشير" وقالا لنا يجب علينا الخروج أو الاستشهاد. لأن القوات الفرنسية تمركزت في الأعالي تحسبا للغد.

عند خروجنا والعبرة التي يأخذها الإنسان أنه عندما يتأقلم مع الطبيعة وتضغط عليه- أصبح المجاهد وهو نازل من أعلى الجبل لا تسمع صوت خطواته رغم أنه يسير فوق الحجارة وأغصان الأشجار لأنه كان في مواجهة مع الموت.

نزلنا ناحية الوادي ووجدنا الحراسة الأولى وكان معي أخي لسود الذي كان مصابا ومعنا مجاهد تونسي يحمل الرشاش الذي أتى به كافي عمار كغنيمة لأنه يحسن استعماله. وبينما نحن نسير صادفنا العساكر

لكن لحسن الحظ كانوا نياما. عندما أصبحنا في وسطهم صوّب المجاهد التونسي سلاحه نحو عسكري وكان هذا الأخير مغربيا فطلبت منه قتله لكنه تردد خوفا من أن يكتشف أمرنا فأخذت بندقيتي الستاتي (ست طلقات) وأطلقت عليه النار. فوقع الاندفاع في ما بيننا مع ترديد كلمة الله أكبر وقد أصبت خلال ذلك في ساقي.

س: هل كان بوسعك السير بعدما أصبت؟

ج: كنت أرتكز على بندقيتي في السير.

س: هل يمكنك أن تحدثنا عن خسائر الطرفين في هذه المعركة؟

ج: بالنسبة للشهداء كان عددهم ما بين 60 و70 شهيدا سقطوا كلهم أثناء عملية الخروج ما عدا ثمانية فقط استشهدوا داخل المعركة.

كنت أمام شيحاني رحمه الله عندما طلب منهم تزويده بنتائج المعركة فأعطوه سلاح مات 49 كما طلب من ممرض معالجة مصاب كان معنا، وأخبروه أن ثمانية استشهدوا أثناء الخروج.

كانت عملية الخروج على دفعات، وسقط الشهداء خاصة في الدفعة الأولى لكن بأعداد قليلة لأن معنويات عساكر العدو انحطت تحت الصفر بعدما تفاجأ بالجيش بينما كانوا نياما ظنا منهم أنهم في الغد سينتصرون على المجاهدين. لكن الحقيقة أن العسكري الفرنسي أصبح يرمي بندقيته عندما يرى جندي جيش التحرير.

بعد الإصابة التي تعرضت لها بقيت في ساحة المعركة مدة يوم ونصف وخلال هذه الفترة بقي تبادل إطلاق النار في ما بيننا متواصلا.

س: بعض المصادر تحدثت عن وقوع خسائر كبيرة أثناء الخروج؟

ج: هذا صحيح لأن هناك مجاهد رحمه الله كان في المعركة وهو عبد الله بن أحمد كحلة وهو من الذين أصيبوا في المعركة قال لي عندما خرجنا قمت بعملية إحصاء الجيش وكان عدده حوالي 180 إلى 200 مجاهد إضافة إلى المصابين الذين كان عددهم يتراوح ما بين 10 و 15 أما الشهداء فعددهم كان من 60 إلى 70 شهيدا.

س: كم كان عدد الجيش من قبل؟

ج: لا يمكن لأحد منا أن يعطي الرقم الحقيقي لعدد الجيش، لكن حسب التقديرات كان العدد حوالي 260 مجاهد لأن هناك فرق نعرفها ونعرف مسؤوليها.

أما خسائر الجيش الفرنسي فالمعلومات التي تحصلنا عليها من تبسة ومن عائلة مقربة جدا لفرنسا فكانت تتمثل في مقتل 800 عسكري.

الاسم: العيد

اللقب:بوقطوف

تاريخ ومكان الازدياد: 21- 11- 1933

ببئر مقدم ولاية تبسة

التحقت بالثورة في مارس 1955 بالجبل الأبيض تحت قيادة فرحي ساعي.

محورنا في هذا اللقاء هو الحديث عن معركة الجرف، هذه المعركة العظيمة التي تحدث عنها الكثير من الإخوة المجاهدين وكل واحد منهم قدم ما يعرفه عن هذا الحدث.

س: كيف كان التحضير لهذه المعركة؟

ج: سبب معركة الجرف قبل كل شيء هو معركة أم الكماكم، هذه الأخيرة التي كانت بداية المعارك على مستوى تبسة وهي التي أعطت درسا للفرنسيين دون أن يستطيعوا القضاء على المجاهدين.

ولهذا بدأت فرنسا تفكر في كيفية الانتقام ورد الاعتبار، حيث وصلتها معلومات تفيد بأن قيادة المنطقة الأولى أوراس النمامشة متمركزة هناك. وقالت إذا قضيت على هذه القيادة والمجاهدين فسأقضي على الثورة.

وبكل صدق والتاريخ يشهد على ذلك أن فرنسا كان اهتمامها منصبا على الناحية الأولى أوراس النمامشة. ولهذا بقيت تتتبع القيادة بالجبل الأبيض لكي تنتقم منها إلى أن جاء تاريخ 22- 09- 1955 حيث كانت القيادة متمركزة في الجرف محضرة نفسها من تموين وذخيرة إلى جانب القوة التي كانت معهم تحسبا لأي هجوم.

وكانت هناك دورية قريبة من الجرف بحوالي 15 كلم بقيادة محمد بن عجرود وعددها يتراوح مابين 28 و30 مجاهدا.

كما هو معروف قام شيحاني بتنظيم تجمع للمواطنين المناضلين وغير المناضلين، وحثهم على الثورة ومساعدة المجاهدين.

انتهى الاجتماع وتفرق التجمهر وعاد شيحاني إلى الجرف. من هنا تسربت الأخبار إلى القوات الفرنسية تفيد بأن قيادة الثورة وقادة الجيش هناك بذلت فرنسا إثرها كل ما بوسعها للقضاء على هذه القيادة والجيش بأكمله. وبقيت مدة معينة وهي تعد نفسها للهجوم على المنطقة إلى أن جاءت بقواتها متجهة إلى الجرف حيث توجد القيادة مع المجاهدين.

س: من هم القادة الذين كانوا مع شيحاني بشير؟

ج: كان معه عجول عجول، عباس لغرور، فرحي ساعي، سيدي حني وعلي المعافي.

س: هل كان معهم شريط لزهر؟

ج: لم يكن معهم شريط لأنه كان في تلك الفترة بجبل أم الكماكم.

المهم جاءت القوات الفرنسية زاحفة نحو المنطقة، فاصطدمت أولا مع المجموعة المتقدمة في حدود منتصف النهار بقيادة محمد بن عجرود وكان عددهم حوالي 28 إلى 30 مجاهدا وأسفر هذا الاصطدام عن استشهاد كل المجاهدين بما فيهم محمد بن عجرود الذي فصل رأسه عن جسده ووضع فوق سيارة عسكرية مكشوفة من نوع jeep وطافوا به في شوارع تبسة ليبينوا للأهالي أنهم استطاعوا قتل قائدهم.

بعدها جاءت القوات الأخرى متقدمة. أنا شخصيا كنت مع حمة بن زروال وعمر البوقصي في فوجين وكان كل واحد مسؤولا عن فوج. أرسلتنا القيادة لتفقد أوضاع محمد بن عجرود، لكننا فوجئنا بما حدث له وللمجاهدين، فرجعنا لنخبر القيادة بما حصل لكن عمر البوقصي ذهب إلى جهة أخرى ولم يشارك في معركة الجرف.

في النصف الأخير من النهار تقدمت القوات الفرنسية زاحفة نحو المكان بالمشاة. وفي الصباح صار المكان كله محاصرا بالعساكر، ثم بدأ تبادل إطلاق النار بيننا. وقد حاولت القوات الفرنسية منذ الوهلة الأولى القضاء على الجيش لكنها فشلت لصعوبة المكان إلى جانب أنه من الناحية العسكرية فإن المدافع تكون له القوة أكثر من المهاجم رغم أنها كانت تملك سلاحا متطورا أكثر منا.

عندما فشلوا في العملية تقهقروا إلى الخلف وبدأوا في التمهيد للهجوم بالمدفعية للقضاء على أكبر عدد ممكن من المجاهدين وهذه قاعدة

عسكرية معروفة لدى الإخوة. وبعد المدفعية يأتي دور الطيران لقنبلة أماكن تواجد المجاهدين.

س: هل خلف هذا القصف المدفعي سواء بالطائرات أو المدفعيات خسائر؟

ج: طبعا كانت هناك خسائر لكن لو وقعت هذه المعركة في مكان آخر لما بقي أحد من المجاهدين على قيد الحياة. وسبب نجاح معركة الجرف هو أن المكان عبارة عن صخور كبيرة ونحن متمركزون تحتها نستطيع من خلالها ضرب العدو دون أن يرانا أما إذا تعرضنا للقصف بالطائرات فتتحطم تلك الصخور فوقنا. لذلك لم تكن هناك خسائر كبيرة في صفوف المجاهدين.

بعدها جاء دور المشاة في الهجوم وبمجرد وصولهم إلينا أطلقنا عليهم النار فسقط منهم العديد من القتلى والبقية تراجعت ثم خلفتهم المدفعية والطائرات. هذا كله خلال اليوم الأول من المعركة. وعندما قررنا الخروج ليلا لم نستطع لأننا كنا محاصرين وكنا نتعرض للقصف بصواريخ البطاريات كل نصف ساعة أو أكثر. وكان الهدف من هذا منع المجاهدين من أخذ قسط من الراحة. استمرت المعركة في اليوم الثاني كما كانت عليه في اليوم الأول. أخذ ورد مع هجوم وانسحاب إلى غاية اليوم الثالث أين صعبت الأمور على المجاهدين ونفذت منهم الذخيرة من سلاح وتموين إلى جانب التعب الذي تملكهم - أنا شخصيا عندما

خرجت من معركة الجرف كنت أشاهد الطائرة لكنني لم أعد أسمع من شدة دوي المدافع-.

في اليوم الثالث للمعركة استطاعت القوات الفرنسية أن تتقدم نحونا ونصبت أسلحتها الثقيلة في اتجاه المجاهدين، فالذي كان يطلق رصاصة تأتيه في المقابل ألف رصاصة من طرف العساكر وتملكنا الخوف من هذا الوضع.

في المساء جاءت القيادة الفرنسية من جنرالات وضباط تطلب منا تسليم أنفسنا وإلا سنصبح غدا لعبة بين أيدي أبناء تبسة. رد عليهم شيحاني باللغة الفرنسية قائلا: "بفضل إيماننا وقدرتنا لن تستطيعوا القضاء علينا وإذا استلزم الأمر فسنموت شهداء".

استمرت المعركة لليوم الثالث. بعدها اجتمعت القيادة ودعت كل رؤساء الأفواج والقادة إلى اتخاذ قرار يقضي بضرورة الانسحاب، كما اتفقوا على حتمية بقاء شيحاني في الكهف خوفا من أن يقتل إذا خرج، لأنه إذا نجح في الهروب فالثورة لن تموت.

س: وإذا ألقي القبض على شيحاني ؟

ج: كانت مجرد فكرة. وفعلا حاولت القوات الفرنسية القضاء عليه لكنها لم تنجح. بقي شيحاني في الكهف مع ستة أو سبعة مجاهدين. في اليوم الأول أو الثاني من مكوثهم في الكهف ذهب مجاهد يسمى لصنامي لإحضار الماء من الوادي ولسوء الحظ ألقت عليه القوات الفرنسية القبض وبعد الاستنطاق الذي تعرض له اعترف لهم بأن القائد

شيحاني ومجموعة من المجاهدين مازالوا في الكهف. عندها اتجه العساكر مع المجاهد إلى الكهف قصد إقناعهم بتسليم أنفسهم. وعندما لم يصلوا إلى مبتغاهم قاموا بقنبلة الكهف معتقدين أنهم قضوا على المجاهدين ومعهم قائدهم. لكن بفضل الله سبحانه وتعالى لم يصب أحد منهم بأذى. وبدأوا بعدها يبحثون لعلهم يجدون مخرجا للنجاة - هذا حسب شهادة الذين كانوا في عين المكان- إلى أن شاهدوا بصيصا من النور يلوح لهم من بين الصخور فانتظروا بعدها حتى خيم الليل ليتسنى لهم الخروج. نجحت العملية واستطاعوا الالتحاق بالمجاهدين بجبل "الجديدة". انتهت هنا عملية شيحاني.

أرجع قليلا إلى الخلف للحديث عن الطريقة الجهنمية التي استطعنا بها الخروج، وهذا خلال اليوم الثالث من المعركة. هناك طريقتان للخروج: من جهة الشمال التي توصلنا إلى أرقو وجهة الجنوب نصل بواسطتها إلى جبل الجديدة والعلق.

س: كيف تمت عملية الخروج من المعركة؟

ج: كان المخرج الذي يطل على الجهة الجنوبية محاصرا، فاستدعى المسؤولون الأفواج وشرحوا لهم طريقة الخروج. بعدها شكلت الفصائل ونظموا أنفسهم على صفين الأول على اليمين والثاني على اليسار. وبمجرد سماع كلمة الله أكبر من المجاهد سيدي حني انطلق المجاهدون وأصبحوا وجها لوجه مع العساكر وكأنهم في ملعب لكرة القدم لقرب المسافة بينهم. استعمل خلال هذا الهجوم السلاح الأبيض

وما شابه ذلك إضافة إلى السلاح الناري. وكانت النتيجة أننا قتلنا الكثير من العساكر وغنمنا الأسلحة. أنا شخصيا وأقولها لأول مرة لتبقى للتاريخ حصلت على بندقية ذات خمس طلقات (خماسي ماس 36) فرنسية الصنع وبها أربع خراطيش. وقتلت بها العسكري وقلت في نفسي: "هذا ابن الجزائرية وليس ابن الفرنسية".

وكان على مسافة كل 2 كلم طوق من العساكر لمحاصرة جنود جيش التحرير.

قتلنا ما استطعنا من العساكر واستشهد منا البعض. ثم وصلنا إلى الطوق الثاني حيث وجدنا مجموعة من العساكر قادمة محملة بالذخائر على البغال ومتجهة إلى الجهة التي دارت فيها المعركة لتقديم الإمدادات. اشتبكنا معهم وكانت الخسائر من الطرفين إلى أن استطعنا الخروج، وهكذا ينتهي سير معركة الجرف.

الاسم: إبراهيم

اللقب: بوغرارة

تاريخ ومكان الازدياد: 04- 10- 1933

بالشريعة، ولاية تبسة.

س: هل يمكنك أن تحدثنا عن معركة الجرف؟

ج: كنت في ذلك الوقت صغير السن حين جاءنا فرحي ساعي ومعه 22 مجاهدا إلى البيت فتعشوا عندنا في تلك الليلة. وقال فرحي ساعي لابن عمي عمار بوغرارة حضر لنا ثلاثة جنود. وطلب مني إن كنت أود أن أتجند معهم فأجبته بنعم، كما تجند معي سعيداني الربعي ثم طلبوا منا المجيء يوم السبت.

س: حدثنا مباشرة عن المعركة وكم كان عدد الجيش بالتقريب في قلعة الجرف؟

ج: لا أستطيع أن أذكر لك العدد.

بقينا في الجرف حوالي أربعة أيام قبل بداية المعركة. وخلال هذه الفترة كانت الطائرات البيضاء تحلق فوقنا وهي تأخذ صورا للمكان إلى جانب الطائرات الصفراء الكاشفة التي كانت تبحث عن مكان المجاهدين.

دام الوضع كذلك إلى أن جاء اليوم الذي تعرضنا فيه للقصف بالطائرات الصفراء. وبالتالي كان الرّد من قبل المجاهدين فانكشف

موقعهم. وهنا تراجعت الطائرات وحلت محلها المدفعية التي حولت المكان إلى ليل دامس الظلمة حتى أنك لا تستطيع أن ترى من بجانبك. بعدها توقفت المدفعية وجاء دور الطائرات وهكذا دواليك إلى غاية اليوم الثالث.

ضُرب حصار شامل على جبل الجرف فقامت القيادة بتوزيع الجيش على كل الجهات، بحيث كان جزء في الجهة الغربية والآخر بالجهة الشرقية التي يوجد بها شيحاني، بابانا ساعي وكل القيادة وقد كنت ضمن هذه المجموعة وكان بحوزتنا السلاح الثقيل 24 وأسلحة ألمانية والأسلحة الثقيلة.

س: ما هو المدى الذي تصل إليه الأسلحة الثقيلة؟

ج: يمكن أن تصل المسافة إلى غاية 2 كلم. المهم تواصل تبادل إطلاق النار بيننا. وأصابنا العطش ونحن متمركزون في الجبل فتم إرسال أحد المجاهدين إلى الوادي لإحضار الماء. أخذ معه قربة ليملأها بالماء، وللأسف كشف العدو أمره وأطلقوا عليه النار بالسلاح الثقيل فاستشهد على الفور في الجهة الخاصة بالإدارة. فأدخلناه ووضعناه تحت الحجارة حتى لا يظهر منه أي جزء. ورغم أن والده كان مجاهدا معنا، لكنه لم يذرف ولو دمعة واحدة على ابنه.

أرسلت القيادة في الليلة الأولى دورية إلى الجهة الغربية وأخرى إلى الجهة الشرقية لعلها تجد منفذا نخرج منه، لكن كل الجهات كانت محاصرة بالعساكر. بعدها تم عقد اجتماع تقرر فيه ضرورة الخروج

هذه الليلة مهما كانت النتائج. تم توزيعنا على شكل 3 أو 4 فصائل على رأس كل واحدة منها مسؤول، وكل فصيلة تخرج من جهة معينة. عندما أصيب مسعي لسود مع جماعة من المجاهدين كان هناك مجاهد يدعى كافي عمار وهو قناص ماهر كان قد هرب من القوات الفرنسية ومعه سلاح من نوع "ماس" فاستطاع قتل عسكري برصاصة على مستوى الرأس عندما كان يرمي باتجاه المجاهدين بالقنابل اليدوية وغنم سلاحه الرشاش.

تقرر الخروج ليلا مع ساعي وبوقصة. الكل كان خائفا من الموت. وفجأة سمعنا الآذان الله أكبر فتحمسنا وخرجنا. استشهد البعض واستطعنا قتل الكثير من العساكر. وفي الطريق وجدنا قوافل من البغال محملة بالأسلحة والمؤونة واتجهنا بها ناحية الوادي، إلى أن اشتبكنا مع العدو فقتلنا البغال وخرجنا.

الاسم: محمد

اللقب: احسن

تاريخ ومكان الازدياد: 01- 07- 1934

بلدية سطح ڤنتيس دائرة العـــڤلة ولاية تبسة

تاريخ التجنيد: 1 مارس 1955 مع شريط لزهر الذي بقيت معه مدة 20 يوما ثم انتقلت للعمل مع عون عمر المدعو البوڤصي. بعد ذلك قمنا بجولة بناحية الزوي وبلكيطان إلى غاية عين الطويلة إلى أن رجعنا إلى ڤساس.

س: ومعركة الجرف كانت نتيجة ماذا؟

ج: التعبيرعن معركة الجرف صعب جدا ومهما تحدثنا عنها لا نعطيها حقها وخلاصتها. لقد كانت كل قيادة جيش التحرير لهذه الجهة بالجرف. وفرنسا كانت على علم بكل شيء وبأن القيادة متواجدة هناك.

س: كيف عرفت فرنسا كل هذه الأمور؟

ج: كان اجتماع "رأس الطرفة" بمثابة مؤتمر وهذا قبل المعركة وحضره المواطنون والقياد.

س: ألا يعتبر هذا خطأ، لأن الخونة سيبلغون القوات الفرنسية بكل شيء؟

ج: فعلا حضر هذا الاجتماع بعض الخونة واستمعوا إلى خطاب شيحاني. وعلى الرغم من أنهم كانوا معروفين فلم يتعرض لهم أحد.

بدأت فرنسا بعدها في تقصي الأمور بمساعدة القياد والخونة إلى أن عرفت بأن القيادة متواجدة بالجرف. فقامت بكل التحضيرات اللازمة. ومن جهتها قامت قيادة جيش التحرير الوطني بالاستعداد وتهيأت لما سيكون.

س: متى بدأت معركة الجرف؟

ج: كانت البداية صباحا ثم عمّت وانتشرت في المساء.

س: من الذي بدأ أولا الجيش أم العساكر؟

ج: إذا كان تمركز الجيش بعيدا وشاهد اقتراب العساكر فبالضرورة يدافع عن نفسه.

س: ما هو عدد الجيش بالتقريب؟

ج: مستحيل أن أعرف عدده لماذا؟ لأنه في ذلك الوقت كانت هناك مرونة كبيرة في عدد أفراد الأفواج أو الكتائب وغيرها. فمثلا تجد عند مسؤول ما 20 مجاهدا وفي الغد ينضم إليه بعد التجنيد 10 مجاهدين وبالتالي يصبح العدد 30 مجاهدا وهكذا فالمعني بالأمر فقط الذي يكون على علم بعدد المجاهدين.

دامت المعركة ثلاثة أيام وعندما أُعطي الأمر بالخروج استعملت كل الأسلحة منها السلاح الأبيض السلاح الناري وحتى الاشتباك بالأيدي، وجراء ذلك تحولت مياه وادي الجرف إلى دماء.

س: وكيف كان خروجك وهل أصبت خلال ذلك ؟

ج: بعد تمكني من الخروج وجدنا جماعة تحمل جهاز إرسال على بغلين. وقد خبئ جهاز الإرسال هذا لدى شخص ما يزال على قيد الحياة وهو بوزيان علي من ناحية الشريعة ثم اتجهنا إلى مكان يسمى البهانة. وفي الغد واصلنا السير إلى العلف وكان عددنا أربعة جنود منهم ريماني صالح الموجود حاليا بباتنة وأيمن الجموعي. ومن هناك كانت وجهتنا إلى الجديدة ثم "عالي الناس" التابعة حاليا لولاية خنشلة.

س: وهل التحقت بكم جماعة أخرى أم بقيتم لوحدكم؟

ج: في كل محطة نتجه إليها كنا نلتقي ببعض المجاهدين. وفي عالي الناس اجتمعت كل الإدارة هناك شيحاني بشير، شامي محمد، سيدي حني. كل هذا كان بعد حوالي أسبوع من المعركة، أي بعد خروج شيحاني ومن بقي معه في الكهف.

الاسم: الحبيب المدعو قرفوف

اللقب: عباد

تاريخ ومكان الازدياد: 01- 07- 1930

بتبسة

س: حدثنا عن كيفية التحاقك بالثورة؟

ج: بدأت تصلنا أخبار بأن الثورة انطلقت، وفي جانفي 1955 التقيت مع جاب الله سليمان استشهد رحمه الله وملكية جديدي توفي منذ سنوات قليلة ولطفي جاب الله مازال على قيد الحياة. ذهبنا للبحث عن السلاح حيث وصلنا إلى غاية سدراتة وبعد عودتنا اتجهنا إلى ناحية الزوي حيث التقينا مع موسى رداح و بوعون لعروسي المدعو حشحوش وصالح الثابتي اجتمعنا كلنا واتجهنا إلى تازربونت حيث التقينا مع ساعي فرحي رحمه الله وحمة بن عثمان، بشير وابنه أحمد الذي استشهد بالقعقاع، وبوعون بوقطف والذين استشهدوا بالقعقاع، الشايب الصادق وعبد الله كحلة الذي كان يعمل في البريد. ووجدنا هناك شيحاني بشير وسيدي حني.

كلفني بشير سيدي حني بإيصال رسالة إلى الشيخ أحمد شرفي في بن فالي بالحدود التونسية. ذهبت مع بومعراف ،الطيب لندوشين رحمه

الله، عمارة بن حامي وأبناء الصيد وهم عمر، عثمان، الطاهر والوردي إبن الطيب الذي استشهد في الرديف. سلمنا الرسالة وعند عودتنا توقفنا في العنبة وطلبت من الجماعة أن يذهبوا إلى أكواخ تازربونت ليحضروا لنا الكسرة وفعلا كان ذلك وجاء معهم شخص أخبرنا بأن هناك مجاهدون يريدون ملاقاتكم.

ذهبنا معهم إلى منزل الحاج محمد وفي ذلك اليوم تجند ابنه عثمان سعدي معنا في ربيع 1955. بعد عودتنا التقينا مجددا في تازربونت وهناك طلبوا منا الذهاب إلى الحدود التونسية لجلب الأسلحة وكان معنا الأخ عبد المجيد بلغيث.

قبل تنفيذ المهمة هجمنا على مركز الدرناية في جبل بوجلال وتحصلنا على الأسلحة وكان ذلك بقيادة علي عفيف والزين عباد. بعدها توجهنا إلى الـقصرين وبالتحديد جبل السمامة.

وفي المساء قررنا نصب كمين للحراس خلال عودتهم. قمنا بوضع برنوس في وسط الطريق لتعطيلهم اختبأنا خلف أشجار التين الشوكي أي عبد المجيد بلغيث، عثمان عكروت، المتحدث، لخضر جلال وجماعة أخرى. لما وصلوا إلى البرنوس توقفوا ثم نزلوا ليستطلعوا الأمر فالقينا عليهم القبض مع رئيسهم الفرنسي الذي حاول استعمال مسدسه لكن عبد المجيد بلغيث قتله وأحرقنا الشاحنة العسكرية. وأطلقنا سراح الحراس الجزائريين. كان المجاهدون يتمتعون بروح إنسانية عالية. وفي

الغد اتجهنا إلى جبل سيدي ظاهر وكان ذلك اليوم عيد الأضحى المبارك. وفي ذلك اليوم أيضا وقعت معركة أم الكماكم.

س: هل شاركت في المعركة؟

ج: لم أشارك فيها.

وكانت معركة أم الكماكم أول مواجهة مع فرنسا تليها معركة الجرف. كانت مواجهة وجها لوجه أو الند للند.

ثم توجهنا إلى الجبل الأبيض أين التقينا في مسحالة مع جماعة من بينها بشير شيحاني، حمة حسان وأخاه الصغير الذي استشهد في ما بعد، وقد ذهب أحسن محمد المدعو حمة مع جماعة وأحضروا لنا أغناما كانت ملكا لأحد الحركى. بقينا مدة خمسة أيام في ذلك الوادي.

أعطى شيحاني الأمر بالسير ليلا وكان الجو حارا حيث كنا في شهر جويلية، وكان معنا أخي الزين وكان معروفا ومحبوبا من لدن شيحاني الذي سأله من هو دليلنا في الطريق وكان رد الزين رحمه الله دليلنا هو حمة بن حيزية (أحسن محمد) لأنه كان يعرف الجبل جيدا. وكان ضمن المجموعة محمد بن عجرود.

اتجهنا إلى الجديدة حيث عقد شيحاني اجتماعا قال فيه لا بد من توجيه إعلان للشعب لدحض إدعاءات فرنسا بأننا فلاقة وقطاع طرق ولشرح أهداف الثورة.

بعد ذلك افترقنا، فأخذت فوجا واتجهت ناحية الزوي، الضلعة ومسكيانة لاستدعاء المواطنين لحضور الاجتماع الذي لم نحدد مكانه

ولا تاريخه بدقة وإنما نقول للمواطنين في الوقت الملائم اتجهوا للمكان الفلاني، ثم كلفنا دوريات مهمتها توجيه المواطنين إلى مكان الاجتماع.

يوم الاجتماع حضر المواطنون بقوة وقد حملوا معهم خيرات كثيرة من الطعام والمؤونة والقهوة وحتى علف الحيوانات من قمح وشعير ولكثرتها أقمنا مخازن لها في الجرف.

خلال الاجتماع ألقى شيحاني خطابا من ضمن ما جاء فيه قوله: اشهدي علينا يا جبال ويا كهوف والتي كانت تردد الصدى واشهد يا شعب أننا مجاهدون في سبيل الله وفي سبيل الاستقلال وليست لنا أهداف أخرى."

في صباح الغد استيقظنا باكرا وقد سار المسؤولون في المقدمة ونحن وراءهم، وكان المواطنون قد عادوا من حيث أتوا في نفس الليلة.

ثم نزلنا باتجاه الجرف. ومن لا يعرف الجرف يبدو له أنه جبل كبير. لكنه في الحقيقة هو جبل في وسط وادي طوله لا يتعدى 2 كلم مكان وقوع المعركة. لكنه مكان محصن لأن به كهوف وصخور ومن اعتصم به لا يخشى التعرض لقصف الطائرات أو المدفعية وبالمقابل كنا نستطيع ضرب العدو بكل سهولة، هذا هو أساس معركة الجرف.

بقينا بالجرف يومين أو ثلاثة إلى أن جاءت الطائرات الكاشفة تحوم فوقنا. طلبنا من شيحاني رحمه الله أن نضربها لكنه رفض. بعد ثلاثة أيام جاءتنا دوريات من المجاهدين كانت في الجبل الأبيض، تازربونت

وعالي الناس تخبر الجماعة بأن العسكر قادم من الصحراء على البغال، الإبل وعلى الدبابات.

س: عندما أتت الدوريات إلى جبل الجرف هل كانت على علم بأن شيحاني والقيادة موجودة هناك؟

ج: نعم كانت على علم بأن القيادة هناك.بعد المناوشات التي وقعت في كامل المنطقة مثل تحطيم مركز الدرناية الذي تكلمت عنه، معركة أم الكماكم، نصب الكمين الذي تحدث عنه احسن محمد، الكمين الذي قامت به الجماعة في تافاسور (ششار) وغيرها من الهجومات على المراكز. بعد كل هذه الأعمال كانت فرنسا تحاول معرفة مكان تواجد هؤلاء المجاهدين وبفضل نشاط مخابراتها المدنية وكثير من الوشاة خمنت بأن المكان هو وادي هلال الذي يبدأ من الشريعة أي أن منبعه في تازنبت ويجتاز الجبل الأبيض إلى غاية جارش لكنه في كل مرة يأخذ اسم المنطقة التي يمر بها وهكذا يسمى: الحوض، أم خالد، المزرعة، شـقاقة اليهودي، أرقو، رأس الطرفة، حليف الذيب، الجرف، مسحالة ووادي هلال. ولهذا فإن فرنسا علمت بأن قيادة أوراس- النمامشة موجودة بالجبل الأبيض، فكان عليها أن تجهز القوات اللازمة للقضاء عليهم تنفيذا لسياسة الحاكم العام سوستال. أعدت فرنسا قوتها من المشاة وأحضرت من الصحراء جماعة المهاري والبغال وفيالق الطابور المغربي المجندين في الجيش الفرنسي، وفيالق من تونس وبدأت الزحف من الحدود التونسية أي عبر كامل منطقة الشرق الجزائري.

عندما جاءت الدوريات أخبرت الجيش بأن عدد العساكر القادم كثير جدا. فقال شيحاني رحمه الله يجب أن نخرج.

عندما تقرر الخروج كلّف شيحاني أخي الزين بالخروج أولا، وكنت أنا مع عبد المجيد بلغيث. هبت الرياح في تلك الليلة ولما دخلنا في مكان ناحية "الركيز" رأيت ضوءا أزرقا يلوح من بعيد، ملت جهة أحد المجاهدين كان يصفر وكان الوقت ليلا والظلام مطبق فناديت الوردي جادري رحمه الله وعلي بلهادي وطلبت منهما تقصي الأمر. ابتعدوا عنا بحوالي 100متر حتى سمعت شخصا يقول توقف باللغة الفرنسية Halte تبعه صوت الستاتي الذي يملكه المجاهدون فنحن نعرف صوت سلاحنا.

إثرها أطلق العدو الأضواء الكاشفة فشاهدنا مكان تمركزهم وقد تجمعت البغال والدخيرة فأطلقت عليهم زخة من سلاح "الثموني" وكذلك أخي الزين وباقي المجاهدين، وقد أسرّ لي الزين رحمه الله بأن سلاحه قد تعطل فقلت له تراجع إلى الخلف.

تبادلنا معهم إطلاق النار وعندها شاهدنا بأن عساكر العدو كانوا منتشرين عبر كامل الجبل الأبيض ولم يخلف هذا الاشتباك أي ضحايا أو جرحى في صفوفنا، وتمكنا من الخروج. وعندما سمعت الجماعة تبادل إطلاق النار، قال شيحاني لا بد من الرجوع إلى الجرف لأن هذا الجبل عار وقد انتشر به جيش العدو بكثافة، فعادوا إلى الجرف، بينما أكملنا نحن السير باتجاه مسحالة حيث يوجد مركز محمد بن المياي

رحمه الله وكان العساكر قد عاثوا بكل المؤونة التي وجدوها به. وعندما نزلنا إلى الوادي وجدنا أكثر من 50 خروفا يرتعون هناك وكان الوقت ليلا، فصعدنا إلى مكان مرتفع.

في صباح اليوم التالي استيقظت مبكرا فشاهدت بالمنظار كل مرتفعات الجبل الأبيض مغطاة بعساكر العدو وكأنهم جراد انتشر فيه. وقبل الوصول إلى هناك كانوا كلما مروا على شعبة من الشعاب أطلقوا النار عشوائيا سواء كان فيها سكان أم لا. وعندما كنا متمركزين في مرتفع البياض اقترب منا عساكر العدو وهم يزحفون فأردت ضربهم لكن الزين رحمه الله رفض ذلك لأنه لو فعلت فسيلقون علينا القنابل من المدفعية والطائرات فنردم. لكن في الفترة المسائية تبادلنا إطلاق النار، كما بدأوا في ضرب موقع الجرف.

في الغد انتقلنا إلى مكان يدعى الدحي، وهناك اشتبكنا مجددا مع العدو. وفي الليلة الموالية التقينا في "الجديدة" مع الجماعة التي تمكنت من الخروج من الجرف، حيث وجدنا عمر البوقصي الذي ذهب لفك الحصار عن لحسن مرير وبالتالي لم يشارك في معركة الجرف. وخلال وجودنا في الجديدة حاصرتنا قوات العدو، لكننا خرجنا في ليلة مقمرة على مرأى من العدو متجهين إلى الخناق لكحل حيث تمركزنا في مرتفع عال، فسمعنا أصواتا ودوي محركات فأرسلت الطاهر حاجي وعبد الرزاق مسنادي رحمهما الله لاستطلاع الأمر، فلما صارا على حافة المرتفع وإذا بدورية العدو تقابلهم فأمرتهما بالرجوع.

بعد عودتنا إلى الفج غرب الجديدة وجدنا هناك عباس لغرور، عجول عجول، التيجاني عثماني وكل الجماعة، فطلبوا أخي الزين ليخبروه بأن شيحاني قد بقي في الكهف وكان شيحاني قد أوصاهم ألا يخبروا أحدا بذلك إلا الزين ليذهب إليه.

من هناك عدنا إلى منطقة "السطح" غرب الجرف، وعندما التقينا بالأهالي سألناهم فأخبرونا أن العساكر شرعوا في بناء ثكنة بالجرف مباشرة فوق الكهف الذي أختبأ فيه شيحاني. بقينا في المنطقة وفي اليوم السابع أو الثامن جاءنا يونس لعبيدي وهو مناضل بأتم معنى الكلمة قائلا بأن مجموعة تتكون من سبعة أشخاص قد قصدت بيته وهو حائر في أمرهم ولا يدري إن كانوا من عساكر العدو أو مجاهدين فأرسلنا دورية من 5 أفراد من بينهم: العربي شايب راسو، الطاهر حاجي وعبد الرزاق مسنادي وقد كان عبد المجيد بلغيث في الحراسة.

لما عادت الجماعة أحضرت معها كلا من: بشير شيحاني، محمد شامي، الشايب علي المعافي، محمد الصغير الذي قتله في ما بعد كربادو قبل أن يسلم نفسه للعدو، عبد الحميد زروال الذي قتله الطالب العربي في تونس، عبد العزيز سديرة لا يزال على قيد الحياة وبوساحة عون الله، وقد وجدناهم في حالة يرثى لها.

الاسم: عبد المجيد

اللقب: بلغيث

تاريخ ومكان الازدياد: 05 ماي 1930 بالشريعة ولاية تبسة.

كنت أعيش حياة بدوية. كنا ثلاثة إخوة، وقد أصبحنا يتامى بعد وفاة والدي ووالدتي في سنة 1945، فعشنا مع أعمامنا.

س: حدثنا عن معركة الجرف؟

ج: بعد معركة أم الكماكم عاد فوجنا إلى الجبل الأبيض، وقد التقينا مع شيحاني في مسحالة مع مجموعة من أفواج المجاهدين.

وبهذه المناسبة قدم قائد الفوج الزين عباد غنائم كمين جبل سمامة والمتمثلة في مسدس ومحفظتين إلى القائد شيحاني بشير. وقد صلى بنا شيحاني رحمه الله صلاة الجمعة هناك، كما صلى بنا قبلها بالخناق لكحل. وكان شيحاني خطيبا مفوها يشبه صوته إلى حد الالتباس صوت المرحوم عيسى مسعودي وكان ذلك يؤثر في المجاهدين إلى درجة البكاء. وقد أخبر شيحاني بعد ذلك الزين عباد أنه سلم إحدى المحفظتين إلى عمر بن بولعيد شقيق سي مصطفى.

بعد ذلك توجه شيحاني بالكلام إلى سيدي حني الذي كان مكلفا بالتنظيم فسأله أين البغال المحملة بالذخيرة والأسلحة فأجابه بأنهم في الطريق وقد يكونوا بالقرب منا، وهنا رد عليه شيحاني بنبرة صارمة اسمع جيدا، سيدي حني، نحن في ثورة وعليك أن تلغي من قاموسك مصطلحات قيل، ربما، لعل فخيم صمت ثقيل على الجميع.

انقسم المجاهدون إلى مجموعتين ثم سرنا باتجاه القلعة. وهناك ودعنا شيحاني الذي خرج مع دورية وعاد بعد مدة قصيرة إلى الجرف، حيث اتصال قادة الفصائل والأفواج، وكنت دائما مع شيحاني رفقة مجاهدين آخرين أذكر منهم عثمان عكروت ابن أخت الزين والحبيب عباد وجلاب لخضر بن العيساوي وهو ابن عم حمة حسان.

وقد أراد شيحاني أن يعقد مؤتمرا يشرح من خلاله للمواطنين أهداف الثورة لأنه كان دائم التنقل في مناطق تبسة. و قد خبر الثورة وتعرف على الجيش.

والجرف عبارة عن وادي سحيق توجد فيه الأشجار قصده المواطنون المدعوون ليلا وهم يحملون المؤونة على البغال ثم يخزنونها في مغارات (دواميس) ثم يتفرقون.

وكان الزين عباد محل ثقة كبيرة من قبل شيحاني الذي أرسل في طلبه فحضر رفقة لخضر جلاب وعثمان عكروت. وأنا كنت ضمن المجموعة المكلفة بالحراسة في الجرف حيث أقمنا نقاط الحراسة في المرتفعات.

وكان شيحاني قد كلف الزين بتبليغ خبر الاجتماع للشعب والمسؤولين ثم يقدم الحصيلة للقائد من أجل عقد اتصال (لقاء) خارج منطقة الجرف يحضره المواطنون والمناضلون ويلقي خلاله شيحاني خطابا وهذا ما وقع بالفعل.

وقد أرسل شيحاني دوريات إلى كل الجهات، وكل دورية مكلفة بالاتصال بالمسؤول عن جهة معينة، وهم مسؤولون معروفون بمشاركتهم في الثورة منهم محمد بالرجب بناحية تروبية وسعدي موسى من تبسة وآخرون بناحية الشريعة وإخبار هؤلاء بأن اللقاء يتم عند المسؤول الفلاني في المنطقة كذا، ومن هناك يتقدمون مرحلة أخرى.

وقد تجندنا طيلة ثلاثة أيام للقيام بهذه المهمة إلى أن وصلنا إلى منطقة رأس الطرفة التي تبعد حوالي 6 أو 7 كلم عن الجرف وتقع تحديدا بين الجرف وأرقو.

ذهبت دورية تحمل رسالة إلى القائد أن الكل متواجد بالمكان المحدد وأن المواطنين حضروا. فتنقلت القيادة بعد الظهيرة إلى مكان اللقاء مع حلول الغرب. وكان برفقة شيحاني، عجول عجول، عباس لغرور وقادة آخرون. وكان الجيش ضخما انتشر في الجبال وأقام الحراسة. أحاط الجنود بالمواطنين في حلقة دائرية، وألقى شيحاني خلال هذا التجمع خطابا هاما.

س: هل شاركت النساء في لقاء رأس الطرفة؟

ج: لا، حضره الرجال فقط. وسبب وقوع معركة الجرف هو أن هناك موظفون جزائريون يعملون في الإدارة الفرنسية ومؤيدون لسياستها كما كان الحال عندنا في الشريعة مثلا، وهؤلاء يعرفون المسؤولين المحليين الناشطين في صفوف الثورة ويلتقون بهم ويجالسونهم، وعند إخبار مسؤولي الثورة لحضور الاتصال أو الإجتماع اضطر هؤلاء لاصطحاب أولئك الموظفين خشية أن يشي بهم بعضهم مستغلين غيابهم لحضور الاجتماع. وبعد العودة من لقاء رأس الطرفة وقعت الوشاية بالقيادة، ولذلك تم التحضير والاستعداد للمعركة.

ولما شرعت القيادة في النزول من مكان الاجتماع تبعناها نحن. وفي هذا الوقت بالذات كانت الوشاية قد تمت بالنسبة لجيش الزين عباد في جبل بوكماش ناحية الشريعة إلى مصالح ضباط الشؤون الأهلية الذين تم إخبارهم بمرور الجيش من هناك.

في عشية اليوم الذي سبق بدء معركة الجرف أقبلت حشود العدو، وعندما خرج محمد بن عجرود وهو مجاهد بطل بجيشه إلى منطقة أم خالد اشتبك مع العدو فاستشهد هو وجنوده. وقد نقلت دورية قادمة وقائع اشتباكه واستشهاده. وفي منطقة "العويجة" الواقعة غرب خنشلة والعقلة اشتبك عمار المعافي مع العدو، وإلى الشرق من مكان تواجدنا أي أم الكماكم اشتبك لزهر شريط مع جيش جرار كان آتيا من بئر العاتر. بعد تلقي الزين عباد كل هذه الأخبار عن المعارك الدائرة والتي

نقلتها الدورية طلب هذا الأخير من سيدي حني السماح له بلقاء شيحاني. وعندما بلّغ سيدي حني رسالة الزين إلى القائد أمر بدخوله.

خلال اللقاء أخبر الزين شيحاني بأن الدوريات القادمة أعلمت بقدوم جيوش العدو من كل الجهات لمداهمة المكان فطلب منه شيحاني تنظيم الطريق في انتظار الاجتماع بكل قادة الوحدات المتواجدة هنا للخروج كما طلب منه أن يكون هو الدليل للخروج باتجاه الجبل الأبيض جنوبا لأن الجبال واسعة.

س: من هم القادة الذين كانوا في الجرف مع شيحاني عدا عجول ولغرور؟

ج: أذكر من القادة: محمد بن السدراتي رحمه الله الذي فصلوا رأسه بعد أن ألقوا عليه القبض وطافوا به في الشوارع، ساعي، الوردي قتال، لزهر دعاس الذي استشهد في الجرف، الزين عباد، الباهي شوشان، لبيض بوقفصة وهؤلاء كانوا قادة فصائل ووحدات.

س: حدثنا عن موقعك أثناء المعركة، سير المعركة وكيف تمكنت من الخروج من الجرف؟

ج: أنا والحبيب كنا ضمن الجيش الذي يقوده الزين عباد وكان القائد بشير شيحاني طلب من الزين تنظيم أمور الطريق لخروج الجيش، ولذلك كنا أول من خرج وأول من اشتبك مع جيش العدو في الجبال ثم تبعنا شيحاني مع الجيش، ولما وصلوا إلى مكان المسمى حليف الذيب ويبعد بحوالي 2 كلم عن الجرف علم باشتباكنا مع العساكر. فأعطى

الأوامر إلى سيدي حني لرجوع الجيش إلى مكانه لأن الجبال مليئة بالعساكر وليس هناك مكان حصين أكثر من الجرف. وبينما تمكنوا من الرجوع بقينا نحن خارج الجرف.

دامت المعركة ثلاثة أيام ثم تمكن جيش التحرير من الخروج لكن شيحاني بقي في الجرف ستة أيام أخرى ومعه مجموعة صغيرة، ولم يخرجوا إلا في اليوم التاسع من تاريخ بدء المعركة.

الجيش الذي خرجت معه توجه نحو الجديدة، لكن لما أخبرنا القادة بذلك (بقاء شيحاني) رجعنا لإرسال دورية استطلاع لمعرفة هل غادر العساكر المكان، ومن ثم إرسال دورية إلى مقر الإدارة بالجرف أين بقي شيحاني والمجموعة التي معه للوقوف على أمرهم وهل مازالوا على قيد الحياة أم لا، وهل تمكنوا من الخروج؟ وأثناء ذلك كان شيحاني ومن معه قد خرجوا وهذا في حد ذاته يعتبر معجزة. فقد كنا في الجديدة مقيمين في بعض الكهوف ولما هممنا بالرجوع وكان الوقت مغربا انتشرت غيوم كثيفة فأظلم الجو وتوقف الجيش عن السير مدة 15 أو 20 دقيقة. وفي هذه الأثناء تحديدا تمكن شيحاني من الخروج لأن الشايب علي المعافي كان يسير في الكهف الموجود تحت الأرض والذي يضيق أو يتسع حسب الأماكن لتتبع نسائم الهواء المتسرب إلى الداخل إلى أن وجد ضوءا منبعثا بين صخرتين فأطل من الفتحة باتجاه الخارج ثم رجع إلى شيحاني قائلا: يا الشيخ بمشيئة الله سنتمكن من الخروج من تحت الأرض فتقدم شيحاني بدوره لمعاينة المكان.

وقد حدثنا شيحاني بعد ذلك قائلا: " لما رأيت الفرج قرأت سورة الفاتحة وطلبت من الله أن أجد الجيش أو البعض منه وقد انتصر في هذه المعركة".

مع حلول المغرب دق الجرس إيذانا بموعد تناول العشاء بالنسبة لعساكر العدو. وقد استغل شيحاني ومجموعته هذه الفرصة السانحة للخروج من الكهف واتجهوا إلى أحد المنابع بالقرب من المقبرة.

الحديث عن الجرف ليس كرؤيته ومن يشاهد تضاريسه وقلاعه يدرك معنى المعجزات.

في الصباح كان جيشنا أول من مر على شعبة العلف وكذلك عمر البوقصي أما عباس لغرور والجيش الذي كان معه فقد ظلوا في شعاب العرعار. وقد جئنا باكرا من أجل إرسال دورية لاستطلاع الأمر في الغد. عندما خرج شيحاني ومن معه وكانوا يسيرون ببطء ويتوقفون أحيانا جراء الإرهاق والجوع، ثم استندوا إلى صخرة كبيرة لأخذ قسط من الراحة، ولما لاح الفجر ذهب أحد رفاق شيحاني لمناداة صاحب المنزل ليذهب معه إلى القائد، وقد ساله هذا الأخير إن كان يوجد هناك جيش فأجابه بنعم، ثم سأله مرة ثانية عمن يقود الجيش فأخبره صاحب المنزل بأنه عندما سلمهم التموين بالأمس شاهد الزين عباد ومعه الجنود فكلفه شيحاني أن يذهب إلى الزين ويقول له: هناك من يطلبك. ولهذا لما كنت في الحراسة وشاهدت الرجل قادما نحونا أخبرت الجماعة وقد أعطى بلعيساوي كل المعلومات والأوصاف للزين الذي

عرف بأنه يقصد شيحاني فأرسل مع بلعيساوي كلا من الطاهر حاجي وعبد الرزاق مسنادي وشخص يدعى الوردي وأخذوا معهم بغلا ثم عاد هؤلاء ومعهم شيحاني وجماعته. نزلت مع فريق الحراسة من المرتفع وجلسنا على حافة الوادي الذي انسابت مياهه وأمامنا شيحاني وكان أسود العينين طويل الأهداب، نظيف الهندام فرفع يديه وهو يقول: "الحمد لله يا رب على نجاح الثورة، نجاح الجيش يعني نجاح الثورة".

الاسم: نصّر

اللقب: بوعبيدة

تاريخ ومكان الازدياد: في 29 مارس 1933 ببلدية المزرعة دائرة العقلة ولاية تبسة.

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على أشرف المرسلين والحمد لله رب العالمين.

أتحدث عن معركة الجرف في حد ذاتها، لأن الإخوان سبق وأن ذكروا كل ما حدث وقد أحاطوا بالموضوع شرقا أو غربا، شمالا أو جنوبا. سأتكلم عن الأحداث التي أعرفها ولا أريد ذكر التفاصيل.

س: متى التحقت بالثورة؟

ج: جندتُ في 15 جوان 1955 مباشرة في الإدارة، تحت قيادة سيدي حني (بشير بولحية) ولكن لم أخرج مع الأفواج وبقيتُ في القيادة إلى غاية انعقاد مؤتمر رأس الطرفة والذي حضره تقريبا كل قادة الجهة بصفة عامة ما عدا أفواج الحراسة الذين عينوا على كل الجهات فإن أغلبية الجيش كان موجودا هناك.

وحسب رأيي فإن هذا المؤتمر هو انفجار وإعلان مباشر للعدو بأن هناك ثورة، وليس مجرد مجاهدين إثنين أو ثلاثة يتنقلون في الجبال يلقبهم البعض بقطاع الطرق، الحفاة، الجياع...إلخ. ولكن الإعلان بصفة خاصة في هذا المؤتمر أنه انفجار وإعلان للاستعمار باندلاع ثورة ووجود جيش. وقد شاركت في هذا الاجتماع كل فئات الشعب وفتحت لهم الأبواب ليعرفوا مضمون المؤتمر حتى يتحركوا، يدعموا ويساعدوا ويضعوا يدهم في يد الثورة.

كانت المساعدات موجودة من قبل من طرف المواطنين لكن كانت كبداية، وكما ذكرت الجماعة سابقا فإن كل القادة حضروا المؤتمر بدون استثناء منهم الزين عباد رحمه الله، الحاج لحبيب، الوردي قتال، الساعي وعمر البوفصي، ربما لم يحضر قائد واحد فقط.

بعد الاجتماع فكرت الثورة التي تعني في مفهومها الإدارة والمجاهدين في القيام مباشرة بفعل شيء ما، عمل ما لأنها أعلنت عن وجودها.

انتهى الاجتماع وعاد المناضلون والمواطنون من حيث أتوا، فباشرت الإدارة (القيادة) ممارسة مسؤوليتها في القيام بالتكتيك العسكري: تقسيم الجيش (المجاهدين) إلى أفواج تعيين النواحي والتي تدخل كلها ضمن اختصاص القيادة.

فقام المسؤولون بتوزيع الجيش (الذي لم تكن أغلبيته على علم بما يجري) تبعا لتكتيك معين. فقد يكون حصار الإدارة خفيفا وبالتالي يتمكن الجيش من تطويقه وفكه لكن قوات الاستعمار كانت كبيرة.

بعد الاجتماع ذهبنا إلى الجرف، وتم التوزيع، التقسيم وتمركز القادة منهم من بقي هناك ومنهم من خرج إلى منطقة أخرى. أتذكر أن سيدي حني كلف محمد بن عجرود بالذهاب إلى منطقة أم خالد لوقف عملية توافد السكان إليهم. كانت هذه نية القيادة والمجاهدين، لأن المعركة كانت حتمية لا مفر منها ولذا يجب تفادي هلاك السكان وضرورة بقائهم بعيدا في شبه مركز من أجل التموين والأخبار أي عبارة عن نقطة اتصال بين الجيش والسكان. وقد حدث سوء تفاهم بين سيدي حني وبن عجرود الذي رفض الذهاب، لكنه في الأخير نفذ الأمر وهو غاضب. عندما تم الإعلام بقدوم عساكر العدو الذين لم يأتوا من مكان واحد وإنما أحاطوا بكل الجهات وعلى مسافات بعيدة وبقوات كبيرة، فتوجه بن عجرود ومن معه إلى مرتفع فرطوطة في أم خالد. وأثناء التوجه إلى فرطوطة كان جيش العدو القريب من المكان يتفرج على المشهد.

س: ألم يفتحوا عليهم النار ؟

ج: ليس بعد، كانت المسافة الفاصلة بينهم بعيدة نوعا ما ولا تسمح بالاشتباك. عندما صعدت مجموعة المجاهدين إلى المرتفع وكان منعزلا ولا يمكّن من نجاة أي كان. وبعد اقتراب العدو منهم بدأ تبادل إطلاق النار، لكن قوات العدو كانت كبيرة ومن كل الجهات وتدخلت حتى المروحيات التي أصبحت تتصيد المجاهدين في الأعالي، والبعض الآخر

تسلق الجبل من الجهة الوعرة بواسطة الحبال لتضييق الخناق على المجاهدين.

كنا في الجرف بعد انتهاء الاجتماع، جاءنا شخص لا أعرفه ممتطيا صهوة حصان أبيض، وأخبرنا بأن الجماعة محاصرة في جبل فرطوطة، ذهبنا في فوج تحت قيادة امحمد بعلوج.

س: هل ذهبتم لفك الحصار؟

ج: نعم، لفك الحصار، لكننا انطلقنا بعد صلاة العصر مشيا على الأقدام. لما وصلنا إلى أرقو وجدنا علي مسعي وجماعته وأخوه لسود، فسألهم امحمد بعلوج إن كانوا على علم بما وقع أجابوه بلا فأخبرهم بأن محمد بن عجرود محاصر وأنهم قادمون لنجدته، ثم واصلنا الطريق باتجاه المزرعة.

س: هل ذهب معكم فوج علي مسعي؟

ج: نعم، لكن لمسافة قصيرة فقط. لما أطلينا على العدو كان الوقت مغربا ولا يمكن بأي حال التمييز بين الدبابة، الشاحنة، الجيب أو الخيمة، فقد كان الظلام مطبقا. بعد أن أمعن التفكير قال امحمد بعلوج يا جماعة إن الجنود إما قتلوا أو خرجوا يجب أن نعود أدراجنا وعدنا باتجاه الجرف الذي وصلنا إليه في الصباح الباكر بعد أن سرنا طوال الليل. لم يطل بقاؤنا هناك أي مابين نصف ساعة وساعتين لا أتذكر، حتى جاء الجنود مسرعون وأخبرونا بأن عساكر العدو قادمون لأنهم تتبعوا أثرنا ثم بدأ إطلاق النار. تمركز العدو في جبل صغير بثليجان حيث أقاموا

تحصينات خفيفة من الحجارة نصبوا خلفها أسلحتهم الثقيلة باتجاه الجرف الذي كان يقيم به سكان مدنيون يدعون محليا "الجرافة" والذين يقطنون بالمنطقة منذ القدم بعائلاتهم ومواشيهم.

س: هل حضروا المعركة ؟

ج: نعم، هم ونساؤهم وحيواناتهم، إذ عند بدء الرمي بالمدفعية استعملت المناظير المقربة jumelles وعندما يرون النساء والرجال يعتبرون الجميع فلاقة ولا فرق بينهم. ليسوا مجاهدين إنهم فلاقة، قطاع طرق...إلخ كانوا يصفوننا بكل الصفات القبيحة.

دام القصف يوما كاملا على كهوف الجرافة المقابلة تماما للكهف الذي كانت توجد به القيادة أي شيحاني، عباس، عجول وغيرهم. هذه الوضعية لم تمكن العدو من التصويب نحو جهة المجاهدين. أتذكر أنه كان لدينا بغل أبيض اللون عندما بدأ إطلاق النار احتمى بأحد الكهوف (داموس).

وقد نادينا مرارا على السكان المدنيين (الجرافة) وطلبنا منهم اللجوء إلى الكهوف للاختفاء فيها وسوف لن يقع لهم مكروه.

استمر القصف المسلط عليهم يوما كاملا إلى أن خيم الظلام. ولكن في الليل يتوقف القتال لأن الرصاصة عندما تغادر فوهة البندقية تحرر ضوءا يمكّن من تحديد مكان الرامي.

في اليوم الثاني تدخلت جرافات الهندسة العسكرية لتسوية الطريق، ثم شرع عساكر العدو في محاولة رشقنا بالقنابل وبكل الوسائل المتاحة

لهم. أما بالنسبة لنا فإن أفضل سلاح كان لدينا هما قطعتان واحدة من نوع 24 وأخرى من نوع فامبار هذا الأخير نصبناه فوق مكان تواجد الإدارة لتدافع عن الكهف، لأن العسكر انتشر في كل الجهات كما أن الطائرات كانت قد شرعت في القنبلة. وهكذا وضعنا السلاحين الثقيلين بحيث ترمي كل قطعة منهما الجهة المقابلة لموقعها بشكل متقاطع. لكن القطعة من نوع 24 دمرت نهائيا واستشهد العاملون عليها.

س: هل كانت الذخيرة كافية لهذه المعركة ؟

ج: لقد كانت كافية في اليومين الأول والثاني من المعركة، لكن استعمالها كان بحذر. عملية توزيع الذخيرة (الخراطيش) كانت تتم ليلا، وكل جندي كان ينال حصته سواء كانت 5، 10أو 20 أو 100 ولا أحد يمكنه تحديد كمية الذخيرة بدقة لأنها كانت بحوزة المسؤولين الذين يباشرون توزيعها على مسؤولي الأفواج لتسليمها للجنود. لكن في اليوم الثاني حوصرنا نوعا ما لأن جيش العدو انتشر في كل الاتجاهات وتدخلت الطائرات المقنبلة والمدفعية. وقد أصبح من الصعب علينا التزود بالماء ليلا من النبع الموجود بالوادي.

في اليوم الثالث من المعركة تمكنت الدبابات المجنزرة من النزول إلى الوادي والوصول إلى منبع المياه. وهكذا تعذر علينا التزود بالمياه وكل من يحاول ذلك يكون مصيره الاستشهاد.

كنت جالسا مع سيدي حني وعلي اسماعل وهو شاب صغير السن تحت صخرة بينما كان الزين رحمه الله والد علي يعَد لنا الخبز

(الكسرة) عندما سأل سيدي حني قائلا من يضحي في سبيل الله ويذهب لإحضار الماء؟ قلنا يا الشيخ كيف السبيل لإحضار الماء والدبابة رابضة أمام المنبع، أجاب ابذلوا كل مجهوداتكم لأن الماء ضروري للجيش. قام الشاب علي اسماعل قائلا: سأذهب في سبيل الله لإحضار الماء، وكان كل ما يملكه من سلاح هو سكين من نوع بوسعادي (يصنع في بوسعادة) وقد علقه من غمده على خصره بواسطة الحزام، فقال له سيدي حني يا ولدي حذاري كن رجلا وإذا مت فأنت شهيد. قام علي اسماعل من أمامي وما أن هم بالخروج من الكهف حتى أصابته قنبلة كانت الطائرة قد ألقتها فسقط أمامنا نصفه داخل الكهف، فسحبناه إلى الداخل. كانت الدماء تنزف من جسده بغزارة. عندما سمع والده الخبر جاء لاستطلاع الأمر فخاطبه سيدي حني قائلا: الزين لا تقل شيئا، كلنا معرض للموت وكلنا محاصرون وقد نموت جميعا. فانحنى على ابنه ونزع منه الحزام. شد الحزام على خصره ثم رجع إلى مكانه لإعداد الكسرة (الخبز).

سجّينا الشاب علي في الكهف (الداموس) إلى أن صعدت روحه إلى بارئها على مرأى من الجميع. حدث هذا في اليوم الثاني من معركة الجرف.

في اليوم الثالث وصل العدو إلى أعلى الكهف الذي توجد فيه الإدارة (القيادة) واستعمل مدحاة ضاغطة (compresseur) لإحداث حفر في الصخور وملئها بالمتفجرات في محاولة لدك الكهف وردم من فيه. لكننا

لم نكن لنشعر بقصف الطائرات أو قذائف المدفعية لأن الصخور كانت شديدة الصلابة.

في الليلة الأخيرة من المعركة صدرت الأوامر ببقاء كل مجاهد في مكانه وعدم التحرك منه والمسؤولون يأتون لمعاينة وتقرير ما إذا كان يجب الاستمرار في المعركة أو لا بد من الخروج، تقدير ما تبقى من الذخيرة، الوقوف على عدد الشهداء ...إلخ. المهم أن الاتصالات تتم في الليل فقط.

شخصيا كنت جنديا بسيطا، ولم أكن على إطلاع بما يجري، كل ما فهمته في النهاية أنه لا بد من الاستعداد العاجل للخروج من الجرف هذه الليلة، لأن الذخيرة (الخراطيش) تكاد تنفذ عكس المؤونة، ونحن محاصرون من كل الجهات وقوات العدو تصل إلى مكان المعركة تباعا. ولهذا لم يبق أمامنا إلا خياران لا ثالث لهما: الخروج أو الاستشهاد.

لحظة الخروج كنت مع سيدي حني، عجول عجول والوردي قتال، وأتذكر أننا وجدنا أحد المجاهدين وكان مثخنا بالجراح وقد وضع على صخرة وتحيط به بعض الحجارة لوقايته وكان يئن من شدة الألم. لم يكن قادرا على المشي ولم يكن في استطاعتنا حمله لكثرة الإصابات فاستودعناه الله وسرنا.

تسببت الأجواء الممطرة في ارتفاع منسوب مياه وادي الجرف، لكن فيضانه لم يكن جارفا، وعندما نزلنا كان الوقت على ما أظن بين المغرب والعشاء.

كان بحوزة الوردي قتال سلاح من نوع ثموني، وأثناء اجتيازنا للوادي حلقت طائرة وألقت عبوة أضواء كاشفة لاستطلاع ما يجري في الأسفل، وقد صوب الوردي قتال سلاحه نحو الهدف فأصابه وبالفعل انطفأت الأضواء.

وعندما اقتربنا من العدو دوّى الآذان: الله أكبر، الله أكبر الجهاد في سبيل الله تطلقه حناجر المجاهدين وتردد صداه جبال وكهوف الجرف وكما يقول الأخ الحبيب عباد الذي كان قريبا منه، فإن أول من أذن هو عمر البوقصي.

كنا نسير على الضفة الشرقية للوادي ثم أردنا العبور باتجاه الضفة الغربية، وقبل أن أضع قدمي في الوادي تعرضت لإصابة. وقد شاهدت العسكري وهو يصوب نحوي رشاشه من نوع "مات" من أعلى الجهة الغربية لمكاننا. أصابتني رصاصة واحدة في الصدر في الجهة اليسرى. وضعت يدي على موضع دخول الرصاص وانتظرت خروجها دون جدوى. واصلت السير عبر مياه الوادي. وفي منتصف الطريق انحنيت في محاولة لشرب الماء ولو فعلت لمت في الحين.

س: لماذا؟

ج: إنها قاعدة عامة لدينا، كل من أصيب بالرصاص خاصة الإصابات الخطيرة ويشرب الماء يموت فورا.

بعد ذلك خرجت من الوادي ثم سقطت أرضا، كانت الحركة والضوضاء كبيرة من حولي والمجاهدون يرددون بأصوات تصم الآذان الله أكبر،

الله أكبر. مر شخص أعرفه بالقرب مني وقد توفي في ما بعد رحمه الله وسألني من أنت؟ وعندما عرفته بنفسي سألني ثانية إن كنت أقدر على المشي فأجبت بنعم.

نزع هذا الشخص شاشا أصفر اللون كان على رأسه ولفه جيدا على كامل وسطي ثم أخذ بيدي وساعدني على النهوض. وعاود سؤالي إن كنت سأتدبر الأمر بمفردي فقلت نعم. تركني وانصرف لأن المجاهدين اشتبكوا في قتال ملتحم مع جيش العدو.

واصلت طريقي وسط تهليل المجاهد، القتال مستمر، البغال تُقتل وحمولتها تقع أرضا. إنها ثورة. حاولت السير وراء المجاهدين ولكن دون جدوى.

توجه سيدي حني، عجول عجول، الوردي قتال وابن عمي إلى المكان المسمى العلف وعندما سألوهم هل هناك جرحى أخبروهم بأنني أصبت بجروح فأرسلوا شخصين لإحضاري فحملاني كل واحد من جهة وأوصلاني إلى مكان الجماعة.

س: متى وأين تم نزع الرصاصة من جسمك؟

ج: لقد بقيت الرصاصة من 1955 إلى غاية 1959 حيث تمكن الدكتور التيجاني هدام من نزعها وذلك في تونس.

الاسم: امحمد

اللقب: بعلوج

تاريخ ومكان الازدياد: سنة 1922، ببلدية بجن، ولاية تبسة.

س: في أي سنة التحقت بالثورة ؟

ج: في 20 ماي 1955

س: في أي مكان ؟

ج: خرجت من قساس إلى جبل أم الكماكم، الجرف والجبل الأبيض

س: من كان المسؤول في ذلك الوقت؟

ج: كان المسؤول آنذاك بشير شيحاني الذي خلف مصطفى بن بولعيد إلى جانب عباس لغرور وعجول عجول، جيلاني السوفي ومحمد لخضر السوفي.

س: حدثنا الآن عن معركة الجرف؟

ج: اتصل شيحاني بالمواطنين ليجتمع بهم في مكان يدعى رأس الطرفة، فحضر جمع غفير من نواحي مختلفة مثل الشريعة، تبسة وبئرالعاتر. وخلال هذا الاجتماع ألقى شيحاني خطابا حثهم فيه على الثورة وضرورة مساعدة المجاهدين وأننا سننال الاستقلال سواء طال الزمن أم قصر. لكن بعد هذا الاجتماع حصلت الوشاية فعدنا أدراجنا إلى الجرف. في صباح اليوم الموالي وجدنا أنفسنا محاصرين بقوات من

عساكر العدو. وكانت كل قيادة منطقة أوراس النمامشة متواجدة بالجرف.

س: كم كان عدد المجاهدين تقريبا ؟

ج: كان عددنا حوالي 350 جندي مقسمين إلى عدة أفواج. وبعد عودتنا صباحا إلى الجرف علمنا من الدوريات التي خرجت لاستطلاع الأمر بقدوم عساكر العدو من كل الجهات: تونس، نقرين، المغرب، خنشلة وتبسة وهذا لضرب طوق وحصار على مكان تواجدنا.

ولقد رأيت شخصا يلوح بيده من أعلى الجبل فتم إحضاره من قبل الحراس علمنا أنه يحمل معه رسالة من عند الهاشمي بن شنوف يقول فيها: "إن هذه العملية يقوم بها 30 ألف عسكري فرنسي، فاحذروا وعليكم أن تتجهوا إلى تونس". غير أنه لم يكن في استطاعتنا الخروج نظرا لحالة الحصار التي كنا فيها ولا يوجد مكان قريب أحصن من الجرف، فهو عبارة عن جبال كبيرة وشامخة تتخللها كهوف.

أخذ كل واحد منا موقعه استعدادا للمعركة و دافعنا في اليومين الأول والثاني، لكن في اليوم الثالث نفذت منا الذخيرة (الخراطيش) والمؤونة مما جعل القيادة تجتمع وتتخذ قرار الخروج من الخطر المحدق.

وبدأ سلاح الطيران في قنبلة المكان ونزل عساكر العدو إلى أسفل الجبل وتمكنت بعض الدبابات من الوصول إلى الوادي، فتقرر بقاء شيحاني ومجموعة قليلة من المجاهدين في الكهف وتم تزويدهم ببعض الأكل، الماء، الدواء والذخيرة.

س: هل تعرف الأشخاص الذين بقوا مع شيحاني؟

ج: محمد الصغير من باتنة، الشايب علي المعافي، محمد شامي وعبد العزيز سديرة الذي لا يزال على قيد الحياة.

عندما هممنا بالخروج داهمنا الفيضان، فانحنيت لشرب الماء من الوادي مستعينا بشاش أبيض (قطعة قماش) لتصفيته. كما كلفنا مجاهدا من وادي سوف يسمى "الحركة" وآخر يسمى بوقصة بالآذان الذي كانت تردد صداه جبال الجرف وتجعل عساكر العدو القومية يختبئون.

س: هل تبادلتم إطلاق النار؟

ج: نعم، المهم خرجنا جهة الوادي متجهين إلى مسحالة ونحن على علم بخلوها من العساكر، إلى جانب وجود مخابئ المؤونة الموجودة بها. لكننا لم نجد الأهالي في كل من نـقرين وفركان أما الكازمات فوجدنا عساكر العدو قد استولوا على كل ما بداخلها.

انقسمنا بعدها وكل واحد منا ذهب في اتجاه. ومن فرط الجوع والارهاق اضطر بعض المجاهدين إلى أكل لحم الجمال التي سقطت تحت قصف طيران العدو بعد أن شووا لحمها والبعض الآخر أكل الأعشاب.

وصلنا إلى مركز التموين لكننا لم نجد إلا المعكرونة والزيت فقمنا بطبخها في برميل كان قد تركه العساكر وأكلنا ما تيسر منها.

س: ألم تصب بجروح؟

ج: أصبت في رأسي في اليوم الخامس من المعركة، وعالجني الطبيب بالجديدة.

س: من هو هذا الطبيب؟

ج: لم يكن طبيبا بمعنى الكلمة بل كان مجرد ممرض يدعى علي شريط الذي عالجني وغيّر ملابسي لأنها تلطخت بالدماء من شدة النزيف الذي خلفته الإصابة.

الاسم : لزهاري المدعو لزهر

اللقب: عاشور

تاريخ ومكان الازدياد: سنة 1933

بالـــفريـــقر ولاية تبسة.

س: متى التحقت بالثورة ؟

ج: التحقت في أوائل سنة 1955.

س: أين؟

ج: في الجبل الأبيض.

س: من هو الشخص الذي جندك؟

ج: التحقت لوحدي بالثورة مع أخي الذي استشهد في ما بعد.

س: ما اسمه ؟

ج: الشهيد عاشور رشيد. ثم التحق بعده إخوتي الأربعة بالثورة ولا يزالون على قيد الحياة.

س: كيف تم التحاقك بالثورة، ومع من اتصلت ؟

ج: التحقت أولا بعباد الزين رحمه الله.

س: هل التحقت بالثورة بسلاحك الشخصي أم منحوك سلاحا؟

ج: لقد منحوني إياه، لأنني عندما التحقت بالثورة كان لدي بندقية صيد بعدها تحصلت على بسلاح عصري.

س: هل تتذكر نوع السلاح الذي منحوه لك ؟

ج: أتذكر أنها كانت بندقية ستاتي إيطالية ذات ست طلقات.عندما علمنا بانعقاد الاجتماع في المنطقة، اجتمع حوالي 200 مجاهد إضافة إلى سكان المنطقة بما فيهم الأعيان الذين أتوا من تبسة. في الحقيقة وبكل صراحة فإننا كمجاهدين لم نكن على علم بأي شيء لأن الأمور كانت في غاية السرية وعلى مستوى القيادة، لكن في ما بعد فهمنا الأمور.

التقينا في اجتماع وادي هلال في المكان المسمى رأس الطرفة. فرح المواطنون كثيرا بالمجاهدين عندما رأوهم بلباسهم العسكري وسلاحهم إلى درجة أن الذين كانوا لا يؤمنون بوجود ثورة تغيرت فكرتهم.

بعد اجتماع وادي هلال اتجهنا إلى الجرف حيث كانت لدينا معلومات تفيد بأن فرنسا تجند قوات ضخمة لتطويق الجبل الأبيض، بعدما تأكدت بأن القيادة متواجدة هناك، وليست في مكان محدد لأننا كنا نتنقل من جهة لأخرى أي من أم الكماكم، الجرف و الجديدة. لذلك كانت مجبرة على محاصرة المنطقة بأكملها. بعد اجتماع وادي هلال ومغادرة المواطنين المكان وانتشار خبر تواجد القيادة في الجرف، هنا تأكدت فعلا القوات الفرنسية بأن القيادة موجودة في الجرف فغيرت خطتها التي كانت تتمثل في تطويق الجبل الأبيض ووضعت كل ثقلها لضرب حصار على منطقة الجرف عن طريق حشد جيوشها التي استقدمتها من الصحراء، الغرب، الشرق، و حتى من تونس.

قضينا الليلة الأولى في الجرف وفي صباح الغد حلقت فوقنا طائرة استكشافية ونسميها نحن الطائرة الكشافة على ارتفاع ضئيل جدا لمدة

ساعة أو ساعة ونصف ثم غادرت المكان. أيقنا بعدها بأن القوات الفرنسية قادمة إلى هنا. أبلغتنا القيادة بعدم التعرض لتلك الطائرة لأنها علمت بقدوم القوات الفرنسية إلى الجرف. كنا حوالي 50 مجاهدا. وكان عدد المجاهدين بكل فوج يتراوح ما بين (10- 20- 30- 40) مع المسؤول.

س: من كان مسؤول فوجكم؟

ج: كان البطل الشهيد محمد بن عجرود. جاء مسؤول منطقة تبسة ورتال بشير المدعو سيدي حني إلى مكان تواجدنا وقال لنا بما أنكم أبناء المنطقة وتنتمون إلى عرش واحد وهو عرش الزرامّة ونحن مقبلون على معركة لذلك طلب من محمد بن عجرود أن يأخذ معه 28 جنديا ويتوجه إلى أم خالد أين خاض هناك معركة. وكلّف بوصفصاف صالح لأنه أكبرنا سنا وأدى الخدمة العسكرية الإجبارية أن يأخذ مجموعة ويتجه إلى مكان يوجد شرق الجرف يدعى رأس العش ويبعد عنه بحوالي 30 كلم أقام فيه العدو مركزا. وقد أمرنا سيدي حني بالذهاب إلى الطريق المؤدي إليه وأن نقوم بمساعدة المواطنين بوضع الحواجز على الطريق لتعطيل عملية تقدم العدو لمدة ساعة أو ساعتين حتى يتسنى للمجاهدين الموجودين هناك الخروج إلى مكان آمن. المهم غادرنا الجرف في منتصف النهار.

في صباح الغد اتجهنا إلى الجرف ووجدنا المجاهدين على أهبة الاستعداد فسألونا عن مكان تواجد العدو فأخبرناهم، ثم هاجمنا العدو بسلاح الطيران والمدفعية.

في حدود الساعة الواحدة زوالا بدأ العساكر في الاقتراب، وكما لا يخفى عليكم فالجرف عبارة عن جبلين متقابلين.

كانت هناك مجموعة متمركزة في الجهة الشرقية للجرف وأخرى في الضفة المقابلة لها من الوادي. كنا في مكان محصن وبالتالي لم نتأثر لا لقصف الطائرات ولا المدافع إضافة إلى الإيمان والعزيمة. فقد اضطررنا للبقاء طيلة 50 ساعة تقريبا دون أكل أو شرب والأقدام حافية دامية.

في منتصف النهار أقبل عساكر العدو فتصدت لهم المجموعات التي كانت متمركزة في الجهتين الشرقية والغربية فأصبح جنود الضفة الشرقية يضربون عساكر الجهة الغربية ومجاهدو الضفة الغربية يسددون أسلحتهم نحو عساكر الجهة الشرقية. حاول العدو بكل ما أوتي من قوة النزول إلى الجرف لكن دون جدوى فعاد أدراجه. توقف القتال تلقائيا وقت المغرب من كلا الطرفين نظرا لحلول الظلام. في هذه الفترة كان يتم تزويدنا بالذخيرة (الخراطيش) التي كانت مخبأة تحت التراب وتآكلت من الصدأ فنضطر لشحذها بالرمال و ونشحن بها بنادقنا ثم أخذنا مواقعنا ليلا بعدما تزودنا بالغرس (عجين التمر) والسويكة (زاد شعبي).

سارت المعركة في اليوم الثاني على نفس المنوال أي التمهيد عن طريق القصف بالطائرات والمدفعية بعيدة المدى إلى غاية منتصف النهار بعدها يتم الهجوم بواسطة العساكر إلا أنهم لم يتمكنوا من الدخول ولم تجدهم حيلة لأن الجماعة كلها كانت محصنة. في اليوم الثالث من المعركة وهو يوم السبت لأن المعركة بدأت يوم الخميس خيّم هدوء مريب حيث غير العدو خطته. وعلى الرغم من صعوبة المسلك فقد استطاعوا إنزال ثلاث دبابات إلى الوادي مما أدى إلى صعوبة وتأزم الموقف بالنسبة للمجاهدين لأنهم لا يملكون الأسلحة المضادة للدبابات هذا الوضع الجديد أحدث خسائر في صفوف المجاهدين إذ استشهد سبعة منهم دفعة واحدة.

س: هل تتذكر أسماء هؤلاء الشهداء؟

ج: آنذاك وبكل صراحة لم نكن نعرف أسماء بعضنا ما عدا شخص استشهد بجانبي أعرفه لأنه ابن عم سي إبراهيم قاسمي.

س: هل تتذكر اسمه؟

ج: لا يحضرني اسمه، إنما والده يدعى علي بن الزين. في اليوم الثالث والأخير عندما تغيرت الخطة ودخلت الدبابات شعرنا بخطورة الموقف إلا أننا لم نستسلم للأمر وبقينا نطلق النار عليهم حتى لا يصعدوا فوق الدبابات ويضربوننا. تواصل إطلاق النار طوال الصبيحة لكن في الأخير توقفوا من شدة التعب وكانت عملية الخروج ليلا.

س: هل كان شيحاني هو من أعطى الأمر بالخروج؟

ج: نعم، حيث عقد هذا الأخير اجتماعا ضيقا لقادته تقرر فيه الخروج.

س: من الذي كان رفقة شيحاني في القيادة؟

ج: كان هناك عجول عجول، عباس لغرور وورتال بشير مسؤول منطقة تبسة هذا الأخير الذي أشرف على عملية الانسحاب حيث أعطى بندقيته لمجاهد كنت معه وحمل هو عصا وهو يحث المجاهدين على الخروج. المهم عندما خرجنا كنا نشاهد عساكر العدو على مسافة 70 مترا حيث قضوا الليلة هناك.

س: هل هناك وادي في تلك المنطقة؟

ج: نعم ويوجد في الجهة الجنوبية حيث قضى العساكر تلك الليلة.

س: إلى أي منطقة تؤدي الجهة الجنوبية للوادي؟

ج: تنتهي إلى بوعميتة ومسحالة الموجودة في قلب الجبل الأبيض.

س: هل خرجتم بهدوء أو بالقوة؟

ج: خرجنا بهدوء وكنا نسير ببطء لأننا نعرف المنطقة جيدا ونشأنا فيها إلى أن صرنا على مقربة من العساكر حوالي 5 أو 10 أمتار. حل الظلام مع تساقط الأمطار التي لم تكن غزيرة. اقتربنا من عساكر العدو وندن نصيح الله أكبر الجهاد في سبيل الله مما أحدث مفاجأة في صفوف العدو أدت بالبعض منهم إلى رمى نفسه في الوادي والبعض الآخر رمى بسلاحه واختبأ وسط الصخور ودخلنا معهم في اشتباك.

وواصلت سيري ثم وجدت بندقية ملقاة على الأرض التقطتها وإذا بي أصادف المجاهد نصّر بوعبيدة الذي كان مصابا برصاصة ولما وضعت

يدي على بطنه وجدته شديد الحرارة عقب ذلك لحق بي مجاهد آخر من أقاربي فقمنا بلف شاش حول بطنه ثم تركناه هناك وانصرفنا.

كنا في المقدمة عندما لحق بنا عجول عجول وطلب منا أن نتجه إلى مسحالة وكنا حوالي 20 مجاهدا.

الاسم: عبد المالك.

اللقب: ڤريد.

الاسم الثوري: الجنة .

تاريخ ومكان الازدياد: سنة 1928

في دشرة سيدي سليمان ولاية الوادي،

وقد أطلق علي شيحاني بشير إسمي الثوري عندما عدت من معركة هود شيكا مع أولاد عمارة محمد لخضر.

س: متى التحقت بصفوف الثورة؟

جندت بناحية تبسة في فوج لمين ابن علي أغيول دربال بالدرمون.

س: في أي سنة كان ذلك؟

ج: تجندت في شهر فيفري 1955، وعينت في مارس من نفس السنة كقائد للأطلس الصحراوي عند مصطفى بن بولعيد، بشير شيحاني، عباس لغرور، عجول عجول.

س: هل شاركت في معركة الجرف؟

ج: نعم لأن معركة الجرف بدأت بعد أن أرسل شيحاني بشير اتصالات (جمع اتصال) يدعو من خلالها مواطني ناحية تبسة كلها ليجتمع بهم وكان هذا يوم 17 سبتمبر 1955 في الدوار الواقع غرب الجرف.

حضر هذا اللقاء كل المسؤولين وكلفني شيحاني بالخروج لاستطلاع أخبار محمد بن عجرود الذي خرج قبل ذلك باتجاه طريق ثليجان فقد

يأتي منه العساكر وكانت مهمته تتمثل في الاشتباك معهم وبذلك يعلم المجاهدون في الجرف أن العدو قادم. وكان بن عجرود على رأس فوج يضم 12 أو 14 جنديا، وطلب مني شيحاني أن أبقى بالقرب منه وإذا حدث أمر فسيرسل لي كاتبه.

س: ما اسم كاتبه؟

ج: شامي محمد.

س: هل تذكر أسماء المسؤولين الذين حضروا الاجتماع؟

ج: أتذكر من المسؤولين الذين حضروا الاجتماع: عباس لغرور، الوردي قتال، جبار عمر، عجول عجول، سيدي حني، وساعي التكوكي على رأس كتيبة التكاكة، عفيف علي، أنا أيضا حضرت الاجتماع.

وقام بتنصيب المسؤولين المدنيين، وكان شيحاني يطلب منا دائما ضمان سلامتهم ويقول لنا: حافظوا عليهم، أفضل أن يستشهد مائة مجاهد على أن يستشهد إطار مدني واحد لأنه يملك قائمة بأسماء كل المواطنين، وهذا يضرهم. وقد حضر هذا الاجتماع كل المسؤولين بجيوشهم، أنا شخصيا كنت على رأس كتيبة قوامها 72 جنديا وهناك من كان معه 80- 100 جندي وغير ذلك لأن كل جيش يختلف عن الآخر.

س: كم كان عدد المجاهدين الذين شاركوا في معركة الجرف؟

ج: مابين 400 و500 جندي.

يوم 20 سبتمبر اتجهت إلى مكان يدعى قعور الكيفان بالقرب من ثليجان، بعد وصولي وفي حدود منتصف النهار سمعت تبادل لإطلاق

النار غرب ثليجان، ثم زادت الاشتباكات حدة وتقدمت قوات العدو القادمة من رأس العش فاشتبكت معها كتيبة الصحراء وبدأنا نتبادل إطلاق النار.

س: هل كانوا على مقربة منكم؟

ج: كانت المسافة بيننا حوالي 200 أو 300 متر وجاءوا من مركز رأس العش، وما أن حل عصر ذلك اليوم حتى توقف تبادل إطلاق النار في المرتفع الذي كان محاصرا فيه محمد بن عجرود وفوجه فقد استشهدوا عن آخرهم.

وبعد أن نظرت من خلال المنظار المقرب (jumelles) رأيت دبابات قادمة فقلت للجماعة بما أننا لا نملك المدافع لذلك لا تفتحوا نيران أسلحتكم إلا إذا نزل عساكر العدو من المدرعات.

يوم 20 سبتمبر وصلت كتيبة بشير شيحاني من الأوراس والتي كان قد أرسل يطلب دخولها بسرعة وكان يقودها محمد لصنامي وهذا استعدادا لخوض المعركة لأن المنطقة كانت محاصرة.

ثم أرسل شيحاني كاتبه شامي محمد يوم 20 سبتمبر 1955 يبلغني أوامره بالتوجه فورا إلى مكان تواجده بالجرف لأنه محاصر.

وصلنا ليلا إلى الجرف، فسألني شيحاني عن عدد الجنود ونوع السلاح الذي بحوزتي، فأخبرته بأن الكتيبة تضم 72 جنديا أما السلاح فلدي بندقية رشاشة وهي عبارة عن سلاح أوتوماتيكي.

ثم سألني عن السلاح الذي أملكه فأجبته: لديّ بندقية من نوع ڤارا GARAND أمريكية الصنع، فسألني ثانية عن سلاح خزاني الدردوري فقلت له: لديه بندقية من نوع طومسون 32 أمريكية الصنع.

ثم أمرني شيحاني بأخذ مكاني للمراقبة. حينها قمت بتقسيم فصيلتي إلى قسمين، فوضعت 36 جنديا في الأسفل 36 جنديا في الأعلى على مقربة من قمة الجرف. أنا كنت مع مجموعة المنطقة السفلى وكان بالقرب مني الوردي قتال، جبار عمر والتكاكة وكان الجيش كله متمركزا في نواحي مختلفة من وادي الجرف.

س: هل يمكنك أن تحدثنا عن وقائع المعركة؟

ج: بدأت معركة الجرف ظهر يوم 21 سبتمبر 1955 أي يوما بعد القضاء على محمد بن عجرود وفوجه. حيث تقدم عساكر العدو وهم يطلقون نيران أسلحتهم تحميهم أسراب الطائرات.

دامت المعركة من 21 سبتمبر إلى غاية 24 سبتمبر وعند ظهيرة هذا اليوم الأخير من المعركة تعرضنا للقصف بالغازات السامة ورغم ذلك عندما تقدمت قوات العدو استطعنا قتل 11 عسكريا ووضع كل واحد منا نقابا بإمكانياته المتواضعة للاحتماء من الغازات. ثم أخبرني الشيخ الربيعي قائلا: يا الجنة إنهم يقولون لنا بواسطة مكبرات الصوت سنأخذكم غدا مقيدين جميعا إلى تبسة ومعكم قائدكم شيحاني كما ذكروا أسماء كل القادة الموجودين في الجرف.

ثم أخبرني بأن الرسول صلى الله عليه وسلم تعرض للضيم، ولذلك سنصلي اليوم صلاة الاستسقاء وبعدها سنخرج ومن بقي فهو خائن. نخرج فمن كتبت له الحياة سينجو ومن وهبت له الشهادة سيموت. ثم صلى بنا الشيخ الربيعي في الليل. وأثناء خروجنا اشتبكنا مع العدو وأسرنا منهم 11 عسكريا وملازما أولا أحياء.

الاسم: عبد العزيز.

اللقب: سديرة.

تاريخ ومكان الازدياد: 18 أوت 1935

ببلدية الفريفر ولاية تبسة.

تاريخ الالتحاق بالثورة: في بداية صيف 1954 التحقت بصفوف المقاومة التونسية بعد أن اتصل بنا لزهر شريط بالجبل الأبيض، فذهبت معه إلى تونس بعد أن مررت على الأهل بالبيت لأنني كنت صغير السن. أقمنا أياما بالرديف والسمامة وبعد قضاء عدة أيام هناك قال لنا التوانسة حرفيا: لقد استقلينا وعليكم بتسليم السلاح.

س: هل طلبوا منكم ذلك دون خوض أي عمل مسلح ضد العدو؟

ج: طلبوا منا ذلك وحدث هذا دون أن نقوم بأي معركة، حيث قاموا بنقلنا على متن شاحنات وبعد أن سلمناهم السلاح أعطونا وثيقة و10 آلاف فرنك.

وجدنا التونسيين يصفقون ويهتفون "استقلينا، استقلينا" ثم أخذونا في رحلة سياحية إلى تونس العاصمة بعد أن منحونا ملابس لائقة.

كان هناك الطيب المهيري وحسونة القروي وعندما طالبهم شريط لزهر باسترداد أسلحتنا قالوا له: السلاح الذي دفعتموه أخذته فرنسا وأنتم لديكم الخيار في البقاء بتونس كمواطنين أو العودة إلى الجزائر.

وهكذا خرجنا من تونس بدون سلاح عبر خنقة الصفصاف والحجار الصُفر ثم افترقنا كل ذهب إلى دواره، فذهبت إلى دوارنا بأم الكماكم، كنت آنذاك صغير السن عندما سمعت بوجود الفلاقة (المجاهدين) في وادي المشرع. ولما ذهبت إلى المكان وجدتهم بالفعل هناك وأخبرتهم بأنني كنت في تونس وقد سلمت السلاح لهم هناك وبعدها بقيت معهم.

س: هل كنت تعرف تلك الجماعة؟

ج: في البداية لم أكن أعرف أحدا منهم لقد وجدت عمر البوقصي، فرحي ساعي، أحمد ابن ساعي الكبلوتي و محمد بن عثمان من النمامشة أما البقية فكانوا من وادي سوف وهم جيلاني وعبد القادر. نزلنا إلى زاريف (غيفوف) حيث بقينا بضعة أيام هناك وفي طريق عودتنا التقينا بجماعة لزهر شريط في وادي هلال.

س: في أي شهر كان هذا اللقاء؟

ج: كان هذا في جانفي 1955، ثم عدنا إلى وادي هلال. بعد وقوع معركة الزرقة ناحية الدرمون ومعركة أم الكماكم في جويلية 1955. وبعد أن خرج بشير شيحاني من هذه الأخيرة التي أشرف على قيادتها سار في اتصال باتجاه ناحية الأوراس، أما نحن فتوجهنا إلى الجرف. بعد قضاء عدة أيام في الأوراس عاد شيحاني إلى الجرف وطلب منا أن

نتصل بالمواطنين لحضور الاجتماع في رأس الطرفة والذي حضرته جموع غفيرة حيث ألقى شيحاني خطابه ليلا. بعد ذلك تفرق الجميع وعاد كل واحد إلى دواره.

نحن لم نكن على إطلاع بكل ما يدور فنزلنا إلى الجرف. وفي عشية يوم الخميس جاءنا مقداد جدي مسرعا وأخبرنا بأن محمد بن عجرود وفوجه قد استشهدوا كلهم في فرطوطة ولم يبق منهم أحد، ثم انتشر عساكر العدو في كامل المنطقة دون أن نعلم بذلك.

في المساء اجتمعنا كلنا وسلكنا طريق وادي هلال متجهين إلى مسحالة وكان فوج عباد الزين قد خرج قبلنا في دورية استطلاع. وفجأة بدأ تبادل إطلاق النار والاشتباكات، وهكذا وجدنا أنفسنا محاصرين وتعذر علينا الخروج، في حين تمكن الفوج الأول من الخروج، فاتخذ قرار عودتنا إلى الجرف وهذا ما حصل فعلا في تلك الليلة المظلمة.

في صباح يوم الجمعة حوالي الساعة الثامنة بدأ تبادل إطلاق النار بشكل غير مكثف يطلقون هم تارة فنرد عليهم وهكذا ولم تحتدم المعركة بعد، لكن عندما قررنا الخروج في المساء وجدنا المكان كله محاصرا فتأزم موقفنا أكثر. في صبيحة اليوم الثاني كانت قوات العدو قد حضرت بقوة وتعقدت الأمور فدخل سلاح الطيران وبدأ القصف من فوقنا من الصباح إلى غاية حلول الليل.

س: هل كنتم في أماكن محصنة؟

ج: نعم ولكننا لم نستطع التحرك نتيجة الحصار. تواصلت المعركة إلى غاية يوم الأحد وما زاد من حدتها قصف الطائرات لنا وتقدم عساكر العدو نحونا أكثر فأكثر.

وقد تمكنت بعض الدبابات من الدخول إلى الوادي وتمركزت قبالتنا ونتيجة كل هذه العوامل عقد اجتماع طارئ على مستوى القيادة ثم تحدث إلينا شيحاني في المساء قائلا: إن الحل الوحيد الذي توصلنا إليه هو الخروج من هذا الحصار بالقوة فيموت من كتبت له الشهادة وينجو من وهبت له الحياة خاصة أن الحركى والمغاربة كانوا يخاطبوننا قائلين: غدا سنأخذكم مكبلين إلى تبسة. وهكذا تقرر بقاء شيحاني في الجرف لضمان سلامته وأمنه باعتباره القائد، وبقيت معه جماعة قليلة العدد من المجاهدين كنت ضمنهم نظرا لصغر سني.

س: كيف تقرر بقاؤك مع شيحاني رغم صغر سنك؟

ج: إن قضية صغر السن هي التي دفعتني أنا وبوساحة إلى البقاء دوما بالقرب من الشيخ (شيحاني) ولذلك عند تعيين من سيبقى معه وجدنا أنفسنا ضمن تلك الجماعة.

س: اختلفت الآراء حول عدد الذين بقوا مع شيحاني في الكهف، وبما أنك كنت معهم فكم كان العدد بالضبط؟

ج: كان هناك شيحاني بشير، محمد الصغير، علي المعافي، شامي محمد، بوساحة عون الله والمتحدث (عبد العزيز سديرة).

س: هل كان معكم شخص يدعى عبد الحميد؟

ج: لا أتذكره، المهم كنا حوالي 06 أو 07 أشخاص في الكهف عندما شاهدنا عساكر العدو قادمين وبأيديهم مصابيح الجيب ليتسنى لهم رؤيتنا وخاطبنا شخص كان معهم طالبا منا ترك أسلحتنا في الكهف والخروج إليهم ليقوموا باستجوابنا فقط ثم نعود من جديد إلى أماكننا وإذا لم نطع الأوامر فسوف نتعرض إلى القصف بالغازات السامة، وما كان منا إلا محاولة الابتعاد أكثر فأكثر عن مدخل الكهف باتجاه عمقه. وفعلا وبعد مرور وقت قصير شعرنا بتسرب الغاز إلينا وسيلان الدموع إضافة إلى إصاباتنا بدوار، ولحسن حظنا كانت توجد بالكهف فتحة صغيرة مما سمح بخروج تلك الغازات ولم نصب بأذى، ثم أطلق علينا العساكر عدة زخات من أسلحتهم الرشاشة دون التمكن من إصابتنا.

س: هل يمكنك أن تصف لنا ذلك الكهف من حيث الطول، العرض، الارتفاع، العمق...؟

ج: هو عبارة عن مغارة عميقة مكونة من حجارة وفيها فتحة عميقة تغلغلنا بداخلها الواحد خلف الآخر. وبعد أن يئس عساكر العدو من خروجنا قاموا بقنبلة المكان فسد مدخل الكهف ونحن بداخله ولم يكن بحوزتنا إلا القليل من الطعام الذي نفذ في ما بعد ولم يبق منه شيء.

س: ألم يتركوا لكم المؤونة الكافية؟

ج: كان لدينا القليل من الطعام لأننا لم نكن ندري بأننا سنمكث فترة طويلة في هذا الكهف (سبعة أيام)، وفكر شيحاني بأنه إذا بقينا

محبوسين في الكهف فسنهلك لا محالة ولذلك طلب من واحد كان معنا أن يتغلغل أكثر في الكهف لعله يجد لنا مخرجا. وبالفعل وجد هذا الأخير منفذا فعاد إلى شيحاني وأخبره بذلك عندها قال لنا هذا الأخير لابد من الخروج فإما الحياة أو الاستشهاد المهم هو أن نخرج على أن نموت في هذا الغار. مشينا في الكهف إلى أن وجدنا فتحة تبعناها فخرجنا بعدما نزعنا البرانيس التي كنا نرتديها كما تركنا هناك محفظة كانت بحوزتنا.

س: هل كانت الفتحة التي أشرفتم منها على الخارج كبيرة؟

ج: لا لم تكن فتحة بمعنى الكلمة وإنما عبارة عن صخور فوق بعضها.

س: قيل لنا بأن الشايب علي هو الذي رأى ضوءا فظنه نجمة فتبعه إلى أن وصل إليه فوجد الفتحة. فما حقيقة ذلك؟

ج: الشخص الذي ذهب للبحث عن مخرج لنا ليس الشايب علي لأنه كان كبير السن ولا يعقل أن يرسل في مهمة كهذه، والتي قام بها محمد الصغير. فلما أطللنا من الفتحة وجدنا الغيوم والضباب يخيم على المكان الذي بدأت ظلمة وقت المغرب تكسوه.

أما نحن فقد خرجنا بعد المغرب بقليل حيث نزلنا إلى جهة الوادي وشربنا منه لكن محمد الصغير أصيب بوعكة وشعر بدوار نتيجة الجوع فحملناه ومشينا. وفي طريقنا وجدنا عساكر العدو متمركزين في عدة نقاط لكننا استطعنا الخروج دون أن يكتشفوا أمرنا. في ما بعد أصابنا تعب وإرهاق شديدين فأخذنا قسطا من الراحة ونحن نشاهد

العساكر من بعيد وهم يصفرون ويغنون. عقب هذه الاستراحة اتجهنا غربا حيث وجدنا كوخ أحد أفراد عرش العيساوي فطلبنا منه تزويدنا بالماء لكنه رفض طلبنا فتوسلنا إليه باسم الأخوة لكن دون جدوى وعندها سألناه هل تعرف فلانا وفلانا فاقتنع بأننا مجاهدون وأحضر لنا الماء ثم سألناه مرة ثانية عن مكان تواجد الجماعة فأخبرنا بأنهم في وادي العلف وذهب هو شخصيا لإعلامهم ثم تناولنا الغداء عنده. مع العلم أنه عندما ذهب إلى الجماعة وجد هناك عباد الزين وفرحي ساعي.

س: هل كان عجول وعباس لغرور ضمن هذه الجماعة؟

ج: لا، لم نلتق بهم لأنهم خرجوا قبلنا ونحن بقينا في الكهف.

س: قال أحد مجاهدي الجرف أن ذلك الشخص (من عرش العيساوي) أخبركم فقط بوجود جيش عباد الزين دون ذكر جيوش عباس لغرور وعجول عجول الموجودة هناك؟

ج: لم يكن هناك لا جيش عجول ولا جيش عباس لغرور، إذ بعد خروجهم توجهوا مباشرة إلى الأوراس، وبقيت فقط جماعة فرحي ساعي وعباد الزين أما مجموعة سيدي حني فكانت متواجدة في الخناق لكحل.

س: أين ذهبتم في ما بعد؟

ج: ذهب شيحاني بشير مع جماعته غربا ناحية الأوراس، أما أنا فذهبت رفقة عباد لحبيب، محمد بن عبد الله وإبراهيم عنتر إلى الحدود أين كان الجيلالي السوفي لجلب الأسلحة الآتية من ليبيا ضمن قوافل

من البغال وإيصالها إلى المجاهدين في الجبل الأبيض. وبقينا هناك إلى أن خضنا معركة بجبل النقب استشهد خلالها بعض المجاهدين وأصبت بجراح في هذه المعركة لكن لم يلق علي القبض وكان هذا في أواخر سنة 1957.

الاسم: علي

اللقب: بولعراس

تاريخ ومكان الازدياد: 1930 بالمزرعة ولاية تبسة

سنة الالتحاق بالثورة: في مارس 1955 وحملت السلاح في سبتمبر 1955.

س: من الذي جندك؟

ج: التحقت بالثورة مع عمر البوقصي وعفيف علي ثم عملت مع سيدي حني، فرحي ساعي والزين عباد.

س: هل شاركت في اجتماع رأس الطرفة مع شيحاني؟

ج: كنت حاضرا في هذا الاجتماع، حيث أعطت قيادة الثورة للنواحي والأعيان والمعروفين الأمر بحضور هذا الاجتماع، فكان كل من يدخل إلى مكان الاجتماع لا يسمح له بالخروج.

حضر هذا الاجتماع المواطنون الذين أتوا من كل صوب سيرا على الأقدام أو على رواحلهم من الشريعة، قنتيس، السطح، قساس ولبطين. كما حضر أعيان النواحي من بجن مثل مباركية العربي وبولعراس بلقاسم بن علي رحمهما الله.

وبعد نصب الأسلحة الثقيلة في الأماكن الاستراتيجية ألقى شيحاني في هذا الاجتماع خطابا طويلا قائلا: "إن هؤلاء أولادكم يكافحون من أجل هذا الوطن فيجب أن تتعاونوا لمساعدتهم".

كان شيحاني المدعو سي مسعود رجلا مثقفا فصيحا يملك غيرة على الوطن ليس لها مثيل. وفي نهاية الخطاب طلب من كل واحد أن يعود إلى ذويه.

انتهى الاجتماع في آخر الليل وتفرق الجمع الغفير كل ذهب في اتجاه لكن في ما بعد علمت السلطات الفرنسية بأن القيادة مجتمعة في رأس الطرفة.

س: من هم القادة الذين حضروا الاجتماع؟

ج: كان هناك شيحاني بشير من الخروب، عجول عجول، ساعي فرحي، الوردي قتال، حمة بن زروال الطكوكي، علي مسعي بن أحمد الطكوكي والكثير من المجاهدين.

عندما استشهد محمد بن عجرود في فرطوطة، بدأت القوات الفرنسية بالزحف عبر الجهات الأربع وهذا من تبسة، الماء الأبيض، خنشلة، نـقرين، سيار ومن الصحراء لقد جاءت بقوات لا تعد ولا تحصى.

حوصرت القيادة في جبل الجرف بعدما تم القضاء على محمد بن عجرود و35 مجاهدا كانوا معه. بدأت بعدها القوات الفرنسية الزحف بالتمهيد عن طريق المدافع والطيران، كما بدأ تمركز الجيوش العظيمة في الجبال.

كان استشهاد محمد بن عجرود يوم الخميس ونحن حوصرنا يوم الجمعة صباحا وبدأ تبادل إطلاق النار بيننا في حدود التاسعة صباحا، حتى أصبح الوادي كله مظلما من شدة قصف الطائرات بالقنابل، كنت أسمع في اليوم الأول القوات الفرنسية وهي تصدر الأوامر للفصيلتين الأولى والثانية بالتقدم وذلك باللغة الفرنسية. ومن شدة القصف لم نعد نسمع ما يدور حولنا إذ كنا متمركزين غرب الوادي بينما القيادة كانت متمركزة شرق الوادي في حين تمركز الجيش الفرنسي بشكل متقاطع. فأصبح الجيش الموجود غرب الوادي يدافع عن القيادة الموجودة في الشرق والجيش الموجود شرق الوادي يدافع عن الجهة الغربية.

كانت قيادة أوراس النمامشة متمركزة ومحصنة جيدا ولا يمكن للجيش الفرنسي الوصول إليها إلا بواسطة الطيران أو المدافع، فقد جاءتنا أوامر تنص على أن لا نطلق أية رصاصة إلا في محلها أي نحو الهدف لأن المعركة مازالت طويلة ونحن بأمس الحاجة إلى الذخيرة.

كنت في الفرقة الموجود فيها السلاح الثقيل وفي اليوم الثاني من المعركة قنبلت القوات الفرنسية المكان فتعطلت سلسلة السلاح الثقيل التي تحتوي على الخراطيش. في المساء قمت بإيصال جماعة إلى الإدارة (القيادة) المتمركزة شرق الوادي وفي طريقي وجدت أحمد بن الهويدي مسؤول المؤونة ودعاس لزهر المصاب في ذراعه، أعطاني الهويدي

المعجون والتمر المعجون (الغرس) وأكملت طريقي لإيصال الأفواج ورجعت.

بعد قرابة ثلاثة أيام من المعركة ومع تهاطل الأمطار أعطى سيدي حني أمرا بتجريد المجاهدين المصابين من أسلحتهم وتقديمها له، وكل من يأتي له بسلاح كان يستلم سلاحا أحسن. استشهد بريك عمار بن معوش أمامي حيث بترت ساقاه كما استشهد ثلاثة آخرون فقمنا بأخذ أسلحتهم.

في حدود الخامسة مساء وبينما كنا نسير تعرضنا للقصف لا ندري إن كان من طائرة أو مدفع، كنت مع عاشور لزهاري وعلي بن الزين اسماعلي. استشهد خلال هذا القصف علي بن الزين الذي كان شابا وسيما. فقمت بوضعه باتجاه القبلة وأخبرنا سيدي حني وساعي بالموضوع إلى جانب والده الزين الذي كان معنا فرّد علينا قائلا رحمه الله.

اللقب: حافي

الإسم: خليفة

تاريخ ومكان الازدياد: 06- 08- 1934

بالعـــقلة ولاية تبسة.

تاريخ التجنيد: شهر فيفري 1955

س: من الذي جندك؟

ج: جاء إلي لزهر شريط، عمر البوقصي وفرحي ساعي في العلف

س: ماهي المهمة التي أسندت إليك عند تجنيدك؟

ج: كنا نقوم بنصب الكمائن والهجومات على مراكز العدو.

س: حدثنا عن معركة الجرف وهل كنت حاضرا في اجتماع رأس الطرفة؟

ج: اجتماع رأس الطرفة معناه خطاب شيحاني بشير، هذا الخطاب الذي حضره جمع غفير من المناضلين والمواطنين جاءوا من الشريعة، خنشلة، تبسة ومن كل الدوائر القريبة. كان الخطاب في رأس الطرفة ليلا.

بقي شيحاني مدة ثلاثة أيام يلقي الخطابات التي يقوم من خلالها بتوعية الشعب الذي كان يتفرق في النهار ويجتمع ليلا ليحضر اللقاء ويستمع إلى الخطاب.

أما سبب معركة الجرف فكان استشهاد محمد بن عجرود الذي كان متمركزا في فرطوطة ومعه 30 مجاهدا.

بدأت القيادة تفكر في كيفية الخروج من الجرف، خرج لزهر شريط أولا لكن كل منفذ كنا نسلكه إلا وجدنا به العساكر أمامنا، حيث لم نستطع إرسال أية دورية لأننا كنا محاصرين بالعساكر وما علينا إلا الانتظار والصبر.

كان المكان محصنا، وبدأ قصف الطائرات الفرنسية إلى أن أصبح الوادي كله مظلما، ثم جاء دور العساكر الذين حاولوا بكل السبل أن الاقتراب منا لكنهم فشلوا في ذلك لأننا كنا متمركزين في أماكن محصنة.

في اليوم الثالث من المعركة استطاعت القوات الفرنسية الوصول إلى الوادي واشتبكت مع الجنود فمنهم من استشهد ومنهم من رجع إلى الجرف الذي هو عبارة عن كهفين متقابلين. عندها أصبحنا عاجزين عن التزود بالمياه لأنهم كانوا قد احتلوا الوادي والله شاهد على ما أقول. نزلت ليلا لإحضار الماء لكنني سقطت أرضا لأن المكان كان لزجا بسبب الأمطار التي تساقطت، فأطلق علي جنود العدو النار لكنني استطعت الوصول إلى منبع الماء الذي كان سطحيا ونبشت بيدي إلى أن وصلت إلى الماء، لكن عندما شرعت في ملء القارورة أحدثت فقاعات الماء صوتا جعل العساكر يطلقون النار عشوائيا دون أن أصاب واستطعت إيصال الماء إلى الجماعة.

الشيء الذي لا أزال أتذكره لحد اليوم هو أنني كنت أنادي على شخص معين لكن عندما يكلمني لا أعرفه لأن ملامح وجهه تغيرت من شدة الدخان والوضعية المزرية التي كان عليها.

جاءنا الاتصال من عند المسؤولين يأمر بضرورة خروج الأفواج في اليوم الرابع من المعركة. ولم نكن نسمع إلا كلمة الجهاد في سبيل الله.

بدأ تبادل إطلاق النار بيننا عن قرب لدرجة أنني كنت أرى الرصاص يتطاير في السماء. تمكنت من الوصول إلى الوادي لكي أشرب فقد كنت جد عطشان، إلا أنني وجدت جثة جندي مغربي في الوادي وعرفته من خلال قشابيته وإلى جانبه بغل ميت. تحولت كل مياه الوادي إلى دماء ورغم ذلك شربت منها إلى أن ارتويت. عندما التفت حولي وجدت عباس لغرور بصدد فتح صناديق اعتقدنا أن بداخلها الخراطيش لكنها كانت مليئة بذخيرة المدافع الثقيلة.

كان أحد عساكر العدو مختبئا في حفرة ومغطى، فدست عليه دون قصد ثم قفزت مفزوعا وهربت خوفا منه لكنه لم يحرك ساكنا ولم يطلق علي النار.

أعطاني عباس لغرور ذخيرة المدافع التي حملتها على ظهري و كانت ثقيلة جدا. وبينما كنت أسير وجدت سلاحا من نوع "مات" ملقى على الأرض بدون مؤخرته حملته وعلقته على عنقي.

الاسم: الربيعي.

اللقب: بن عبيد.

تاريخ ومكان الازدياد: 02 فيفري 1935، بأولاد رشاش التي كانت تدعى تماروت في العهد الاستعماري.

س: ما هو اسمك الثوري؟

ج: بزويش الربيعي، لقبت كذلك لصغر سني.

س: في أي سنة التحقت بالثورة؟

ج: في شهر جانفي سنة 1955.

س: من المسؤول الذي وجدتموه هناك؟

ج: كان هناك المدعو سيدي حني (بشير ورتال)، بابانا ساعي لموشي، عمر البوقصي ومحمد بن عجرود.

س: هل حضرت اجتماع رأس الطرفة؟ ومن كان هناك من المسؤولين؟

ج: نعم حضرت. أذكر من المسؤولين الذين حضروا هذا الاجتماع: شيحاني بشير، عباس لغرور، بابانا ساعي، عجول عجول، سيدي حني (بشير ورتال)، قتال الوردي، وعمر البوقصي.

س: بعض المصادر تذكر مشاركة عمر بن بولعيد في اجتماع رأس الطرفة.

ج: هذا غير صحيح، عمر بن بولعيد لم يحضر في الجرف، لأنه كان في مهمة تفتيش بالأوراس.

س: كيـف تم التحضير للجرف؟ هل تحول الاجتماع إلى معركة أم ماذا ؟

ج: شخصيا شاركت في معركة الجرف كمجاهد بسيط مع بقية المجاهدين ولم تكن لدي خبرة في السياسة أو الثقافة عكس شيحاني بشير، عباس لغرور، بوبكر سالم، عجول عجول وغيرهم كثير مثل بابانا ساعي وسيدي حني ...الخ .

كان حصار فرنسا آنذاك للثورة في الأوراس يهدف إلى القضاء عليها، لأنها تعلم أنها عندما تتمكن من القضاء على قادة الثورة فإن هذه الأخيرة ستفشل كما حدث في الثورات الأخرى التي عرفتها الجزائر كثورة بوعمامة وغيرها وكانت فرنسا تركز على نقاط الضعف للقضاء على الثورة .

وعندما سمع الاستعمار بوجود شيحاني بشير هناك أراد تنفيذ مخططه، خاصة أن مصطفى بن بولعيد كان قد تمكن من الإفلات من بين أيديهم في محاولة للتوجه إلى المشرق. وسأفتح قوسا لأذكر أنني كنت رفقة الجيلالي السوفي عندما قرأ خبرا نشر في جريدة لاديباش الفرنسية يفيد بأنه تم حجز 40 بصلة، 40 كسرة و40 برنوسا في المشرع قد تكون تابعة للمجاهدين الذين مروا رفقة مصطفى بن بولعيد، وخلصت فرنسا إلى أن المجاهدين كانوا يتغطون بالبرانيس ويأكلون الخبز والبصل وبالنسبة للبصل فإن الأمر صحيح.

أعود إلى اجتماع رأس الطرفة الذي ألقى خلاله شيحاني بشير خطابا حضره العديد من المناضلين والمواطنين جاءوا من الشريعة، تبسة وغيرها. الشعب كان طيبا. وقد وضّح شيحاني في خطابه كيفية التحضير للثورة، و قال بأن المغرب قد ثار وكذلك تونس ولم يبق إلا نحن، وها قد جاء دورنا لتفجير ثورتنا دون حساب عامل الربح والخسارة.

بعد الاجتماع تسربت الأخبار إلى فرنسا بأن قيادة أوراس النمامشة كلها موجودة في الجرف فقامت بحشد القوات حيث استقدمت من تونس فقط حوالي 30 ألف عسكري.

كان محمد بن عجرود يقود فوجا من 22 مجاهدا في منطقة أم خالد. وكان شجاعا باسلا، وكان الجو ممطرا في ذلك اليوم. وبينما نحن في الإدارة بالجرف بلغتنا أخبار تقول بأن بن عجرود قد اشتبك مع العساكر، فأسرعنا بالخروج لنجدته. وعندما وصلنا إلى الطريق لم نستطع المرور من كثرة الدبابات، الطائرات المحلقة والعساكر، ثم علمنا بأن بن عجرود وجماعته استشهدوا ولم ينج منهم إلا شخص واحد مازال على قيد الحياة.

س: من هو ذلك الشخص ؟

ج: أعرفه، ولكنني نسيت اسمه لأن المدة طويلة، وهو موجود الآن في الشريعة (تبسة). عدنا نحن من حيث أتينا أي إلى الجرف لأن السماء كانت تمطر، كان هناك العيد سالمي، بار سعد، عمارة باباي، جماعة

أولاد رشاش وأولاد معافة، إذ بعد اشتباك محمد بن عجرود واستشهاده، اشتبك هؤلاء مع العدو ونشبت معركة بين الطرفين لكنهم تمكنوا من الخروج في الصباح، أما نحن فقد تم حصارنا من كل الجهات في الجرف وبدأ قصف الطائرات، فتعذر علينا الخروج. وقد كنت مع جماعة الطكاكة أي رفقة حمة بن عثمان وحمة بن زروال. كنا نوجه نيران أسلحتنا نحو العساكر الموجودين في الجهة المقابلة لنا أي فوق مقر الإدارة (قيادة الأوراس - النمامشة) بينما صوّب المجاهدون الموجودون في الإدارة أسلحتهم باتجاه العساكر المقابلين لهم أي فوق المكان الذي احتمينا به لمنعهم من الوصول إلى الجهتين المتقابلتين ويفصل بينهما واد فيه كثير من العسل والخضر وغيرها من الخيرات. وفي هذه الأثناء كان القومية يشتمون ويعايرون المجاهدين.

كان هناك مجاهد يدعى العمرة يقود فوجا من 22 مجاهدا بأحد مرتفعات الجرف، اشتبك مع العدو واستشهد الجميع.

بقينا في أرض المعركة ثلاثة أيام بلياليها دون أكل ولا شرب دون تحرك من أماكننا. وقد تراكمت الأتربة علينا والشظايا على نصفي الأيسر.

س: لم تتحركوا من أماكنكم حتى في الليل؟

ج: لقد تحول النهار ليلا نتيجة قصف الطائرات والمدافع ونيران الأسلحة، وأصبح الليل نهارا من كثرة القصف والقنابل المضيئة، ولم نفكر بأننا سنخرج أحياء من المعركة.

وفي الليلة السابعة أي بعد ثلاثة أيام بلياليها، تشاور دعاس لزهر وهو رجل شجاع وسي بوبكر سالم الحاضر معنا يعرف ذلك، إضافة إلى بابانا ساعي وسيدي حني (بشير ورتاني) فتقرر الخروج من الجرف مهما كان الثمن، فمن سقط شهيداً يرحمه الله ومن تمكن من النجاة عليه بمغادرة المكان.

وقد تعذر علينا العبور لأن وادي هلال المنحدر غرباً كان عريضا والمنطقة التي نوجد فيها صعبة خاصة وأن العدو قد نصب 22 قطعة سلاح ثقيل عيار 24. عندما وصلنا إليهم صرخ المجاهدون بأعلى صوتهم الله أكبر، الجهاد في سبيل الله. كان عساكر العدو يصابون بالرعب عند سماع الله أكبر، فهربوا وتركوا قطع السلاح الثقيل.

واصلنا السير دون غنم الأسلحة لأننا مرهقون جراء الجوع، العطش والتعب. تمركز الجيش الفرنسي في المرتفعات المطلة على الوادي بينما كنا في الأسفل وسط هؤلاء. وبدأ إطلاق النار، واختلط عليهم الأمر وصاروا يسددون باتجاه بعضهم البعض، بينما خلد بعضهم إلى النوم في الوادي الملئ بأشجار الدفلة والرتم.

س: هل أصبت بجروح في معركة الجرف ؟

ج: لم أجرح . ولله الحمد . وفي اليوم الموالي التقى الأحياء الذين تمكنوا من الخروج من معركة الجرف وبعض القادة مثل عجول عجول، عباس لغرور ومجموعة أخرى. أما شيحاني بشير فقد تركناه في الكهف .

س: مع من تركتم شيحاني في الكهف؟

ج: بقي مع بعض المجاهدين في الكهف، أما بوبكر سالم فقد ألقي عليه القبض من طرف الجيش الفرنسي وتعرض لعذاب شديد ونكل به، ولكنه كما ترين مازال على قيد الحياة. كما ألقي القبض في نفس المعركة على بوسالم النوي وتعرض بدوره لعذاب شديد.

الاسم: علي.

اللقب: سالمي.

الاسم الثوري: العيد الرشاشي .

تاريخ ومكان الازدياد: 13 أوت 1926 في بابار، ولاية خنشلة.

سنة الالتحاق بالثورة: أواخر سنة 1954.

س: هل شاركت في معركة الجرف؟

بالنسبة للجرف كان عباس لغرور وسيدي حني قد زوداني بجيش، إذ بعد ارتفاع عملية التجنيد والانضمام إلى الجيش فكرت القيادة في تقسيمه إلى وحدات صغيرة لتسهيل عملية الإطعام بالنسبة للمواطنين من جهة ومن جهة ثانية لتفادي اعتباره جيشا حتى لا تحدث وشاية ويكتشف أمره. وقد كلفت بتدمير أو تخريب الجسور، ضرب مراكز العدو ونصب الكمائن وتم تعيين المجموعة التي أقودها.

س: كم جنديا كان معك، بالتقريب ؟

ج: في الأول كان معي قوام كتيبة تقريبا، لكني احتفظت بأربعين (40) جنديا فقط. بعد ذلك مباشرة شرعنا في تنفيذ المهمة، وهكذا ضربنا مركز ڤنتيس في الليلة الأولى والزوي في الليلة الثانية ثم تمركزنا في مرتفع حصين مقابل الحميمات.

في انتظار قدوم العدو وعندما وصلوا فاجأناهم بهجوم خاطف فقتلنا أغلبهم وأسرنا البعض الآخر وغنمنا الأسلحة والذخيرة وأحرقنا الشاحنات .

بعد انتهاء العملية قررنا تنفيذ الأمر بالتوجه إلى الجرف وتسليم الغنائم للقيادة هناك. مشينا قليلا ثم وصلنا إلى عين بوزخنينة الموجودة في جبل تكثر فيه الحشائش والنباتات فجاء من يبلغنا أمر القيادة التي تطلب منا البقاء هناك لمراقبة المكان.

وكان القائد شيحاني بشير قد وجه دعوة لمواطني المنطقة لحضور الاجتماع الذي قرر عقده. وقد كلفت المجموعة التي أقودها بتدوين اسم ولقب كل شخص يمر من ناحيتنا لحضور الاجتماع. في هذه الأثناء حُوصر محمد بن عجرود وفوجه في تلة جرداء فأرسلوا من يبلغنا أوامر القيادة التي تطلب منا الخروج بسرعة لنجدة بن عجرود وفك الحصار عنه. نفذنا الأمر وخرجنا وكان معنا مجند جديد أعتقد أنه حميداني أعطيناه سلاحا تقليديا (فوشي)، ولما كنا نسير ليلا حاول تسلق تلة فانطلق عيار من بندقيته فاكتشف العدو أمرنا فتبادلنا إطلاق النار معهم ولكن ظلمة الليل حالت دون إصابتنا بخسائر. أقبلت قوات العدو من الجبل الأبيض، الغرب، الشرق ومن كل الجهات فطوقت المكان وضربت علينا حصارا مطبقا فلم نستطع الوصول إلى بن عجرود ونجدته مع فوجه. ولم نتمكن من الإفلات من قبضة العدو إلا بشق الأنفس وبالسير ليلا، وقد بدأ العطش والجوع ينالان منا خاصة هذا

الأخير لأننا لم نتناول طعاما منذ ثلاث وجبات وصار الماء شحيحا لدينا لكن تساقط الأمطار أسعفنا. وبينما كنا نمشي ليلا اصطدم رجلي بشيء ملقى على الأرض، فعاينته ببندقيتي، فقد يكون ثعبانا، ثم انحنيت نحوه فإذا به كيس كبير من السميد فحملناه وواصلنا الطريق.

س: في هذه الأثناء لم تصلوا إلى الجرف بعد؟

ج: في هذا الوقت كانت معركة الجرف على أشدها بين المجاهدين وقوات العدو التي شاركنا فيها بعد ذلك.

س: من أية جهة دخلتم المعركة ؟

ج: دخلنا من جهة وادي هلال من المكان الذي توجد به بعض البيوت التي أقام بها العدو، وقد رأينا الدخان يتصاعد منها. وكان معنا مسؤول التموين وتخزين المؤن هناك، فطلبت منه أن يذهب ويتقصي لنا الأمر فإذا وجد عساكر العدو يعطينا إشارة بيده وإذا كان جنودنا نلحق بك، لكن ذلك الشخص ذهب ولم يعد أو يعطينا أية إشارة، فأخذت ثلاثة جنود ونزلنا مع الوادي ولما اجتزنا الماء وأشجار الدفلة لنشرف على العدو أوقفنا فجأة عسكري فرنسي كان يعمل على قطعة سلاح. وقد منعته أشجار الدفلة وجذورها من حصدنا فقتلناه وسقط على سلاحه، وبدأ رصاص العدو يتساقط حولنا من كل الجهات، فأمرت الجنود أن ينقسموا إلى مجموعات كل واحدة تضم جنديين لا أكثر. وعندما يشرع فوج منهم في الإطلاق للتغطية تتقدم المجموعة الأخرى وهكذا إلى أن تمكن بعضهم من بلوغ مكان مرتفع وحصين، فنصبوا

سلاحهم باتجاه العدو. ولما وصل دوري أنا والجندي الذي معي، تمكن هذا الأخير من الخروج بينما أنا قابلني مرتفع عال فاحتميت بصخرة ضخمة فحلقت طائرة معادية لتفقد العساكر فلم ترنا، وخلال دورتها مرت بالقرب من الوادي ففتحنا عليها نيران أسلحتنا، وبعد أن اندلعت فيها النيران سقطت غير بعيد منا من الجهة الشرقية، فخف الضغط قليلا وتمكن رفاقي من الخروج بينما أصابت قذيفة من مدفع بازوكا الجهة التي كنت فيها فكدت أردم حيا، ولم أخرج إلا بعد جهد كبير مع أني لم أصب بجراح. في الغد استطعت اللحاق بمجموعتي.

في الليلة الموالية خرجت المجموعة التي كانت في الجرف والتقى الجيش كله في الجديدة، فحاصرنا العدو لكن تمكنا من الإفلات من قبضته ثم توجهنا إلى الخناف لكحل فطوقنا من جديد من طرف الجيوش التي كانت في الجرف ومعهم قوافل البغال المحملة بالذخيرة والمؤونة وغيرها. ونصبوا أسلحتهم واستعدوا للمعركة، لكن الاشتباك لم يقع في الخناف لكحل. بعدها كلفني سيدي حني بالذهاب رفقة عمر البوقصي لضرب المركز الذي أقامه العدو في الجرف في كل ليلة ثم نعود إلى جماعتنا حتى يغادر العدو المكان وبالتالي نتمكن من معرفة أخبار ووضعية شيحاني والمجموعة التي بقيت معه في الكهف.

عندما وصلنا إلى منطقة العلف وجدنا شخصا يرعى الماعز فسألناه إن كان قد شاهد أمرا غير عاد، فأخبرنا أنه رأى مجموعة صغيرة من الأشخاص في المكان الفلاني ولكنهم لم يشأوا السير في الأماكن

المرتفعة أو الجرداء ولا أعرف إن كانوا عساكر أو من جيش التحرير، فأرسلنا بعض الجنود لاستطلاع الأمر وطلبنا منهم اتخاذ المسالك المحمية، وبالفعل وجدوا شيحاني والمجموعة التي كانت معه فأحضروهم.

الاسم: العربي.

اللقب: شراب.

تاريخ ومكان الازدياد: في سنة 1917 بالمحمل دائرة ششار، ولاية خنشلة.

تاريخ الالتحاق بالثورة: 15 فيفري 1955.

س: من الذي جندك؟

ج: جُندت على يد سالمي العيد وبقيت معه أربعة أشهر وستة أيام، بعدها انتقلت إلى عمر البوقصي وذهبنا معا لجمع السلاح .

س: حدثنا عن معركة الجرف.

ج: الجرف التي شارك فيها الجميع من وهران إلى تونس مثل محمد الوهراني، آكلي، محمد لصنامي، صدراتي. محمد لصنامي كان أول من استشهد حيث ظل العساكر ينادونه باسمه طوال اليوم، وفي المساء سقط في ميدان الشرف. أما أنا، بوبكر سالم وصالح زبير فقد كنا مع الإدارة أي شيحاني بشير، عجول عجول وعباس لغرور.

وبعد يومين أو ثلاثة من وصولنا إلى الجرف نظم اتصال (اجتماع) دعي إلى حضوره مواطنو تبسة وما جاورها. وقد كان الحضور كثيفا، وأخبرني بعضهم أن الشيخ العلابي التبسي وشقيقه الزين قد حضرا الاجتماع لكنني شخصيا لم أرهما.

أقيم الاجتماع في طرف سميدة بن عباس الزرمومي بالطرفاية. وقد صعدت رفقة صالح زبير فوق تلك الديار للقيام بحراسة الإدارة. أما بوبكر سالم فقد كان في مقر الإدارة بالأسفل مع القيادة المتكونة من: شيحاني بشير، عجول عجول، عباس لغرور وغيرهم وبعد أن حضرت جموع المواطنين بكثرة ألقى بشير شيحاني خطابا مطولا تحت أضواء المصابيح التقليدية، ثم تناول الكلمة عباس لغرور، عجول عجول وألقى كل منهما خطابا.

بعد عودة جماهير المواطنين إلى ديارهم، رجعنا بدورنا إلى أماكننا. وفي صباح يوم الغد حلقت طائرة عدوة فوق وادي الجرف أين كنا متمركزين عدة مرات، فطلبنا الإذن من عباس لغرور لإطلاق النار عليها لكنه رفض ذلك رفضا باتا قائلا لقد تمت الوشاية بنا لأن عدد المواطنين الذين حضروا الاجتماع كان كبيرا وقد يكون من بينهم خونة.

في الليل حاولنا الخروج من الجرف، ومشينا خلف الزين عباد وشقيقه الحبيب وجنودهما، لكن تمكن جيش العدو من عزلنا عن جيش الزين الذي استطاع الإفلات من قبضة العدو، ولما تعذر علينا الخروج عدنا إلى موقعنا. في صبيحة الغد وجدنا المكان مغطى بالأذخنة، وعساكر العدو قد انتشروا وقوافل البغال المحملة بالذخيرة وغيرها. وفي المساء شرعت كل المراكز القريبة من الجرف في قنبلتنا بواسطة المدفعية بعيدة المدى، وفي كل مرة كان يسقط حولنا ما بين 70 و 80 قنبلة دفعة واحدة لكنها كانت تقع بالوادي. وفي اليوم الثاني قذفتنا

الطائرات بالغازات المحرمة دوليا فتسرب إلينا وأصاب عيوننا لكننا أخذنا أماكن دفاعية.

س: هل كانت أماكنكم محصنة؟

ج: نعم لقد كانت محصنة. وقد قاد معركة الجرف من الجانب الفرنسي ثلاثة جنرالات للإشراف على ما لا يقل عن 30 أو40 ألف عسكري للتشاور حول كيفية القضاء علينا. وكنا نسمع بالقرب منا الأوامر الصادرة للكتائب بالتقدم إلى الأمام باتجاهنا وتسليط نيران أسلحتهم علينا. ثم دخلت ميدان المعركة جرافات الهندسة العسكرية التي مهدت الطريق لدخول الدبابات. وفي هذه الأثناء كنا قد أخذنا أماكننا دون حراك.

دامت هذه المعركة حوالي 82 ساعة حيث بدأت في 22 سبتمبر على الساعة السادسة صباحا إلى غاية 25 من نفس الشهر في العاشرة ليلا. وقد استقدمت فرنسا الجيوش من كل مكان من إفريقيا، المغرب، من كامل التراب الجزائري وغيرها واستعملت الطائرات، الدبابات، المدفعية...الخ

ولم يدم التفكير طويلا لنتفق على الخروج لأن مصيرنا في الجرف أصبح ميئوسا منه بعد كل تلك الحشود والعتاد والمعدات.

كان معي جندي يدعى محمد عجال من أولاد عمارة تمكن بمفرده من قتل ما بين 20 و25 عسكريا بواسطة السيف، فقد خضنا معركة ملتحمة مع عساكر العدو بالسلاح الأبيض على مدى لا يقل عن 06 كلم لأن

فرنسا كانت جندت لهذه المعركة الكثير من جيوشها المتواجدة على التراب الجزائري كما استعانت بقواتها في المستعمرات الإفريقية: تونس، المغرب وبعض دول إفريقيا المتاخمة للجزائر فحشدت ما بين 30 و 40 ألف عسكري مجهزين بأحدث الأسلحة، الآليات، الدبابات والطائرات...الخ.

عندما خرجنا من الحصار المضروب علينا بقوة السلاح خلف ذلك أثرا سلبيا في معنويات العدو الذي أصيب عساكره بالفشل والإحباط.

الاسم: بوبكر.

اللقب: سالم.

تاريخ ومكان الازدياد: 15 جويلية 1933

بولاية خنشلة .

تاريخ الالتحاق بالثورة: كنت مناضلا في الحركة الوطنية من شهر أفريل سنة 1950 (حركة انتصارالحريات الديمقراطية في خنشلة) إلى غاية انفجار الثورة.

س: هل يمكنك أن تحدثنا عن معركة الجرف؟

ج: بالنسبة لمعركة الجرف، كان مركزنا بعين القلعة وكان معنا العربي شراب وبعض الجماعة الحاضرة هنا فوصلتنا أخبار تفيد بأن هناك مجموعة كبيرة من الأسلحة ستدخل التراب الوطني قادمة من تونس، لأن شيحاني بشير كان قد كلف لزهر شريط وهو بطل ومحل ثقة القائد بأن يشرف على كامل منطقة الحدود بناحية بئر العاتر فيجمع كل الأسلحة ويخزنها إلى أن أحضر فأقوم بتوزيعها لأن الطلبات عليها تتزايد سواء من الشمال، سوق هراس أو غيرها والكل يعول علينا وكأننا أصبحنا معملا للأسلحة.

وفي طريقنا إلى الجرف وأثناء استماعنا إلى أجهزة الراديو علمنا بحوادث 20 أوت 1955 وكيف ثارت 40 مدينة فأمر شيحاني بتوقف القافلة ثم جلسنا في أحد المراكز وواصل الاستماع إلى الأخبار. وللتاريخ ضرب شيحاني يدا بيد وقال "أنها عملية انتحارية". وبعد أن فكر قليلا قال إن هذه العملية ستُقدم الثورة الجزائرية بعامين أو ثلاثة أعوام. كان شيحاني قد أرسل الأسلحة إلى زيغود يوسف على ثلاث دفعات في قوافل يشرف عليها قرفي الربيعي، مرير لحسن، بلقاسم بن عكري وآخرون.

س: هل استعملت تلك الأسلحة في أحداث 20 أوت؟

ج: نعم، لأننا تحكّمنا في سوق هراس التي أصبح على رأسها عباس غزالي ونفس الشيء بالنسبة لعنابة حيث سيطرنا على الحدود من الذرعان حتى فزان وذلك بأمر من بن بلة، وقد ذكرته عدة مرات وأمام الملأ بالأوامر التي أعطاها في هذا الشأن، وفي إحدى المرات قال بأن الأسلحة التي أرسلتموها لنا أخذ بن طوبال جزءا منها والباقي أخذه زيغود يوسف ولذلك فإن بن عودة أحد أعضاء مجموعة ال 22 مفجرة الثورة لم يكن لديه سلاح ليلة إعلان الثورة.

أنا أيضا(بوبكر سالم) كنت أحمل حقيبة الأدوية فقط في تلك الليلة ولم يكن لدي سلاح، والحديث سيطول عمن كان يملك سلاحا في تلك الليلة. فجأة تغيرت الأمور وأصبح الحديث يدور حول مسائل أخرى كمنع التدخين، عدم دفع الغرامة وأمور أخرى، فقد غيرت أحداث 20 أوت

1955 الأوضاع كلها. وبعد أن كنا نعمل على تحضير الاحتفال بذكرى الفاتح من نوفمبر، ظهر إلى الوجود تكتيك جديد وتغير الكلام...الخ.

بعدها وصلنا إلى رئيس المنطقة شامي محمد ونائبه ورتال بشير قاموا باستدعاء كل أهالي تبسة من القايد إلى حراس الغابات، فجاءوا إلى رأس الطرفة يوم 20 سبتمبر، واستمع الجميع إلى الخطاب الذي ألقاه شيحاني بشير لمدة ساعاتيين أو ثلاث، وقد قمت بتسجيله كاملا.

س: هل لديك التسجيل بصوت شيحاني؟

ج: لا، قمت بكتابته، أما قضية الصوت فهذا موضوع آخر، إذ حاولنا إنشاء سينما خاصة بالثورة لكن ذلك لم يتم، فقد أحضروا لنا الكاميرا من أجل تسجيل المعارك، وكان من المفروض أن أشرف أنا وخميسي وقاد على عملية الإخراج، لكن تلك الطموحات لم تسمح الظروف آنذاك أن تتحول إلى حقيقية. وقد رويت تلك الوقائع للسينمائي الفرنسي روني فوتيي والذي قال لي بالفعل لقد تحدثنا في ذلك الوقت على إنشاء نواة لسينما الثورة، فأخبرته بأن الكاميرا والأفلام التي جلبناها من الرديف قد تم حجزها في معركة أم لكماكم، وبذلك لم نستطع تخليد مآثر الرجال بالصوت والصورة نحن الذين كان في نيتنا تصوير معارك الثورة.

يقول البعض إن معركة الجرف بدأت بعد انتهاء خطبة شيحاني ومعركة الجرف معركة كبيرة كان لها صدى في العالم، خاصة المشرق

العربي الذي رفع رأسه من انتكاسة فلسطين التي ثأر لها مجاهدو الجزائر.

وقد قاد معركة الجرف ثلاثة جنرالات هم: بارلانج من باتنة، دي كورنو من ميدان المعركة وبوايي دولاتور دي مولان من تونس. ذكر مجاهد قبل قليل بأن 30 ألف جندي قدموا من تونس والحقيقة أن هؤلاء هم الإضافيون (الحركة) الذين أخذتهم فرنسا من الجزائر إلى تونس. وعندما وضع التونسيون السلاح عادوا إلى الجزائر وشاركوا في معركة الجرف التي دارت أيام 24/23/22 سبتمبر، وقد ألقي علي القبض يوم 25 حيث تم الحصار كما يلي: الخط الأول يتشكل من المغاربة ولا يوجد بينهم أي أوربي، والمغاربة هم من ألقوا علي القبض وأتذكر أسماء بعضهم: حمو، لاجودان، فرحي...الخ، يأتي في الصف الثاني عساكر اللفيف الأجنبي، فالمظليون، ثم تأتي بعدهم فرق الجيش الأخرى كالدرك، الشرطة وغيرهم أينما توجهت تجد العساكر. وقد استمرت المعركة ليل نهار وكان العدو يستعمل في الليل الأسهم المضيئة.

في الليلة الأخيرة من المعركة وبعد أن تقرر الخروج قال عباس لغرور بما أنني سأخرج بجيش كبير فسأخذ الطبيب معي لأننا سنحتاج إليه حتما فأجابه بشير شيحاني قائلا: منذ عهد مصطفى بن بولعيد، لا نعرض الطبيب للخطر فهو مدافع وليس مهاجما، ولذلك سيدخل معنا إلى الكهف الذي كان فيه: شيحاني، زروالي، محمد شامي، علي غزال

المعافي وعبد العزيز سديرة لا يزال على قيد الحياة، والمغارة صغيرة وصخورها ضخمة الله وحده الذي أنار سبيلهم للخروج منها.

منذ قليل قال أحد الحضور بأنه حمل حقيبة الطبيب وذلك بعد أن عالجت الوردي قتال وهو لا يزال حي يرزق ويمكنه تأكيد ذلك. والمجاهدون الحاضرون معنا اليوم يمكنهم أن يشهدوا كيف أني خرجت مع الزحف أي مع الجيش. لكن عباس لغرور أعطى أمرا بأن يهيئوا لي كهفا لأختبئ فيه رفقة شخص آخر لكن مكاننا كشف فاستشهد بجانبي بخوش محمد السدراتي بعد أن قتل أحد الجنود المغاربة، وكان سلاحي عبارة عن بندقية خفيفة إيطالية الصنع أطلقت بواسطتها النار، وبعدها لم أعد أرى شيئا.

توالت المحاكمات، حيث صدرت في حقي ثلاثة أحكام بالإعدام دون سبب وجيه، واتهموني بقتل رائد وحرق عدة منازل وأنا بريء من تلك التهم لأنني كنت في القواعد الخلفية بعين السيلان. وحوكمت عدة مرات ثم سجنت في سركاجي مع رابح بيطاط، مفدي زكريا، الإخوة حميش وغيرهم. وتم توكيل المحامين للدفاع عني فجاءت المحامية جيزال حليمي ومحامون آخرون من فرنسا فصرحت لهم بأنني لم أقتل أحدا أثناء الثورة ولم أشهد مقتل أحد، واقتصرت مهمتي على الطب (العلاج) والأدوية.

الاسم: بوطرفي

اللقب: رمضان

تاريخ ومكان الازدياد: 10 مارس 1933

بلدية جلال دائرة ششار ولاية خنشلة.

س: كيف ومتى تم التحاقك بالثورة؟

ج: في بداية الثورة قدم إلى دوارنا ولأول مرة كل من عباس لغرور، معاش مسعود ولصنامي محمد. وقد عرض علي لغرورالانضمام إلى الثورة وكنت صغيرا لا أفهم السياسة ولما قلت له وكيف السبيل إلى ذلك قال تذهب معنا. وكان ردي سأفكر في الأمر.

بعد ذلك جاء الحاج محمد كربادو وعرض علي الالتحاق بهم، فما كان مني إلا أن رافقته إلى قبو حيث وجدت الشيخ عباس لغرور الذي سألني هل انضممت إلينا، أجبته بنعم، فقال: بالبركة عليك، ثم أخرج مسدسا وقدمه لي.

وبعد عدة عمليات ذهبنا إلى وادي هلال، وفي حدود الساعة الثامنة أو الثامنة ونصف، حلقت طائرة أعلى الوادي فوق المكان الذي يوجد به كل من شيحاني بشير، عباس لغرور وعجول عجول. وقد جلس إلى جانب قائد الطائرة شخص آخر كان يرتدي برنوسا، عمامة وقندورة.

استأذن عبد الكريم من بادس كاتب لخضر سرحان في إطلاق النار على تلك الطائرة، لكن هذا الأخير رفض. قامت هذه الأخيرة بدورة أولى وفي الثانية انصرفت. بعد مدة قصيرة أعلنوا عن قدوم العساكر من رأس العش باتجاه الشريعة، حينئذ أمر الشيخ عباس لغرور رؤساء الأفواج باتخاذ أماكنهم رفقة جنودهم استعدادا لمواجهة العدو. تمركز بن عجرود في رأس الجبل، وكان عمران ابن عمي أول من أطلق النار بواسطة السلاح الثقيل، ثم بدأ الاشتباك من الكهفين واستمر إلى غاية الليل، فتوقف الطرفان عن تبادل إطلاق النار.

ومع طلوع فجر اليوم الموالي عاد صوت الرصاص يدوي من جديد.

س: من الذي بادر بإطلاق النار؟

ج: العدو من رأس الجبل، ونحن منتشرون داخل الكهوف التي يتوسطها الوادي. وقد استمر القصف بالطائرات والمدفعية من رأس العش طول النهار إلى غاية حلول الليل. وفي اليوم الثاني اشتبكوا مع محمد بن عجرود وفوجه فاستشهدوا جميعا.

في اليوم الثالث، كان عساكر العدو يحاولون التقدم نحونا ثم يولون الأدبار بسبب إطلاق النار ثم رأيت ضابطا وهو يضربهم بالعصا ليحثهم على الهجوم على مواقعنا.

س: هل رفضوا التقدم؟

ج: انتشروا كالجراد. كان معي في نفس الفوج علي الهمامي لديه سلاح من نوع خماسي فقال للجنود أحرسوا فقط ذلك الفرنسي أريد التخلص منه بالذات، وقد تمكن فعلا من القضاء عليه بواسطة سلاحه.

وفي اليوم الثالث دائما، قرروا الهجوم من الجهة السفلية للوادي في تلك الليلة مهما كانت الظروف حتى لو اقتضى الأمر الاستشهاد أو الأسر، لأن الموت قادم لا محالة إذا بقينا هناك فنفذوا عملية الخروج.

س: هل سقط شهداء بالقرب من مكان تواجدك؟

ج: لا، لم أر ذلك لأن مكاني كان في عمق الكهف وبعيدا عن المدخل.

س: لا أقصد من كانوا معك؟

ج: بالنسبة لمن كانوا معي لم يستشهد ولم يصب أحد منهم بجروح.

س: كيف تمت عملية خروجك ؟

ج: كان الخروج بالقوة أي نهاجم ثم نجري، وقد أُعطيت الأوامر بعدم الالتفات أو التوقف عندما يسقط أحد أو يلقى عليه القبض.

س: بعدما خرجتم من المعركة أين توجهتم؟

ج: اتجهنا جميعا غربا ناحية الصحراء.

س: متى التحق بكم شيحاني بعد خروجكم وأين؟

ج: بعد 10 أو 15 يوما لا أذكر التاريخ بدقة، وذلك في المراح لحمر غرب القلعة.

الاسم: صالح

اللقب: زبير

تاريخ ومكان الازدياد: 1 ديسمبر 1933

دوار عالي الناس آنذاك وحاليا يسمى بلدية جلال دائرة ششار ولاية خنشلة.

س: متى جندت؟

ج: جندت سنة 1955.

س: من الذي جندك؟

ج: جندت على يد عبد الوهاب عثماني، نائب عجول عجول، وقد أصبت برصاصة في بطني في عملية الهجوم على كاف لبانة، وقدم لي الاسعافات الأولية عبد المجيد علوان. وعندما عاد بو بكر سالم من عند عجول طلب منه لزهر شريط أن يعالجني وتماثلت للشفاء بعد شهر تقريبا.

بعدما تعافيت ذهبت إلى عجول عجول الذي كان متمركزا في غاسكيل بدوار كيمل، وكان هو الآخر جريحا حيث أصيب في كتفه، إصابة خفيفة.

بعدما شفينا (عجول والمتحدث) استدعانا شيحاني بشير الذي كان في مقر القيادة بالقلعة رفقة بوبكر سالم ، وكانت توجد فصيلة خاصة لحراسة شيحاني تضم ما بين 30 و40 جنديا تقريبا. وقد خرج معنا لخضر مباركي عندما ذهبنا إلى القلعة تلبية لدعوة شيحاني. قضينا

ليلتنا بالقلعة وكان شيحاني يجتمع بين الحين والآخر بعجول، عباس وسيدي حني.

ومن القلعة توجهنا إلى الجديدة حيث مكثنا يومين ومنها انتقلنا إلى الجرف. كان وادي هلال مكانا حصينا وبه مركز كبير وهناك لحق بنا سيدي حني. وقتها كنا جنودا بسطاء وليس لدينا معلومات حول ما يجري. في المساء أرسل شيحاني باعتباره المسؤول الأول مبعوثين لاستدعاء مواطني تبسة، الشريعة ألخ، وأمر القياد، البشاغات والأعيان بضرورة حضور الاجتماع.

في حدود التاسعة ليلا قدم المدعوون على ظهور الخيل والبغال. و قد أقيمت نقاط لحراسة مشددة بعيدا عن مركز القيادة. كان الجيش كبيرا، ومر كل المدعوين على مراكز المراقبة. وفي ما يتعلق بالأشخاص الذين كانوا قريبين من القيادة، فقد وضعنا سلكا على محيطهم لحراستهم، كان النظام محكما لم تكن الثورة تأتمن على نفسها. ظل شيحاني يخطب أمام الحاضرين مدة ساعتين أو ثلاث تقريبا باللغتين العربية والفرنسية لتوعية الناس بضرورة الثورة والتعريف بها لرفع كل لبس قد يدور حولها في أذهان الشعب.

في حدود منتصف الليل أو الواحدة صباحا انصرف المدعوون وعدنا نحن إلى المركز في رأس الطرفة (وادي هلال).

في اليوم الموالي وعلى الساعة العاشرة ليلا أتانا خبر قدوم قوات العدو بأعداد كبيرة وتبعا لذلك قررت القيادة الذهاب إلى مسحالة والجبل

الأبيض ما دامت القوة كبيرة. وما أن قطعنا مسافة 3 أو 4 كلم حتى وجدنا المكان محاصرا وشرع العدو في قصفنا بالمدفعية فأصاب أفراد الدورية الأولى والتي كانت قريبة من القيادة.

س: ممن كانت تتشكل هذه الدورية الأولى؟

ج: كان يوجد بهذه الدورية شيحاني بشير، عباس لغرور، عجول عجول، سيدي حني، الوردي قتال وبابانا ساعي. وبعد هذا الاشتباك سأل كل من شيحاني، عجول وعباس هل يوجد مكان يمكن الوصول إليه قبل طلوع النهار حتى نتحصن فيه ونتمكن من الدفاع عن أنفسنا إذا طاردنا العساكر، فقالوا له لا يوجد. الجديدة بعيدة لا يمكننا الوصول إليها فعدنا إلى الجرف.

قام بعض المسؤولين بتوزيع الأفواج على كل الجهات، وقتها لم أكن أعرف الأفواج الأخرى ماعدا الفصيلة الخاصة بعباس أما سيدي حني فقد كنت أعرفه شخصيا أما جيشه فلا علم لي به.

س: من الذي كان مسؤول فوجك؟

ج: مسعود بلحاج مختاري من أريس الذي كان يتصل مباشرة بعجول. في اليوم الأول للمعركة حاصرتنا قوات العدو على الساعة الثامنة بالضبط ثم بدأ إطلاق النار الذي استمر مدة ثلاثة أيام ونصف بين الطرفين، بحيث كان يتوقف في الليل بعد الغروب ليستأنف مع طلوع نهار اليوم الموالي بصفة عظيمة لا مثيل لها.

شنت الدبابات هجوما على الجهة التي كان يوجد بها كل من الوردي قتال ومحمد لصنامي رحمه الله الذي كان قد فر من الجيش الفرنسي ليلتحق بالثورة وكان لديه سلاح ثقيل كالذي كان بحوزة عباس.

س: ألم تنفذ ذخيرتكم خلال الثلاثة أيام؟

ج: تلقينا الأوامر بعدم إطلاق النار قبل التأكد من إصابة الهدف (العدو).

س: هذا ليس بالأمر السهل دائما أليس كذلك؟

ج: في الحقيقة كان النصر من عند الله لأن عدد جنود جيش التحرير الوطني لم يكن كثيرا 140 أو 150 إنما كان هناك رجال وكان هناك إيمان.

س: هذه قضية اختلفت الأراء حولها فهناك من يقول بأن العدد فاق الـ 500.

ج: لا أظن ذلك. لم أر 500 جندي هذا رأيي الخاص، قد يقول لك قائل 500 ربما تكون 100 ألف لأن الله كان معهم وربما أنزل الملائكة لتكافح معنا.

س: بعد انقضاء مدة ثلاثة أيام ونصف من أين خرجتم؟

ج: بعد هذه المدة، عقدت القيادة اجتماعا وكما تعلمين فإنه بعد إلقاء القبض على القائد مصطفى بن بولعيد فإن كل قيادة الأوراس النمامشة كانت في الجرف: شيحاني البشير، عجول عجول، عباس لغرور، سيدي حني، بابانا ساعي، الوردي قتال ومحمد شامي. حسب ما سمعت،

لأنني لم أحضر الاجتماع، لكن لخضر مباركي كان حاضرا، فهو الذي يقوم على حراسة الإدارة. أما نحن فقد كنا على مسافة 6 أو 7 أمتار منهم. يقال إن شيحاني طلب منهم خلال هذا الاجتماع تنظيم الأفواج استعدادا لعملية الخروج، على أن يبقى هو رفقة القيادة لأنه إذا تمكن العدو من تصفيتها فقد تفشل الثورة في كل الأوراس. وحصل اختلاف حول هذه المسألة فهناك من قال بأن الجنود إذا لم يروا القيادة في المقدمة، فلن يخرج منهم أحد. وفي النهاية توصلوا إلى حل وسط يتمثل في خروج قادة الجيش مع بقاء شيحاني في الجرف رفقة فوج صغير.

جمعنا الأفواج وتصدر عباس لغرور المقدمة، يليه الوردي قتال بجيشه ثم عجول عجول وسيدي حني. وكان عساكر العدو قد تمكنوا من التقدم نحو مواقعنا حتى وصلوا إلينا في اليوم الأخير. إطلاق النار لم يبدأ بعد وكل منا ظن بأنه سيموت. تمهل الجيش قليلا في زحفه ثم تكلم سيدي حني وأعطى الأمر بالتقدم معلنا الجهاد في سبيل الله ومنه تكلم الرصاص من كل الجهات مرفوقا بالأسلحة الثقيلة، في أول الأمر أرسلوا سهما ضوئيا، فقال عباس لغرور رحمه الله: " الإشارة يا رجال"، فصوب نحوها الوردي قتال - مازال على قيد الحياة في تبسة- سلاحه الخماسي ففجرها بالرغم من إصابته ومن ثم لم يعاودوا إرسال الأسهم الضوئية أو إطلاق النار. كنا نمر بالقرب منهم بحيث كانت المسافة التي تفصل بيننا لا تزيد عن 1 متر لكنهم تخوفوا

من الهجوم علينا. عند خروجنا من هناك غنمنا سلاحين فرنسيين: عشاري أوتوماتيكي وماس.

افترقنا بعد خروجنا، بحيث عاد عباس لغرور إلى الجبل الأبيض بينما توجهنا نحن إلى وادي العلــق.

س: متى لحق بكم شيحاني؟

ج: لحق بنا شيحاني، بعد يومين أو ثلاثة رفقة بابانا ساعي وكاتبه محمد شامي وآخرين لا أذكر أسماءهم، بقوا هناك مدة ثلاثة أيام.

س: هل اجتمع بكم أو ألقى عليكم خطابا؟

ج: عقد اجتماعا مغلقا خاصا بالقيادة وكانت مهمتنا كجنود القيام بالحراسة دون محاولة معرفة ما يقومون به. مع حلول المغرب جاءتنا معلومات تفيد بقدوم قوات كبيرة نحو المركز نتيجة وشاية، رحلنا من ذلك المكان وبعد قطع مسافة 3 أو 4 كلم قضينا الليلة وأمرنا عجول بإقامة الحراسة لأن العساكر قادمون ولم يعد يفصلنا عنهم إلا حوالي 2 كلم فقط.

غادرنا المكان في صباح اليوم الموالي على الساعة الثامنة بعدما تأكدنا من عدم وجود العساكر عدنا إلى موقعنا فوجدنا شيحاني وعجول يتحاوران وكان معهم بابانا ساعي، عباس لغرور والباهي شوشان.

الاسم: لخضر

اللقب: مباركي المدعو البرجي

تاريخ الازدياد: سنة 1934

س: متى التحقت بالثورة؟

ج: التحقت بصفوف جيش التحرير الوطني عام 1955.

شاركت في عدة كمائن. ومن أكبر المعارك التي شاركت فيها معركة الجرف التي فُرضت علينا. فقد غادرنا كيمل لنتجه إلى القلعة رفقة عجول عجول. وهناك عقد شيحاني اجتماعا للمواطنين. بعد الاجتماع ذهبنا إلى الجرف وهناك سمعت بأنهم ألقوا القبض على أحد الوشاة وأخبرهم أن الجرف سيحاصر غدا.

س: من الذي أتى به؟

ج: المجاهدون. بدأ التشاور بينهم حول الوجهة التي سيأخذونها، هل هي نحو الجبل الأبيض أم إلى الجديدة؟

س: كم يبعد كل منهما عن الجرف؟

ج: أظن 30 كلم لكل منهما. قرر عباس لغرور الذهاب إلى الجبل الأبيض ولكن عند خروجنا في آخر الليل فوجئنا بقدوم العدو، بدأ التشاور حول

المكان الحصين لكي نرجع إليه فكان الجرف، تمركزنا هناك حيث كان الوردي قتال في مدخل الوادي جهة العقلة وكان بابانا ساعي في الخناق الأسفل . على الساعة العاشرة صباحا نطق الرصاص. والجرف لمن لا يعرفها هي منطقة تقع بين جبلين يتوسطهما الوادي، فكانت بذلك قذائف العدو سواء بواسطة الطائرات أو المدفعية لا تصل إلى المجاهدين وإنما تسقط في الوادي. مكثنا هناك ثلاثة أيام ونصف وكان كل طعامنا يتمثل في التمر وكنا بعيدين عن القيادة أمثال شيحاني بشير، عجول عجول، عباس لغرور، سيدي حني وبالتالي لا علم لنا بنوعية وكمية الطعام الذي كان لديهم. في الليلة التي تقرر فيها الخروج خاطبهم أحد الحركى من الجهة الغربية قائلا لنا إذا كنتم مجاهدين حقيقيين أخرجوا، فرد عليه مسؤول الفوج الذي كنت فيه مختاري مسعود رحمه الله قائلا الليلة سنخرج وتعرف حينها إن كنا كذلك أم لا، ثم أنشدوا "من جبالنا" بدءا بفوج بابانا ساعي وصولا إلى فوج الوردي قتال. كان يتحتم علينا حتى نتمكن من الخروج أن نجتاز الوادي على شكل مثلث. وكان هناك عجول عجول، سيدي حني وعباس لغرور، فقال الأول إن الخراطيش نفذت لذلك سنخرج اليوم قد ينجو الثلث ويموت ثلثان أفضل من أن يقبضوا علينا جميعا. لم نقل شيئا لكن سيدي حني ألقى خطابا حماسيا لدرجة أحسسنا معها أننا غير مهددين بالموت في أية لحظة. وكان هو أول من تقدم ليعبر الوادي، بدأ العدو يطلق النار صوبنا ويرسل الأسهم الضوئية لكن الوردي قتال وكنت رفقته صوب نحوها سلاح خماسي

ألماني فأصابها. بعد ذلك عبرنا الوادي فوجدت عباس لغرور هناك بالقرب منه بغل - أعزكم الله- غنموه من فرنسا محمل بقذائف المدفعية فوزعها على المجاهدين، أعطاني واحدة لأحملها. سرت قليلا ولما وجدتها ثقيلة قلت في نفسي هو لا يعرفني فرميتها. كنا من ضمن فوج عجول عجول ولما خرجنا قُطع الاتصال بين عجول والمجاهدين: المتحدث، مسعود مختاري وعبد الكريم من بادس. قررنا الذهاب إلى الجبل الأبيض ولكننا اصطدمنا بالعساكر فعدنا إلى مواقعنا. ولم يكن في استطاعتنا التوجه إلى وادي العلف فقد بزغ الفجر. لذلك أمرنا عباس لغرور بالتمركز وحفر خنادق. شرعنا في عملية الحفر بفؤوس صغيرة وكنت رفقة علي الهامي من تونس. أثناء الليل تكلم البارود في الجرف ومن بين الذين بقوا هناك بوبكر سالم فاشتبكوا معهم بما أنهم لم يجدوننا. من الجبل الأبيض توجهنا نحو الجديدة. حسب المعلومات التي أتتنا فإن الحصيلة كانت 40 بين أسير وشهيد. لم يكن لدي أية معلومات عن شيحاني. وبعد تسعة أيام التحق بنا في أولحاج رفقة كاتبه محمد شامي ورئيس فصيلته الباهي شوشان.

الكلمة الختامية

لمعالي وزير المجاهدين

السيد محمد شريف عباس

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته، بسم الله الرحمن الرحيم، الصلاة والسلام على أشرف المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين.

سيداتي الفضليات، سادتي الأفاضل، ها نحن نأتي على اختتام أشغال ملتقانا الدولي هذا الذي خصصناه للحديث، النقاش، التحليل والتعقيب على حادثة معينة وهي معركة الجرف الشهيرة، لكن الكثير من الإخوة المتدخلين منحتهم معركة الجرف الفرصة ليتكلموا ذات اليمين والشمال عن قضايا وأخبار ومعلومات قد تكون صحيحة وقد تكون محل تحقيقٍ وتدقيقٍ.

المهم بالنسبة إلينا في هذه المناسبة هو التأريخ لمعركة الجرف بكل أبعادها حتى نجسدها في كتاب، وثيقةٍ رسميةٍ مدققةٍ ومصححةٍ وحتى نجعل منها كتاباً بالصورة والصوت لتعرفها الأجيال أولا في بلادنا، وآنذاك تنتقل إلى المدارس العسكرية ولما لا في أصقاع العالم لتدرّس هذه المعركة بما فيها من إستراتيجية وتنظيم، عبقرية، شجاعة، بطولة، إلهام وموهبة...الخ كلها تصُب في تعزيز كفاح الشعب الجزائري.

في الحقيقة أنني كما قلت أردنا الحديث فقط عن هذه المعركة لكننا أهملنا بذلك بعض الجوانب الحساسة التي كان يجب أن تكون مرافقة، أقصد أنه إذا تكلمنا كثيرا عن المعارك، القتال، جيش التحرير،

الشجاعة، البطولة وعن التضحية ولكن إذا لم نرافقها بنضالات الشعب الجزائري، نضالات المواطنين، معاناتهم، وأنا أعرف ما تعرفون جميعا أن أبناءنا الذين يبلغون اليوم من العمر 30 أو40 سنة لا يعرفون نضالات المواطنين ولا وضع المدن الجزائرية كيف كان، فهل قلنا لأبنائنا أن معظم شوارع المدن الجزائرية كانت مسيجة بالأسلاك الشائكة حتى يكون تنقل المواطنين بانتظام حسب ما يريده الاستعمار؟ هل قلنا لأبنائنا أن تنقل الجزائريين إبان الثورة التحريرية لا يتم إلا برخصة مسبقة من مكاتب الجيش الاستعماري؟ هل قلنا لأبنائنا أن تنقل المواطنون من قرية إلى قرية أو من مدينة إلى أخرى لابد أن يتم ذلك وسط قافلة عسكرية تذهب في الصباح وتعود مساء.

كل هذه المعاناة وكل هذا الحصار كان مضروبا على الشعب لكن هذا الأخير كانت إرادته أقوى من إرادة الاستعمار، وإرادة الشعب من إرادة الله وإرادة الله لا تقهر.

أشكركم وإلى اللقاء في مناسبة أخرى والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 54

الفهرس

- كلمة معالي وزير المجاهدين السيد محمد الشريف عباس.....5
- كلمة الأمين العام للمنظمة الوطنية للمجاهدين السيد سعيد عبادو 19

❖المحاضرات:

الجرف، أم المعا رك.....31

أ.ابراهيم ڤاسمي

- معركة الجرف بين استراتيجيتين.....55

د.يوسف مناصرية

- تونسيون في الثورة الجزائرية (1954- 1957).....75

د. عميرة علية الصغير

- التطورات السياسية والعسكرية بالناحية الشرقية للمنطقة الأولى (الأوراس) بين 1954- 1955.....99

أ. فريد نصر الله

❖المدخلات.....117

- الملف: معركة الجرف أم المعارك.....159

أ . الأنسة خضراء بوايد

❖الشهادات.....187

- الكلمة الختامية لمعالي وزير المجاهدين السيد محمد شريف عباس.....313